

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

الطريق الوعر

لي ميونج-باك

السيرة الذاتية للرئيس لي ميونج-باك
رئيس جمهورية كوريا، والرئيس التنفيذي السابق لهيونداي

الطريق الوعر

السيرة الذاتية للرئيس لي ميونج - باك

رئيس جمهورية كوريا، والرئيس التنفيذي السابق لهيونداي

The Uncharted Path: An Autobiography

President Lee Myung-Bak

President of Republic of Korea and Former CEO of Hyundai

First published in 2011 by Sourcebooks, Inc.

محتوى الكتاب لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

الطبعة الأولى 2012

النسخة العادية ISBN 978-9948-14-564-6

النسخة الفاخرة ISBN 978-9948-14-565-3

النسخة الإلكترونية ISBN 978-9948-14-566-0

توجه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص. ب: 4567

أبوظبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: +9712-4044541

فاكس: +9712-4044542

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

دراسات مترجمة 50

الطريق الوعر

السيرة الذاتية للرئيس لي ميونج - باك

رئيس جمهورية كوريا، والرئيس التنفيذي السابق لهيونداي

تأليف: لي ميونج - باك

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

أنشئ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/ مارس 1994، بهدف إعداد البحوث والدراسات الأكاديمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج والعالم العربي. ويسعى المركز لتوفير الوسط الملائم لتبادل الآراء العلمية حول هذه الموضوعات؛ من خلال قيامه بنشر الكتب والبحوث وعقد المؤتمرات والندوات. كما يأمل مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أن يسهم بشكل فعّال في دفع العملية التنموية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

يعمل المركز في إطار ثلاثة مجالات هي مجال البحوث والدراسات، ومجال إعداد الكوادر البحثية وتدريبها، ومجال خدمة المجتمع؛ وذلك من أجل تحقيق أهدافه المتمثلة في تشجيع البحث العلمي النابع من تطلعات المجتمع واحتياجاته، وتنظيم الملتقيات الفكرية، ومتابعة التطورات العلمية ودراسة انعكاساتها، وإعداد الدراسات المستقبلية، وتبني البرامج التي تدعم تطوير الكوادر البحثية المواطنة، والاهتمام بجمع البيانات والمعلومات وتوثيقها وتخزينها وتحليلها بالطرق العلمية الحديثة، والتعاون مع أجهزة الدولة ومؤسساتها المختلفة في مجالات الدراسات والبحوث العلمية.

المحتويات

ملاحظة المؤلف

عندما انتهت الحرب الكورية عام 1953 كنتُ في الثانية عشرة من العمر. حينها كانت الدولة تعاني دماراً هائلاً. إذ تشير التقديرات إلى أن الحرب قد خلّفت أكثر من مليوني قتيل من المدنيين، ومئات آلاف الجرحى أو المفقودين. تمزّق شمل الأسر خلال الحرب. وحتى عقب توقيع الهدنة وتقسيم شبه الجزيرة إلى جزأين، لم يتمكن الكثيرون من التواصل مع أحبائهم أو رؤيتهم لأكثر من أربعة عقود. وفي ظل الدمار الشامل ذاك، لم يُترك الناس بلا وظائف ولا عمل فحسب، بل لم يكن لديهم ما يأكلون. عانى كثير من الأطفال اليُتم، وسوء التغذية، وطاف كثير منهم في الشوارع بحثاً عن أي طعام يسد رمقهم. وللأسف، فإن الربيع الذي انتظره كثير منهم لم يأت أبداً.

أما أنا فكنت محظوظاً لأن أمي قامت على رعايتي. ورغم أن أسرتي كانت تعاني فقراً مدقعاً، إلا أننا بقينا معاً. أتذكر خلال فترة طفولتي المبكرة، أنني كنت أساعد أمي في بيع قطع الكعك الصغير المحشوة بمعجون الفاصولياء الحمراء في السوق المحلية. لا يمكنني نسيان العمل، فلطالما كان العمل جزءاً من حياتي. لكن حلم أمي لم يكن أبداً هو الهروب من الفقر، ولم تدفعنا أبداً لكي نصبح أثرياء. فقد كانت حياتها بسيطة جداً وصادقة جداً. كانت دائماً شاكرة قانعة. كانت تعيش يوماً بيوم، وتتمسك بحلم واحد في وقت واحد، مثل إرسال أخي الأكبر مني إلى الكلية أو لمّ الأسرة بأسرها للاحتفال بعيد ميلاد أحدنا. كانت تبذل كل ما في وسعها في أي عمل تقوم به، اعتقاداً منها بأن الله سيتكفل بالباقي. هكذا أرادتنا أن نحيا: أن نعمل بجد، وأن نثابر، وأن يكون لدينا إيمان قوي، وأن نخدم الآخرين ونحبهم.

عندما كنت شاباً، تعهدت بأنني يوماً ما لاحقاً، حينما تتوافر لديّ أموال وفيرة، سوف أشتري لأمي فستاناً جميلاً، وأصطحبها إلى مطعم راق، ونذهب معاً في رحلة عبر البحار. والآن، واأسفاه، أعرف أنه لا يوجد "لاحقاً". ورغم أنني لم أتمكن من الوفاء بأي من تلك الأشياء التي وعدتها بها، يحدوني الأمل أن يساهم هذا الكتاب – الذي لا يتعلق بما فعلته بقدر ما يركز على ما علمتني إياه – في رد الجميل لوالدتي العظيمة. وأعتقد أنها ستكون سعيدة.

مقدمة

كل ما كان لدينا حينذاك، هو توق وتلهّف لحياة أفضل، وشعورٌ قاسٍ بالحاجة الماسّة. وهذا ما مكّننا من القيام بما يعدُّه الكثيرون مستحيلاً.

تمتلك جمهورية كوريا (أو كوريا الجنوبية) اليوم اقتصاداً قوياً يحتل المرتبة الثالثة عشرة (13) على مستوى العالم. فهي تنتج أجهزة الهاتف المحمول وأشباه الموصلات، وتبني سفناً عملاقة وسيارات فارهة، إضافة إلى أعلى ناطحات السحاب في العالم وأطول الجسور. ولديها رياضيون وفنانون وموسيقيون وعلماء مشهورون على مستوى العالم. وقد حصلت هذه الإنجازات الملحوظة خلال الستين عاماً الماضية، في الوقت الذي تتصارع فيه مع كوريا الشمالية. سعى الناس لتفسير هذه الظاهرة. كيف نجحت هذه الدولة الصغيرة، التي استعمرتها إحدى جاراتها لقرابة أربعين عاماً وعانت حرباً مدمرة، في أن تصبح ما عليه الآن؟ يمكنك أن تسأل أي عدد من الناس، وستحصل على إجابات مختلفة كثيرة لا يمكن أن تصنفها على أنها صحيحة أو خاطئة. وعليه، هذا الكتاب هو محاولة لصناعة جزء صغير ضمن هذه الفسيفساء العملاقة التي عكف الشعب الكوري على تشكيلها بشكل جماعي خلال الستين عاماً الماضية. ومن حسن حظي أنني قد أُتيحت لي فرصة المشاركة في هذه الرحلة الطويلة.

قضيت سبعة وعشرين عاماً من حياتي في شركة هيونداي (Hyundai)، ساعدت في تحويلها من شركة إنشاءات محلية صغيرة إلى مؤسسة عالمية تضم 170 ألف شخص على مستوى العالم، وتبلغ عائداتها السنوية أكثر من 40 مليار دولار أمريكي. ولما صرتُ رئيساً تنفيذياً للشركة وأنا في الخامسة والثلاثين، طفت العالم، من صحراء السعودية إلى غابات تايلاند، إلى سهول سيبيريا؛ بحثاً عن فرص جديدة وسعياً لفتح وجهات جديدة. التقيت بشخصيات حالمة، ورجال دولة، شخصيات قوية ودكتاتوريين. وفي الوطن، كان عليّ أن أتعامل مع نظام سلطوي، لم يكن متحدياً فقط، بل كان في بعض الأوقات خطيراً أيضاً. وفي أحد الأيام كدت أُقتل في منطقة نائية على يد عصابة حاولت سرقة مكتبنا.

لم يكن تاريخ كوريا سهلاً قط. فأعقب خضوعها للاستعمار اندلاع الحرب الكورية، ثم خضوعها لدكتاتورية عسكرية، وصراعات داخلية، ومعارك أيديولوجية، وانقسامات إقليمية، وقلاقل اجتماعية،...إلخ. وفي بعض الأوقات بدت التحديات كاسحة. وفي مثل تلك الأوقات لم يكن دوري كرجل أعمال أن أجني الأموال فقط، بل أن أقوم بتقوية بلدي. سافر آلاف الكوريين إلى الخارج للعمل في المناجم والبناء من أجل توفير حياة أفضل لأبنائهم، وساهمت الأموال التي أرسلوها في إنقاذ كوريا من الإفلاس عقب أول حظر عربي للنفط في عام 1973. كما سافرت آلاف النسوة إلى ألمانيا كممرضات حتى يتمكنَّ من توفير الأموال اللازمة لإرسال أطفالهن إلى المدرسة. وهؤلاء الأطفال أصبحوا فيما بعد مدرسين وموسيقيين وعلماء.

التضحية هي ما يجعل مجتمعنا، الذي يشبه الفسيفساء، جميلاً وثرياً بهذا الشكل. ونادراً ما كان لدي وقت فراغ أقضيه مع أسرتي. كل ما كان لدينا وقتئذ هو توقٌ وتلهفٌ لحياة أفضل وشعورٌ قاسٍ بالحاجة. وهذا ما مكّننا من إنجاز ما يَعُدُّه الكثيرون مستحيلاً.

ألفت النظر إلى أن هذا الكتاب قد نُشر عام 1995، وفي عام 2011 قمت بتحديثه وتوسيعه ليشمل حياتي بعد ترك شركة هيونداي. والغرض من هذا الكتاب ليس الإسهاب في الحديث عن الماضي، أو توجيه الناس فيما يتعلق بالكيفية التي ينبغي عليهم أن يحيوا حياتهم، بل إلهام الناس في كل مكان لكي يحققوا أحلامهم في أن يصبحوا رجال دولة، وأصحاب أعمال، وقادة المستقبل. أعتقد بأن العالم سيغدو مكاناً أفضل في ظل سعي قادتنا الشباب لسبر أعمق المحيطات، وإيجاد علاجات جديدة للأمراض، وتطوير مصادر جديدة للطاقة النظيفة. ورغم أن التحديات تجلب الخوف غالباً، لكنها تُخرج أفضل ما في الناس أيضاً. لذا، تمنياتي لجميع قادتنا في المستقبل بحظ وافر، ورحلة رائعة.

لي ميونج-باك

الفصل الأول

قوة الفقر

ذكرياتي الأولى هي بلدتي وسوقها؛ الرائحة النفّاذة لأحشاء السمك، ورائحة البحر، والفقر الموجع. التصق الفقر بأسرتي التصاق دودة العَلَق، وظل كذلك لسنوات كثيرة قبل أن نتحرر من قبضته القاسية.

العودة إلى الوطن

في أغسطس 1945، حصلت كوريا على الاستقلال، عقب ثلاثين عاماً من الحكم الاستعماري الياباني بعدما هُزمت اليابان على يد قوات التحالف.[1] وفي شهر نوفمبر من ذلك العام، حزمت أسرتي: والدي وأربعة أطفال، وأنا وأختي الصغيرة، الأمتعة استعداداً للعودة إلى الوطن من أوساكا في اليابان. كان لدينا بعض الملابس القديمة، ومبلغٌ صغيرٌ من المال استطعنا توفيره؛ وهذا كان كل ما لدينا بعد سنوات من الذل والعبودية وشظف العيش الذي عانيناه خلال الفترة التي قضيناها في اليابان.

وصلنا إلى ميناء شيمونوسكي في جنوب غرب اليابان، وركبنا عبّارة باتجاه ميناء بوسان، أكبر موانئ كوريا، ويقع على الساحل الجنوب الشرقي. كان جميعنا في حالة يمتزج فيها الفرح لترك حياة البؤس والخوف، مع القلق الناجم عن عدم معرفة ماذا سيحدث.

كانت العبّارة تعج بأناس مثلنا. ازدادت البهجة وعلا الصخب كلما ابتعدنا عن اليابان واقتربنا أكثر من الوطن. ورغم أن كثيراً منا قد أصيبوا بالإعياء بسبب دوار البحر، إلا أن ذلك لم يثبط فرحتنا. لقد كنا سعداء لمجرد العودة أحياء إلى تراب الوطن.

لكن لسوء الحظ، تحطمت العبّارة بسبب زيادة الحمولة قرب جزيرة تسوشيما، على بعد 33 ميلاً من ساحل بوسان. سارع الجميع بالقفز. ورغم أننا نجونا جميعاً لكننا فقدنا كافة أمتعتنا. وأخيراً، ها نحن وصلنا إلى أرض الوطن، لكن دونها شيء سوى ملابسنا.

في ذلك الوقت كنت في الرابعة من عمري، لذا فلا أتذكر أي شيء عن تلك الرحلة البحرية أو تحطم المركب. أول ما أتذكره هو بلدتي وسوقها، الرائحة النفاذّة لأحشاء السمك، ورائحة البحر، والفقر الموجع. التصق الفقر بأسرتي التصاق دودة العَلَق، وظل كذلك لسنوات كثيرة قبل أن نتحرر من قبضته القاسية.

وُلد أبي، ويدعى "لي شونج-وو" في بلدة تبعد بضعة أميال عن مدينة بوهانج التي كانت المستقر لنا فيها بعد. كان هو الأصغر سناً بين ثلاثة أبناء. وكان جدي فلاحاً لكنه لم يمتلك كثيراً من الأراضي. وكما جرت العادة حينذاك، أعطى جدي قطعة الأرض الصغيرة لابنه الأكبر، وباقي ممتلكاته لابنه الثاني. وهكذا وجد أبي نفسه مفلساً فترك بلدته في سن مبكرة، باحثاً عن عمل، متعلقاً مثله مثل الكثيرين في ذلك الوقت بأعمال متدنية. ففي ظل الاحتلال الياباني، لم يجد هو، وكثير من الرجال في سنّه، وظائف لائقة، وكان عليهم أن يقبلوا بأي عمل يجدونه.

خلال تلك الفترة اتجه والدي للزراعة، وتعلّم كيفية تربية الأبقار والخنازير. وبعد فترة قصيرة، قرر أن يجرب حظه في الخارج. سافر هو وبعض أصدقائه إلى اليابان، واستقر بالقرب من أوساكا، حيث عمل في إحدى المزارع.

كانت الحياة في اليابان قاسية جداً. وكان العمل في المزرعة مرهقاً يقصم الظهر، وكان عليه أن يتحمل التمييز الشديد الذي كان يمارسه اليابانيون ضد الكوريين. ورغم الذل المؤلم الذي عاناه، فقد صبر وتحمل ووفّر بعض المال.

بعد فترة من الوقت، استطاع أبي أن يدخر مبلغاً كافياً للعودة إلى كوريا لفترة قصيرة لكي يتزوج. كانت العروس من أسرة "تشاي" التي تنحدر من بلدة قريبة من مدينة دايجو.

وعقب زواجهما، عادا معاً إلى أوساكا، وأنجبا ستة أطفال. وقد ولد أخي الأصغر، سانج-بيل، عندما عادت الأسرة إلى كوريا.

ظلت حياتنا صعبة حتى بعد عودتنا إلى كوريا. واستطاع أبي أن يحصل على وظيفة قبل اندلاع الحرب الكورية في عام 1950. أدار مزرعة كان يملكها رئيس مجلس إدارة مدرسة ثانوية. ورغم أن الوظيفة لم توفر الكثير من المال، إلا أنه لم يكن مضطراً للبحث عن عمل؛ نظراً لأنه كان يعرف الكثير عن تربية الماشية ولديه خبرات إدارية جيدة فقد كانت الوظيفة مناسبة له.

كان أبي رجلاً تقليدياً تربى على التعاليم الكونفوشيوسية التي تؤكد احترام الكبار والآخرين. ولا غرابة أنه كان رجلاً قليل الكلام. علَّمَنا كيف نتصرف بطريقة لائقة في مواقف شتى، مثل الطريقة الصحيحة للانحناء احتراماً للآخرين. غرس فينا أهمية الالتزام بمثل تلك الأعراف الاجتماعية. استوعبت أنا وإخوتي في مرحلة مبكرة أن مثل هذه المسؤوليات ليست عبئاً، بل شيئاً ينبغي التعامل معه باحترام.

ليس من السهل على أي أب، ممن لديه موارد محدودة، أن يعلّم أبناءه مثل هذه القيم، أو يمارس الاحترام ويتمتع به داخل الأسرة. ذلك أن الفقر غالباً ما يدفع الرجل للإذعان، والرجل المنهك غالباً ما يتحول لإدمان الكحوليات، وربما إهمال أسرته بالمرة. لكن أبي فعل ما في وسعه للحفاظ على كرامته. ورغم كونه فقيراً، فإنه لم يفقد كرامته أو اعتزازه بنفسه مطلقاً.

تمتعت أسرتي، في الوقت الذي كان يعمل فيه أبي في المزرعة، بنوع من الاستقرار. لم نكن أثرياء لكن كان لدينا ما يمكّننا من الاستمرار. نجحنا في الحفاظ على تماسكنا والبقاء معاً. بيد أن هذا الاستقرار تبدد مع اندلاع الحرب الكورية.[2]

سرعان ما أصبحت مدينة بوهانج ساحة معركة كبيرة بين كوريا الجنوبية وقوات الأمم المتحدة من جهة، وقوات كوريا الشمالية الشيوعية في الجهة المقابلة. وعندما سقطت

بوهانج أمام الشيوعيين، أُرغمنا على ترك كل شيء، والانتقال إلى بلدة أخرى باتجاه الجنوب. لكن أبي قرر البقاء في بوهانج حتى يتمكن من رعاية الماشية. ورغم أن ذلك كان قراراً غير حكيم (فضلاً عن أنه خطير) إلا أنه رفض المغادرة. وفي حين أن مالك المزرعة قد فرّ من المنطقة، إلا أن أبي شعر أن من واجبه رعاية المزرعة والحيوانات التي توجد فيها. وعندما استعادت قواتنا السيطرة على بوهانج عدنا جميعا إلى المنزل. وما أثلج صدورنا، هو أننا وجدنا أبي سليماً معافى لم يُصب بأذى. لكن المزرعة دُمرت، وأصبح أبي بلا وظيفة، وأفلسنا مرة أخرى.

في ظل بقاء أبي بلا عمل، اضطررت للعمل في سن مبكرة. ذهبت مع أبي إلى الأسواق المجاورة. كانت هذه أول تجربة لي في عالم الأعمال. ومن بين الأعمال الكثيرة التي اشتغل بها أبي، بيع الأقمشة، وهي وظيفة حصل عليها من خلال لاجئ من كوريا الشمالية. في هذا العمل، يعتمد الربح على كيفية قياس المرء للقماش. ومن بين الحيل الشائعة في ذلك الوقت، على سبيل المثال، هي قيام البائع بغش المشتري في طول القماش المَقيس، ثم إعطائه جزءاً صغيراً كهدية. ومن شأن ذلك أن يُشعِر المشتري بأنه حصل على بضعة سنتيمترات إضافية مجاناً، في حين أنه في الواقع لم يأخذ حقه. عندما علم أبي بهذه الحيلة، رفض أن يمارسها. وكان يقيس القماش المُباع بالضبط، ثم يضيف إليه قطعة صغيرة كهدية. وكان يبيع للزبائن بالأجل أيضاً. لم يكن يحتفظ أبي للأسف بسجل من أي نوع، لذا فلم تكن هناك طريقة لتتبع من دفع ومن لم يدفع. وفي العادة كانت النساء هن من يأتين لشراء القماش، وبالنسبة لرجل ملتزم بالتعاليم الكونفوشيوسية، كان لا يُعقل أن يسأل امرأة عن اسمها، ناهيك عن عنوان سكنها. وإذا تخلفت إحداهن عن الدفع، سرعان ما كان ينسى من يدين له بالمال.

كان أبي يذهب للكنيسة عندما كان شاباً، لكنه في سن الثامنة والعشرين توقف عن الذهاب بعد مناقشة مع راعي الكنيسة. في تلك الأيام، كان رواد الكنيسة الذين لا

يمتلكون نقوداً يحضرون أطعمة وغيرها من السلع كعطايا. وفي أحد الأيام، اختص الراعي الأشخاص الذين جلبوا معهم طعاماً بدعاء خاص، وهذا أثار انزعاج أبي. فقال في نفسه "لماذا يختص الراعي هؤلاء الناس بصلوات وأدعية خاصة؟ أليس من الأحرى أن يدعو بإخلاص لمن يريدون أن يقدموا شيئاً لكنهم لا يجدون ما ينفقون"؟ وهكذا رأى أبي أن الراعي يخالف بهذا الصنيع تعاليم المسيح ويشوهها. ومع ذلك، فقد سمح أبي لباقي الأسرة بالذهاب إلى الكنيسة. ولم يعترض على إيمان أمي العميق بالمسيحية. وعقب عقود عدة عاد أبي إلى الكنيسة. قال لنا إنه لا يحب الكنائس الكبيرة، لذا فقد قرر الذهاب إلى كنيسة صغيرة. ورغم أنه لم يكن يملك الكثير، فقد تبرع بجزء من من ماله للكنيسة وأصبح صديقاً جيداً لراعي الكنيسة. وكثيراً ما كان يدعو الراعي للعب الشطرنج، وقد قام بأعمال تطوعية في الكنيسة. وقبل وفاته بوقت قصير، قام صديقه الجديد، الراعي، بتعميده.

الحرب

اندلعت الحرب الكورية بعد التحاقي بالمدرسة الابتدائية مباشرة، لذا لديّ ذكريات مفعمة عن الحرب. في الوقت الذي ظل فيه أبي في المزرعة للاعتناء بالماشية، مكث باقي الأسرة في منزل عمي مؤقتاً. أتذكر على وجه الخصوص يوماً من أيام الصيف شديد الحرارة والرطوبة. كانت أختي الأكبر مني "جوي-إي" تعتني بأخي الأصغر "سانج-بيل" الذي كان لا يزال رضيعاً. كان سانج-بيل يصرخ، فحملته أختي وذهبت به إلى الحديقة الأمامية في محاولة لتهدئته. وفجأة سمعنا صوتاً مدوياً من فوقنا وارتطاماً مزلزلاً فيما يشبه صوت الرصاص على السطح. انحنيت بشكل لا شعوري. وعندما نظرت إلى الأعلى لم أرَ شيئاً. وفجأة عندما أدركت أمي أن جوي-إي وسانج-بيل غير موجودين بالداخل هرولت إلى الخارج. وجدتهما ملقيين على

العشب، وكلاهما ينزفان دماً من الجبهة والظهر، ويعانيان حروقاً بالغة في مختلف أجزاء الجسم. كانا لا يزالان أحياء، فأخذت تجري باتجاه الجبال وأحضرت نبات "الميرمية"، الذي كان يشتهر باستخدامه في تخفيف الجروح. طحنته وصنعت منه معجوناً وبدأت تدلك به جلدهما المتفحم. كان مستحيلاً أخذهما إلى المستشفى في ظل الحرب ولم يكن هناك دواء، إضافة إلى أنه لم يكن في مقدورنا شراؤه. بعد ذلك سمعنا أهالي القرية يقولون إن الأمريكيين نشروا طائرات مقاتلة لأنهم حصلوا على معلومات استخبارية تفيد بأن ثمة عناصر من الشيوعيين قد تسللوا إلى قريتنا.

استمرت المعارك هكذا لأسابيع في قريتنا ومن حولها. رأت أمي أن الوضع خطير للغاية ولا يمكن أن نظل هناك، فأرسلتنا إلى مكان أكثر أمنا. وظلت هي تعتني بأختي وأخي المصابين، اللذين كانا لا يقويان على الحركة. وعكفت على تضميد جروحهما ومداواتهما وسط القصف والغارات الجوية. وللأسف، فقد فارقا الحياة بعد شهرين عقب معاناة شديدة من الألم.

يحضرني في هذا الصدد قول كوري مأثور: "ادفن أحبابك في قلبك"، وهذا ما فعلناه. كانت أمي محطمة ولم تتوقف عن لوم نفسها من أنها كانت السبب في وفاة طفليها.

ومنذ تلك الحادثة، لم يعد يمكنني مطلقاً أن أنسى الحرب الكورية. رؤية أخي وأختي ملقيين على الأرض، يعانيان الحروق، تُذكّرني دائماً بشرور الحرب والشيوعية. في وقت لاحق، عندما أصبحت رئيس مجلس إدارة هيونداي، كانت هذه القصة الشخصية العميقة تدفعني بإصرار ودون هوادة للمغامرة واختراق السوق في الاتحاد السوفيتي السابق والصين. ربما كانت تلك طريقتي في البحث عن تصالح لموت أخي وأختي، أو ربما كانت طريقتي للتعامل مع الذنب والحزن.

الولد ذو الأذرع الطويلة

في ظل بقاء أبي بلا عمل، أُضطرت أسرتي للانتقال مرة أخرى. انتهى بنا المطاف في موقع معبد قديم عند سفح الجبل. كان عبارة عن دير ياباني مهجور. لم يوجد بالمكان مياه جارية أو مرحاض، في الوقت الذي عاشت فيه خمس عشرة أسرة بجوار بعضها بعضاً. كنا جميعا نعمل باليومية أو باعة جوالين، وكان يوماً سعيداً ذلك الذي نتمكن فيه من بيع شيء ما. الفقر كان شديداً ومؤلماً. كل ما كان حولنا هو أصوات أطفال يصرخون، وكبار يتقاتلون، ومرضى يموتون. أصعب شيء يمكن تحمُّله هو الجوع المستمر. كان الجوع شديداً لدرجة الألم. ومن حسن حظنا أن الكوخ الذي كنا نعيش فيه، هو الأقل ضوضاء، لأن الأسرة كانت تخرج بكاملها للعمل. ورغم جهودنا الجماعية لم نستطع توفير المال، وكان التفكير فيما نأكله صراعاً يومياً. في تلكم الأيام، كانت وجباتنا تتكون بشكل رئيس من بقايا الأرز عقب تخمير الأرز وتحويله إلى كحول. كنا نشتري أسوأ عبوات الأرز نظراً لضيق ذات اليد. كنا نأكله مرتين يومياً لأسابيع، وكنت أمشي محمر الوجه ومخموراً قليلاً؛ لأن هذا الطعام يحتوي على الكحول، وإن كان بكميات قليلة. في المدرسة كان بعض المدرسين ينعتونني ظلماً بالمنحرف، نظراً لاحمرار خدودي وأرنبة أنفي دائماً وكأني مخمور (وكنت كذلك لكن ليس عن قصد).

بالطبع لم يكن في مقدوري أخذ طعام إلى المدرسة، وفي الوقت الذي كان فيه التلاميذ يتناولون طعامهم، كنت أذهب إلى صنبور الماء لأملأ جوفي ماءً عسى أن يسد رمقي. أتذكر أنني كنت أشرب الماء حتى ينتفخ بطني. وحينها أدركت أنه مهما تشرب من ماء فإنك لن تشعر بالامتلاء.

عندما كان يحل موعد دفع المصاريف الدراسية، كان يُقال لي اذهب للبيت وأحضر المصاريف. حينئذ كنت أتجول خارج المدرسة أو أصعد إلى التل الذي يقع خلفها وأمكث

لبعض الوقت. كنت أعلم أنه لا فائدة من ذهابي للبيت لأنه لا يوجد مال أعطيه للمدرسة. وبعد فترة أعود وأطلب من المدرسين أن يعطوني مهلة.

لم يكن لدينا مال لدفع مصاريف الدراسة لأن أبي، منذ كان يعمل في اليابان، كان قد أرسل المال الذي يجمعه إلى عمي حتى يتمكن من إرسال ابن عمي للمدرسة. أبي فعل هذا لسنوات كثيرة، وعندما جاء الوقت لإرسال أبنائه للمدرسة لم يكن لديه المال. رغم أن الأمر يبدو عبثياً وتصرفاً غير مسؤول، لكن هكذا كان أبي. ومع أنني لا أستطيع لومه، إلا أن تلك الأيام كانت عصيبة على طفل صغير.

ومع ذلك، لم نستخدم الفقر كعذر مطلقاً. بل إن الفقر قوّانا. ذلك أنه إذا جلس فقير بانتظار المعونة المادية، فلن يستطيع الهروب من الفقر أبداً. الفقر لهذا الرجل سيكون جرحاً متقيحاً لا يمكن الشفاء منه أبداً. في المقابل، ساعد الفقر في تقوية عزيمتي، وعزيمة إخوتي كذلك. فقد كنا مُصرّين ألا ندع الفقر يخنقنا.

مع دخولي الصف الخامس، كنت قد طرقت معظم الأبواب التي يمكن أن أحصل من خلالها على المال. اشتغلت ببيع الكبريت الذي كنت أصنعه بنفسي بغمس نهايات أعواد الخشب في الكبريت، وأعددت "الكيمباب" (أرز ملفوف في طحالب بحرية)، وكنت أبيعه للجنود قرب الثكنات العسكرية. وفي إحدى المرات، أمسك بي أحد رجال الشرطة العسكرية؛ لقيامي ببيع قطع الكعك المصنوعة من دقيق القمح، وأوسعني ضرباً.

رغم أنني كنت أعاني من الجوع باستمرار، إلا أنني واصلت الذهاب إلى المدرسة مشياً على الأقدام لأربع ساعات ذهاباً وإياباً. أصبح جسدي ضعيفاً، ومع دخولي المرحلة الإعدادية، كان جسمي شبه معطوب، وعندما كنت في الصف الثامن، أصبحت مريضاً جداً ولزمت الفراش لثلاثة أشهر. لا أعرف حتى الآن سبب ذلك المرض الغامض لكنه

ربما يعود لسوء التغذية. لم يكن بمقدوري الذهاب إلى المستشفى، وأفضل شيء كان متاحاً لي هو الراحة في الفراش انتظاراً للتعافي. عقب ثلاثة أشهر على هذه الحال، نهضت واستأنفت روتيني اليومي، المشي لأربع ساعات من المدرسة وإليها.

ربما لهذا أيضاً كنت أنا الأقصر طولاً بين جميع أفراد الأسرة، حيث لم يزد طولي عن خمس أقدام وست بوصات، فيما كان يبلغ طول والدي وكذلك اثنين من إخوتي الأكبر مني، قرابة خمس أقدام وتسع بوصات. ولو أنه كان بمقدوري أن أتغذى بشكل طبيعي مثل الأطفال الآخرين، لكنت أطول بالتأكيد. ومع ذلك، فقد عوض جسمي قصر قامتي في شكل نمو ذراعيّ، حيث إنهما أطول من متوسط طول ذراع الشخص العادي بما لا يقل عن أربعة إنشات. ولهذا كان يطلق عليّ "الولد ذو الأذرع الطويلة".

أمي

تنحدر أمي من أسرة مسيحية متدينة، أما أبي فكان من أسرة تتمسك بالتعاليم والتقاليد الكونفوشيوسية بصرامة. وكان أقارب أبي ينظرون إلى أمي وتديّنها بازدراء. ومع ذلك، فلولا إيمان أمي القوي لاستسلمت أسرتي للفقر والشدائد.

كانت أمي طويلة، وذات وجه رفيع وعينين حادتين لامعتين ويقظتين. حكت لي أنها التحقت بالمدرسة الابتدائية، لكنني لا أتذكر إن كانت قد قالت لي إنها تخرجت فيها أم لا. ورغم تعليمها الرسمي البسيط، إلا أنها عوضت نقص معرفتها هذه بذهنها المتوقد. إذ كانت لديها قدرة خارقة على تذكر جميع الأشياء، مثل أعياد الميلاد، والتواريخ الهامة للأقرباء الذين توفوا من زمن بعيد، وعناوين الأصدقاء. بل إنها كانت تحفظ التواريخ الهامة لجيراننا. لقد كانت أحكم إنسان بالنسبة لي.

كان يومنا يبدأ في الساعة الرابعة صباحاً، حيث توقظنا أمي وتجلسنا في شكل حلقة ونبدأ في ترديد أدعية الصباح. كانت أمي تقودنا في ذلك، وأتذكر أن أدعيتها كانت متسقة

وفريدة من نوعها. كانت تبدأ بالدعاء لرخاء وطننا، ثم الدعاء لأقاربنا، وبعد ذلك الدعاء لجيراننا وأسرهم. كانت تتذكر ما يمرون به وما يحزنهم. كانت تعرف المريض منهم، ومن يمر بضائقة، ومن تشاجر مع من. كانت تدعو لهم، وبأن يؤمن جميعهم بالمسيح، ثم تدعو لأبنائها. ولم أسمعها تدعو لنفسها مطلقاً. ورغم أن حياتنا كانت قاسية، إلا أنها كانت تدعو دائماً للآخرين قبلنا.

الأدعية الصباحية هذه كانت مصدر إزعاج بالنسبة لي، لأنني كنت دائماً مرهقاً من العمل، وفي حاجة ماسّة لمزيد من النوم. كنت أجلس في الحلقة ما بين اليقظة والنوم، وكنت أتيقظ عندما يُذكر اسمي. عندما كانت تدعو أمي لنا، كانت الأدعية تطول وتقصر حسب الفئة العمرية. بمعنى أن إخوتي الأكبر يحظون بدعاء أطول، والأصغر سناً بدعاء أقصر. كانت الأدعية تكرر دائماً: "نسألك يا أبانا أن تقوي ميونج-باك. آمين"، وكان هذا الدعاء القصير المخصص لي يتناسب وفئتي العمرية داخل الأسرة.

نظراً لأن أبي كان يعمل مديراً لمزرعة يمتلكها رئيس مجلس إدارة مدرسة دونج-جي الثانوية، فإن أخويَّ الاثنين الأكبر مني قد التحقا بها وتخرجا فيها. أكبر إخوتي كان موهوباً في التجارة، لذا فقد ترك البيت في سن مبكرة. أخي الثاني الأكبر مني كان متفوقاً في المدرسة، وكان يعدُّ الأذكى في الأسرة، لذا فقد أرسلوه إلى سيول ليواصل دراسته. أما بالنسبة لي، فقد مكثت في بوهانج مع والدي، وعملت لكسب المال لدفع المصاريف الدراسية لأخي الأكبر.

عندما صرت شاباً شعرت بالغيرة من إخوتي الأكبر مني لاستمرارهم في دراستهم، في الوقت الذي كان يتعيّن علي العمل إلى جانب أمي. كانت أمي تعتقد أنه من الأفضل أن تدعم ابنها الأكبر بدلاً من أن ترسل جميع أولادها للمدرسة. في المقابل، توقعت من إخوتي الأكبر أن يتفوقوا في الدراسة وأن يعتنوا بالأصغر منهم. (ولهذا السبب كان أخي سانج-

دوك، الأكبر مني، يشعر دائماً بأنه مدين لي. وكان يشجعني فيما بعد على الدراسة حتى أجتاز الامتحانات وألتحق بالكلية).

كانت أمي تواسيني قائلة: "باك، ليس ضرورياً أن تلتحق بالكلية وتحصل على شهادة لكي تكون ناجحاً في الحياة. يمكنك أن تصبح ثرياً وتساعد الآخرين من خلال العمل بجد. تعال هنا سنعمل سوياً". خلال فترة حملها بي رأت حلماً، جاء إليها قمر مُكتمل وعشعش داخل ملابسها. قالت لي إن القمر كان ساطعاً جداً لدرجة أن نوره أنار الحقول وفاض على القرية المجاورة. استبشرت بهذا الحلم خيراً، فأقنعت أبي بأن يُسميني ميونج (ساطع) باك (بعيد النطاق).

عملت أمي بجد طيلة حياتها. خلال الحرب الكورية، كانت بوهانج مدينة صغيرة تشتهر بالتجارة وبيع السمك. كانت أمي تضع طاولتها لبيع الفاكهة في آخر ركن في السوق، حيث لا يكون هناك ازدحام. وبدءاً من سن الخامسة كنت أتسكع في السوق، وأقوم ببعض المهام الصغيرة.

عندما كانت تبيع الكعك (ما يشبه المِفِن، المحشو بمعجون الفاصولياء الحمراء) في السوق، كان عليها أن تحمل إناءً مليئاً بالعجين، وآخر مليئاً بمعجون الفاصولياء الحمراء، وصاجاً معدنياً يستخدم في خبز الكعك، وإبريق ماء، وموقد كيروسين. كانت ترص هذه الأدوات جميعاً على عربة تُجر باليد، وتذهب بها يومياً إلى مكانها في السوق. هناك تقوم بوضع العجين على الصاج، وعندما يصبح العجين مقرمشاً قليلاً، تضيف إليه قليلاً من معجون الفاصولياء الحمراء ثم تقلبه. رغم أن الأمر يبدو يسيراً، لكن كان هناك سر للصنعة؛ وهو أن تخبز الكعك حتى يصبح مقرمشاً من الخارج في حين تبقي على معجون الفاصولياء الحمراء في الداخل ساخناً قليلاً دون أن تفرط في تسخينه. وهكذا كان يجب ضبط عملية خبز العجين وتسخين المعجون بهذه الطريقة بدقة، بحيث عندما يبدأ المرء

قضمة يتسرب المعجون من الداخل إلى الخارج. وكان يجب إعداد العجين والحشو كل يوم ليكونا طازجين. كنت أساعدها يومياً في إعداد هذه المكونات. وفي الصباح، كنت أذهب إلى المدرسة، وتذهب أمي إلى السوق لتخبز الكعك وتبيعه.

في أعياد ميلادنا، كانت أمي تحضر خمس قطع كعك مما أعدّته، وتعطي قطعة لكل منا. أتذكر أنها في يوم عيد ميلادي أحضرت الكعك كالعادة، وسألتها لما لا تحضرين واحدة لنفسك. فردت: "باك، شكراً يا حبيبي على سؤالك لكنني لا أطيق رائحتها. اذهب واستمتع بها".

بعد سنوات عدة، عندما كنتُ عمدة لسيول، وجدت زوجين يديران طاولة مشابهة لتلك التي كانت تستخدمها أمي. بدافع الفضول، اشتريت قطعة كعك منهما وتذوقته، لكنه لم يكن جيداً، فلم يكن مقرمشاً على الإطلاق، والحشو الذي بداخله لم يكن له المذاق الجيد للفاصولياء الحمراء. يبدو أن الزوجين مبتدئان في هذا المشروع. أبلغتهما أنني أود أن أشاركهما الوصفة السرية التي كانت تستخدمها أمي. حملق الزوجان في دهشة. اكتشفت فيما بعد أنهما متزوجان وكلاهما أصم (كثير من مثل هؤلاء الأزواج يزاولون مثل تلك الأعمال لأنها لا تتطلب حواراً مع الزبائن). وعليه، وضعت مريلة على بدلتي، وبدأت أخبز الكعك. أتذكر أننا بعنا كل ما لديهما خلال ساعتين فقط. ترددت عليهما عدة مرات وشرحت لهما كيف يخبزون الكعك بطريقة صحيحة مثلما كانت تفعل أمي.

كانت أمي تساعد الناس دائماً وكانت تطلب مني أن أساعد الآخرين أيضاً. وقالت لي بأن لا أقبل بأي شيء في مقابل مساعدتهم. كانت تعطيني تعليمات في كيفية تنفيذ المهام، مثل: "باك، الأخت الكبرى في محل بيع الزيت ستتزوج اليوم، اذهب وساعدهم، هل تمانع في ذلك"؟ إذا ما اعترضت وقلت إنهم ليسوا أقارب لنا، فسوف تنظر إلي وتقول: "ألم أقل لك إن جيراننا أقرب إلينا من أقربائنا؟ رجاءً اذهب الآن"! وفي الوقت الذي أهمُّ فيه

متردداً بالذهاب، كانت تقول لي بصوت عالٍ: "باك، لا تقبل بأي شيء بعد أن تساعدهم، ولا حتى كوب ماء، هل تسمعني! لا أريدك أن تأخذ أي شيء، حتى لو قدموا لك طعاماً، أريدك أن ترفض بأدب وتأتي مباشرة إلى البيت". كانت تؤكد على هذه الأمور مراراً وتكراراً. وعندما كانت تأمرني بالذهاب لمساعدة جيران أثرياء ممن ينظمون حفلة، كنت أتذمر دائماً قائلاً: إنهم أثرياء لا يحتاجون إلى مساعدتي. وكانت لا تعترف بهذا، وتصرخ فيَّ بألا أقبل بأي شيء في مقابل مساعدتي.

بعد سنوات أدركت لماذا كانت تصر على ألاّ أقبل أي شيء. لقد كانت تريد أن تعلمني متعة الخدمة. كان الجيران الأثرياء يعطونني بقايا الطعام الشهي لأعود به إلى البيت وكنت أرفض بأدب. عندها أدركت أن الناس، فقراء أو أثرياء، كانوا ممتنين للمساعدة التي أقدمها لهم. والأهم من ذلك، هو أنني شعرت بأنني شخص مفيد. مع مرور الوقت، بدأت أشعر بالفخر لمساعدة الآخرين ولا أتوقع شيئاً في المقابل. وبدأ الجيران أيضاً يفهمون ذلك. قالوا إن الأطفال في أسرتنا فخورون لكنهم ليسوا متفاخرين، مخلصون لكنهم ليسوا متذللين.

في البداية كان الأمر صعباً؛ ليس لأنني لا أريد العمل، بل لأنني كنت طفلاً خجولاً. كنت أواجه صعوبة في أن استجمع شجاعتي لأقول أهلاً أو لأقدم نفسي. عادة ما كنت أدخل في صمت، أذهب ناحية المطبخ أو أحضر الماء، ثم أغادر في صمت. لاحقاً، شعرت براحة كافية لقول أهلاً، وسؤالهم عما يحتاجون إليه.

كنت أواجه صعوبة في مقاومة إغراء الطعام. كان يمكنني أن آخذ جميع الطعام الذي أمامي إذا لم يكن هناك أحد يراني. كنت أتخيل كم ستكون سعادة إخوتي إذا أحضرت لهم مثل هذه الأطعمة الشهية. كنا سنلتهمها التهاماً. لكنني كنت أتذكر كلمات أمي، ولم أفعل ذلك مطلقاً.

بعد سنوات عدة، عندما لم أُقبل في الخدمة العسكرية بسبب اعتلال صحتي، عـدت إلى السوق مجدداً حيث تعمل أمي. لم أستطع أن أقول لها إنني قد رُفضت لاعتلال صحتي. ذُهلت أمي عندما رأتني أمامها، إذ يفترض أن أكون في الجيش في ذلك الوقـت. قصـصت لها ما حدث. أخذتني في حضنها وقالت: "باك، أنا آسفة. لم أدرك أن صحتك بهذا الـسوء. سامحني". ثم صاحت: "هذا بسبب بقايا الأرز التي كنت أقدمها لك حينما كنـت صـغيراً، وبسبب أنني لم أعتنِ بك جيداً عندما كنت صغيراً. أنا آسفة جداً". في هـذا اليـوم أعـدَّت أمي لي وجبة العشاء قبل بقية الأسرة. على الطاولة، وضعت طبق أرز أبيض تمـت تـسويته على البخار وبيضة غير مطهية. أسرتنا كانت تتنـاول الأرز مـرة واحـدة، وربـما مـرتين في العام. البيض كان في العادة باهظ الثمن ولا نستطيع شراءه، ومن ثم كانـت تلـك بمنزلـة مأدبة عشاء فاخرة وخاصة. جلستُ مع أمي لتناول العشاء وبكينـا كثـيراً في تلـك الليلـة. وكانت تلك أول وآخر مرة أرى فيها أمي تبكي.

الفصل الثاني

ارفع رأسك؛ ليس هناك ما يجب إخفاؤه

ركزت الأسرة بأسرها على أخي ومستقبله. وفي الوقت ذاتـه، كنـت أحلـم بالذهاب إلى المدرسة الثانوية.

الذهاب إلى المدرسة الثانوية

مع حلول وقت تخرجي من المدرسة الإعدادية، أصبح الوضع المالي لأسرتي أكثر صعوبة. تفوق أخي الأكبر سانج-دوك، في دراسته وكان يستعد لاجتياز الامتحان المؤهِّل للالتحاق بالجامعة. وكان أخي أكبر إخوتي يقضي فترة الخدمة العسكرية الإلزامية. في البداية التحق سانج-دوك بأكاديمية الجيش لأنها كانت مجانية. لكن صحته تدهورت، وبعد عام قضاه في الأكاديمية تركها، وبدأ يستعد للامتحان المؤهل للجامعة. انتقل إلى العاصمة سيول، حيث كان يدرس ويقيم هناك بمفرده. كان والدايَ قد عادا إلى الوطن ويبذلان قصارى جهدهما لتوفير مصاريف الدراسة التي سوف يحتاج إليها سانج. ركزت الأسرة بأسرها على أخي ومستقبله. وفي الوقت ذاته، كنت أحلم بالذهاب إلى المدرسة الثانوية.

مع اقتراب موعد التخرج من المدرسة الإعدادية، سألني مشرف الطلاب في المدرسة عن خططي المستقبلية. في ذلك الوقت كان الطلاب المتفوقون عادة ما يلتحقون بمدرسة شهيرة، وهي كيونج-بوك الثانوية. وبما أنني كنت دائماً الثاني على الفصل، فقد اعتقد معلّمي أنني سوف أتقدم للالتحاق بتلك المدرسة الشهيرة. لكن أمي كانت مصممة

على توفير المصاريف الدراسية لأخي سانج، وبالتالي كانت تتحسر متى أثيرت قضية المصاريف. في ظل تلك الظروف،لم أجرؤ على إثارة موضوع ذهابي إلى المدرسة الثانوية، لأن ذلك كان سيسبب لها مزيداً من الإيذاء.

ومع ذلك، ففي أحد الأيام قررت أنني لن أخسر شيئاً وقلت لأمي، إن معلمي يرغب في رؤيتها ليناقشها بشأن التحاقي بالمدرسة الثانوية. بمجرد سماع هذا، توقفتْ عن استكمال ما كانت تفعله، وقالت لي بنبرة حزينة: "باك، أنت تعلم أننا لا نستطيع أن ندفع لك مصاريف الثانوية العامة، وأخوك الأكبر منك يستعد للالتحاق بالجامعة. إذا أخفق أخوك في الامتحان ربما يمكنك الالتحاق بها. إذا كنت تريد حقاً الالتحاق بالمدرسة الثانوية، يمكنك أن تذهب إلى المدرسة الثانوية التي يديرها مكتب البريد القومي، وهي مجانية. لكن إن فعلت ذلك، لن يكون هناك من يساعدني. وأنا لا أستطيع أن أقوم بكل هذا العمل بمفردي".

رغم أنني كنت أتوقع ما قالته أمي، إلا أن سماعه أثّر فيَّ كثيراً. أُصبت بالإحباط. فقد كنت آمل أن تترك على الأقل بعض الاحتمالات. طوال حياتي ألبس الملابس المستعملة البالية، والآن أُمنع من الالتحاق بالمدرسة الثانوية! لأول مرة أسخط على كون أسرتي فقيرة، وألوم إخوتي. لقد كنت أصغر من أن أدرك الألم الذي عانته أمي وهي تقول لي تلك الكلمات. لقد كانت حازمة معي لأنها لا تريد أن تساورني آمال واهية.

أصيب معلمي بالدهشة والذهول عندما أبلغته بما قالته لي أمي. وقال: "لم أتوقع مطلقاً أن تذهب إلى مدرسة في سيول، ولكنني اعتقدت أن والديك سوف يرسلانك على الأقل إلى مدرسة كيونج-بوك. ياللعار! يجب أن يكون هناك حلٌّ ما. حسناً، لماذا لا تسألهم إن كان يمكنك الالتحاق بمدرسة جونج-جي الثانوية التجارية في بوهانج؟ إنها مدرسة ليلية لكنها ثانوية أيضاً. إنها أفضل من لا شيء. ربما لا تدرك أهميتها الآن، لكن سيكون

من الأفضل أن تحصل على دبلوم الثانوية العامة من أن تظل بشهادة المدرسة الإعدادية. ثق بكلامي يا ميونج-باك".

نقلت إلى أمي ما قاله معلمي، لكنها كانت متمسكة برأيها: "باك، يجب أن تساعد أخاك". استمرت هذه النقاشات بيني وبين معلمي، وبيني وبين أمي لبعض الوقت، وجاء وقت شعرت فيه بالضجر. فلقد أصرت أمي أنه حتى إن ذهبت إلى المدرسة الثانوية الليلية فسوف يتعين عليّ دفع مصاريف دراسية، ولا تستطيع هي توفيرها. في الوقت ذاته، أصرّ معلمي على أن يسمحوا لي بأن ألتحق بالمدرسة الليلية على الأقل. وقال إن المدرسة تعفي الطلاب المتفوقين من المصاريف. وأكد لي أنه بإمكاني الحصول على درجات عالية، وعندها ستكون المدرسة مجانية. وحثني على المحاولة. وفي النهاية، وافقت أمي على هذا الاقتراح. والسبب الوحيد لموافقتها هو أن المدرسة ستكون مجانية، فقالت لي: "حسناً، سوف أدعك تذهب مادمت لا تدفع مصاريف". وهكذا وفي ظل الموافقة المشروطة من أمي، التحقت بالمدرسة، ونجحت في التخرج فيها. وكنت في مقدمة طلاب فصلي على مدار السنوات الثلاث التي قضيتها في المدرسة.

التاجر الصغير

لم أنقطع عن مساعدة أمي خلال المدرسة الثانوية. ومع مساعدتي لها في إعداد الكعك، قررت أن أستقل، وأن أبدأ مشروعي الخاص. كنت أبيع المثلجات (الآيس كريم) أو ألواح السكر أو حبات "الطوفي" اعتماداً على الطقس.

فخلال فصل الشتاء كنت أبيع الفشار المصنوع من الأرز. فقد صنعت مقلاة لفشار الأرز باستخدام شبكة حديدية وسيخ للتقليب. عند تسخين الأرز وتفشيره كان يصدر صوتاً مدوياً. ووضعت أمي ماكينة الفشار هذه بجوار طاولة الكعك، وكنت أعد فشار الأرز وأبيعه.

لقد كان أول مشروع تجاري مستقل لي. كنت دائماً منهكاً، والعرق يتصبب من وجهي، وملابسي متسخة من جرّاء الدخان المتصاعد من مقلاة الفشار. كنت أعمل بزي المدرسة نظراً لأنه لم يكن عندي ملابس أخرى. وكنت أذهب إلى المدرسة بملابسي المتسخة تلك. المشكلة هي أنه كانت توجد فتيات من المدرسة الثانوية على مقربة من الركن الذي كنت أقف فيه أنا وأمي في السوق. لذا فكل يوم في الصباح وبعد المدرسة كانت تمر الفتيات أمامنا وتنظر إلى ذلك الفتى الذي يبيع فشار الأرز وهو يرتدي الزي المدرسي. وحين تنظر الفتيات إليّ بنوع من الفضول والدهشة، كنت أرتبك ويحمر وجهي. كنت أشعر بإحراج بالغ في أن تراني الفتيات في مثل هذه الملابس، وكنت أسعى لتجنب عدم رؤيتهن لي. وللأسف، مهما حاولت، فقد ظللت الفتى الضامر النحيف ذا الأذرع الطويلة، والوجه والملابس المتسخة الذي يقلي الفشار.

بعد طول تفكير، توصلت إلى خطة ذكية. بحثت ووجدت قبعة كبيرة مصنوعة من القش. رغم أنها كانت بالية وممزقة إلا أنها أدت الغرض. وعندما كنت أضع هذه القبعة وأنزلها لأسفل لإخفاء وجهي، كانت أمي تضحك عليّ وتقول: "باك! لا ترتدي القبعة مرة أخرى. ليس هناك شيء يجب أن تخفيه، رجاء! ارفع رأسك، يا فتى"!

لاحقاً عندما كنت عمدة لسيول، رأيت رجالاً مشردين يجوبون الشوارع، وفي أحد الأيام التقيت بهم عقب إطلاق برنامج في المدينة يشجع الشركات على توظيفهم. كان البرنامج يحظى بدعم من مجلس المدينة، وكان يسعى لمساعدتهم في الحصول على وظائف وبدء حياتهم من جديد. عندما دلفت إلى الغرفة للالتقاء بهم، كان أول ما لاحظته، هو أن معظمهم يرتدون قبعات. كان بعضهم يرتدي قبعات البيسبول، وآخرون يرتدون قبعات ممزقة وجدوها في مكان ما. كانت قبعاتهم متدلية للأسفل تخفي جزءاً من وجوههم، وكانت رؤوسهم منحنية للأسفل؛ تماماً مثلما كنت أفعل منذ سنوات. فقلت لهم: "دعوني

أرى هذه الوجوه الوسيمة! ارفعوا رؤوسكم عالياً"! لقد كانت أمي على صواب: ليس هناك شيء يجب إخفاؤه.

عندما أصبحت في السنة الثانية، حاولت "الاستقلال" عن والدي وأسرتي. اعتقدت أنه من الأفضل أن أخرج، وأجد وظيفة، وأدخر بعض المال إذا ما واصلت بيع السلع التي أبيعها (وكنت أريد ألا تراني الفتيات). كانت خطتي أن اشتري الفواكه من البائع وأعيد بيعها بسعر أعلى في الليل أمام المسرح. كانت فكرة تجارية عبقرية! كل ما كنت أحتاج إليه هو عربة تُجر باليد وإذن من أمي، وقد حصلت على الإذن بسرعة.

بهذه الآمال العالية لنجاح مشروعي الجديد، وجدت مصباحاً يعمل بالكربيد لاستخدامه في الإضاءة بالليل، ونظفت الفاكهة حتى أصبحت لامعة. في أول يوم، كنت متوتراً ومتحمساً في الوقت ذاته. عندما أوقدت المصباح، لمعت الفاكهة في الضوء. لكنني اكتشفت ما يكتشفه أي شخص يبدأ مشروعاً تجارياً: ليس هناك مشروع سهل.

بيع الفاكهة عمل يتطلب إدارة الوقت بدقة، وهو ما أطلق عليه "حسابات ذكية"، إذ يجب أن يتلاقى سعر المشتري مع سعر البائع في اللحظة الصحيحة تماماً. فعلى سبيل المثال، إذا ما رفعت السعر عالياً في البداية وفشلت في بيع ما معي من فاكهة في ذلك اليوم، فلن يكون هناك خيار أمامي سوى تخفيض السعر للتخلص من الكمية المتبقية. الفاكهة سلعة لا يمكن الاحتفاظ بها طويلاً ويجب بيعها. لذا، كان يتعين عليّ كل يوم أن أبيع الفاكهة بأعلى سعر في أسرع وقت.

في البداية تعلمت دقائق وتعقيدات بيع الفاكهة، وذلك حين انتهى الأمر بشكل فجائي في أحد الأيام. فقد كنت جالساً في مكاني المعتاد أمام المسرح. كان الطقس في ذلك اليوم ممطراً، وكانت عملية البيع بطيئة بالطبع. عندما خرجت آخر مجموعة من المسرح،

اصطدمت سيارة كانت ترجع للخلف بعربتي، فتناثرت جميع الفاكهة على الطريق وانفجرت بطيخات كبيرة. كل ما تبادر إلى ذهني في تلك اللحظة هو محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه. زحفت على الرصيف محاولاً وقف تناثر الفاكهة. عندئذ سمعت صوت السائق يصرخ في وجهي: "أنت أيها الأحمق! لماذا تبيع الفاكهة الرديئة هنا"؟ كان السائق رجلاً بغيضاً واستمر في الصياح بصوت عالٍ فتجمدت في مكاني خائفاً، لا أعرف كيف أرد. وفي ظل هذا الغضب الجامح منه، سارعت دون تفكير إلى الاعتذار.

عندما انطلق بعيداً بسيارته، اشتطت غضباً. كنت مستاءً من كوني فقيراً. شعرت بالاشمئزاز من نفسي لأني استسلمت لهذا الرجل واعتذرت له. سألت نفسي "ما هذا الذي أفعله"؟ فتشت في جيوبي لأعرف كم معي من النقود. كانت معي نقودٌ كافية توصلني إلى سيول، فقررت الهرب إلى هناك.

أولاً، مسحت دموعي واتجهت إلى خيمة، وهي عبارة عن حانة صغيرة رخيصة على جانب الطريق. دلفت إلى داخلها وطلبت مشروب السوجو soju (مشروب كحولي يشبه الفودكا مصنوع من تقطير الأرز أو الشعير)، وطلبت بعض الطعام أيضاً. كنت أريد أن أسكر. ذهلت السيدة العجوز عندما رأتني أطلب المشروب. عرفت أنني لم أسكر أو أتراخى في العمل مطلقاً. سألتني إن كنت أواجه مشكلة، لكنني لم أكن في مزاج للحديث. كررت طلبي وطلبت منها أن تسرع. لكن السيدة مشت الهوينا. في هذه اللحظة، خطرت أمي على بالي بقوة. أدركت لأول مرة أنني لم أقدِّم إليها مطلقاً حبة فاكهة. عندما كنت أعود إلى المنزل بعد شراء الفاكهة من بائع الجملة، كانت أمي تساعدني في غسل الفاكهة وتلميعها، وتتساءل في عجب: "انظر كيف تبدو الفاكهة جميلة! جميعها تبدو شهية"! وعندما كانت تقول ذلك كنت أتظاهر بأنني لم أسمعها حتى لا أُضطر لإعطائها حبة من الفاكهة، ما يعني خسارة ربحها لو بعتها. لقد فعلت هذا بأمي التي كانت تدعو لي دائماً كل صباح. وأدركت إلى أي مدى أصبحت بخيلاً.

قررت تأجيل المغادرة إلى مدينة سيول يوماً آخر. نهضت دون أن أتناول المشروب. جمعت ما تبقى من فاكهة وأفرغتها في العربة، واتجهت عائداً إلى المنزل. بمجرد دخولي إلى المنزل صحت بصوت بهيج: "أمي! تفضلي بعض الفاكهة. تبقى لديّ الكثير اليوم". عندما سمعت أمي هذا، نظرت في وجهي وعرفت على الفور أن هناك شيئاً ما. نظرت إلى الفاكهة المكسّرة والعربة المنبعجة، وابتسامتي العريضة على غير العادة، تحولتْ بعيداً عني وذهبت إلى سريرها دون أن تنبس بكلمة واحدة. اغتسلتُ وذهبت إلى سريري، وكان كل ما يشغلني هو الهرب.

كعادتها استيقظت أمي مبكراً في صباح اليوم التالي. لكن دعاءها لي كان أطول، لم يكن مجرد دعاء بأن يقويني الله. دعت أمي بجد وإخلاص، وبدا أنها لم تذق طعم النوم في تلك الليلة. اقشعر بدني عندما سمعت أمي وهي تدعو لي. تأكد لي أنها "تهتم بي بالفعل". رقرقت عيوني واهتز قلبي. أجّلت خططي مرات عدة. وفي النهاية، بقيت. مع مرور الوقت، عدت إلى حالتي العادية، وهدأ غضبي وتبدد إحباطي.

لو أن تلك السيدة قد أحضرت لي مشروب السوجو دون تردد، لسكرت ولركبت القطار المتجه إلى سيول في تلك الليلة. لولا دعاء أمي لي في صباح اليوم التالي، لغادرت في ذلك اليوم. ولو فعلت ذلك لربما اختلفت حياتي تماماً.

مغادرة بوهانج

في سنتي النهائية في المدرسة الثانوية، اتخذت أمي قراراً هاماً. قررت أن تنتقل الأسرة بكاملها، عداي أنا وأختي، إلى سيول حتى يتمكنوا من تدبير مصاريف أخي سانج الأكبر الذي كان قد انتقل بالفعل إلى هناك. كان يتعين عليّ البقاء هنا حتى أتخرج من المدرسة.

شرع والداي في بيع كل شيء نمتلكه تقريباً لتوفير المال للانتقال إلى سيول. لكنهما لم يجمعا مالاً وفيراً لأنه لم يكن لديهما أشياء كثيرة يمكن بيعها. أكدت أمي أنها سترسل نقوداً لي ولأختي كل شهر. وهكذا، حزمت أسرتي أمتعتها وغادرت بوهانج، وبقينا أنا وأختي في موقع المعبد القديم.

كانت أمي ترسل لنا نقوداً كل شهر، لكن لم تكن كافية قط. أصبحت حياتي أكثر تعاسة. كنت أنا وأختي نعاني الجوع دائماً. كنت أشتري الأرز ونلتزم بالكمية اليومية، وإلا سوف ينفد منا الطعام قبل أن ينتهي الشهر. ولذا، صنعت ثلاثين حقيبة باستخدام بقايا الورق، وقسمت فيها الأرز إلى ثلاثين حصة يومية. وأعطيت أوامر صارمة لأختي بعدم تجاوز الكمية اليومية.

في يوم من الأيام، بلغ الجوع بأختي مبلغاً عظيماً فصاحت قائلة: "دعنا نأكل كما نريد لمدة عشرين يوماً ثم نجوع باقي الشهر". حتى اليوم، تقول لي أختي كم كنتُ شحيحاً في تلك الأيام. قالت لي لاحقاً إنها فكرت في الهرب مرات كثيرة. ولم أقل لها إن الفكرة ذاتها قد راودتني كثيراً أيضاً. كان الجوع مؤلماً، كان يوجع بمعنى الكلمة. ولأحصل على بعض المال كنت أقوم بتقطيع الأخشاب وبيعها. ورغم ما فعلت وحاولت، لم استطع الهرب من الفقر.

في عام 1959 تخرجت من المدرسة الثانوية، وتم اختياري لإلقاء كلمة التخرج، لكن لم يكن لديّ الوقت لحضور حفل التخرج، لأنني كنت سأسافر إلى سيول مباشرة للانضمام إلى باقي الأسرة. وربما لأني كنت أريد أن أترك بوهانج في أسرع وقت ممكن للهرب من الجوع الموجع. أمسكت بيد أختي الصغرى وركبنا القطار المتجه إلى سيول.

في طريقنا إلى سيول، كان الخوف والقلق يتملكني. لم أتوقع أن يتحسن وضعي في سيول. وكنت في الواقع قلقاً من أن يزداد الوضع سوءاً، في ظل ما سمعته من والدي أن

الحياة في سيول تشبه تقريباً الحال التي كنا عليها في بوهانج. حاولت أن أكون إيجابياً، على أمل أن أجد فرصاً كثيرة في مدينة كبيرة مثل سيول وأن تتحسن الحياة. لكن الأمل ظل يهرب مني.

عندما وصلت، وجدت والديّ يعيشان في كوخ صغير في بلدة "إيتايون" التي تقع في وسط سيول. كانا يبيعان الخضراوات على طاولة. لا شيء تغير. فأسرتي لا تزال فقيرة، ولا نزال جوعى. الفارق الآن هو أننا فقراء وجوعى في سيول بدلاً من بوهانج.

لم تدم كثيراً فرحة إعادة التجمع والتئام الشمل. وجدت أن المنزل الذي يعيش فيه والداي صغير جداً ولا يسعنا بوجودي أنا وأختي. وفي اليوم التالي، بحثت ووجدت غرفة صغيرة. وهكذا كانت أسرتي مفرّقة حتى في سيول. وكانت أمي حزينة لهذا الأمر. وكانت تطلب مني أن أذهب إلى المنزل مرتين يومياً حتى تتناول الأسرة على الأقل الوجبات معاً. لكن المكان كان بعيداً جداً، حيث لا أستطيع أن أقطع المسافة مشياً على الأقدام، ولم يكن معي مال يكفي لركوب الحافلة.

متسرب من الجامعة!

أحد الأمور الجيدة في الحياة في سيول، هو أنه لأول مرة في حياتي يصبح لديّ وقت فراغ كبير. فعلى عكس الوضع في بوهانج، لم يكن لديّ هنا الكثير مما يمكنني القيام به. كنت أستيقظ في الرابعة صباحاً وأهرول إلى "سوق العمال" حيث يصطف عمال اليوميّة في طابور بانتظار أن يتم اختيارهم لأي مهمة يقومون بها. لكن جسمي كان ضامراً نحيفاً، وعادة ما يتم تجاوزي لاختيار من يقف بجواري، الذي عادة ما يكون أطول مني قامة. كنت أجعل ظهري مستقيماً سعياً لتطويل قامتي، وأنفخ صدري، وأحاول أن أبدو قوياً، لكن كل ذلك دونما جدوى. ولم يبال أحد بأنني خريج مدرسة ثانوية عامة، عندما كدت أسقط ميتاً عند محاولة رفع كيس إسمنت.

في الأيام التي لم يكن يتم اختياري فيها (وما أكثر تلك الأيام)، لم يكن لديّ ما أفعله. خلال تلك الأوقات، كنت أركب القطار - دون أن دفع الأجرة - وأسافر الطريق كله. أو أهيم على وجهي متسكعاً في سيول. كثيراً ما كنت أجد نفسي بالقرب من كليات مختلفة. وعندما كنت أرى طلاب الكليات كنت أفكر في نفسي: "ماذا أفعل هنا"؟ ثم أعود. وأتذكر بطاقة بريدية أرسلها لي أخي عندما كنت أدرس في الثانوية العامة، حيث كتب فيها "باك، لا تتخل أبداً عن حلم الالتحاق بالجامعة. ورغم أنك في مدرسة ليلية، لكنك إن اجتهدت فيمكنك الالتحاق بالجامعة".

فكرة الجامعة كانت تتملكني وكانت تستحوذ على فكري، لكنني لا أعرف ماذا أفعل أو من أين أبدأ. ثم تذكرت معلمي في المدرسة الإعدادية. ورغم أن ما قاله لي بضرورة الحصول على الشهادة الثانوية لم يساعدني في الحصول على عمل، إلا أنني أعلم أنه كان على صواب إجمالاً. قياساً على ذلك، استنتجت أنه من الأفضل لي أن أكون خريج جامعة بدلاً من أن أبقى خريج مدرسة ثانوية.

وحيث إن الالتحاق بالجامعة كان أمراً بعيداً من مقدرتي المالية، خطرت ببالي خطة بديلة. أفضل شيء بالنسبة لي في ظل هذه الظروف هو أن أصبح متسرباً من الجامعة! ذلك أن الناس ينظرون باحترام للمتسرب من الجامعة أكثر من خريج الثانوية العامة فقط. كل ما أحتاج إليه هو اجتياز امتحان القبول بالكلية التي أرغب فيها، وعندها أصبح بشكل تلقائي متسرباً من الجامعة. بدا لي أن هذه فكرة رائعة.

في اليوم التالي، التقيت صديقاً قديماً من بوهانج يعيش في سيول. بدأنا ندرس سوياً ونستعد للامتحان. المشكلة الوحيدة التي كانت تقف أمامي هي أنه ليس لديّ أي فكرة ما هي الكتب التي يجب أن أذاكرها وكيف أستعد للامتحان. ولكن صديقي هذا كان ريفياً، ولم يمض وقتاً طويلاً في سيول، وبالتالي لم يفدني بشيء.

وجدت صديقاً قديماً آخر من المدرسة الإعدادية. عقب التخرج من المدرسة الإعدادية في بوهانج، التحق صديقي هذا بمدرسة كيونج-جي، وهي واحدة من أكثر المدارس الثانوية الكورية التي يتمناها الطلاب. ثم التحق بكلية القانون في جامعة سيول الوطنية، التي تعد أعرق الجامعات الكورية. عندما شرحتُ له خطتي الطموحة (المجنونة)، قاطعني وقال لي: "أتريد الالتحاق بالجامعة؟ انظر يا باك، لا يمكنك الالتحاق بالجامعة لمجرد أنك تريد ذلك. لا تضع وقتك. أعتقد أنه من الأفضل لك أن تبحث عن شيء آخر. إضافة إلى أن تخرجك من المدرسة الليلية لن يساعدك في شيء".

كان تعليقاً أميناً فشكرت له صراحته رغم أنه آلمني. لم ألُمه لأنه يعلم تماماً ما هو وضعي. ومع ذلك سألته إن كان بوسعه مساعدتي وإعارتي بعض الكتب، لكنه ظل يلف ويدور حول الموضوع، ورجعت صفر اليدين.

ومع ذلك لم أستسلم، وفي أحد الأيام عرض أحد الجيران حلاً لمشكلتي. قال لي إنه يمكنني الحصول على كافة الكتب الضرورية في مكتبات الكتب المستعملة، واقترح عليّ أن أذهب وألقي نظرة عليها. وبعد أن ادخرت عشرة آلاف "هوان"* (قرابة 30 دولاراً أمريكياً) من خلال العمل في السوق في مدينة إيتايون، ذهبت إلى مكتبة لبيع الكتب المستعملة التي تبيع "الأدلة الإرشادية للطلبة المتقدمين لامتحانات دخول الجامعة". كان صاحب المكتبة رجلاً في الأربعينيات من العمر. سألني: ما نوع المواد التي تبحث عنها؟ أجبته: "لا أعرف. ليس لديّ فكرة عن الكتب التي يجب أن أدرسها".

نظر الرجل إليّ في إشفاق وقال: "هل تريد أن تلتحق بإحدى كليات العلوم الإنسانية، أم العلوم الطبيعية؟" ففي كوريا عادة ما يقرر الطلاب خلال دراستهم في

---

* كانت الـ"هوان" هي العملة الكورية في ذلك الوقت، وتغيرت إلى الـ"وون" (Won) في عام 1962. (المترجم)

المدرسة الثانوية العامة ما إذا كانوا سيواصلون دراسة العلوم الإنسانية أو العلوم الطبيعية، ويدخلون امتحانات دخول الكليات بناءً على ذلك. لكن نظراً لأنني تخرجت من مدرسة ثانوية تجارية، لم يكن فيها تمييز من هذا النوع، فلم أفكر في هذا مطلقاً.

لذا، فقد وقفت حائراً. ثم قلت: "أريد الالتحاق بكلية تجارية" لأن أخي الأكبر تخرج في كلية تجارية، وأنا تخرجت في مدرسة ثانوية تجارية. رد صاحب المكتبة: "حسناً، أنت تعني العلوم الإنسانية. الآن، ما هي الكلية التي تريد أن تلتحق بها"؟ قلت له: "لا يهم. طالما قُبلت، أي كلية ستكون جيدة بالنسبة لي".

حملق الرجل في دهشة، ثم اتجه نحو الرف الخلفي واختار بعض الكتب. وبعد وضعها على الطاولة، بدأ في حساب السعر مستخدماً آلة العد الصينية (المسماة Abacus). وقال لي: "إجمالي السعر هو ثلاثون ألف هوان. وهذا سعر مخفض لك يا بُني".

ترددت، فكل ما كان معي هو عشرة آلاف هوان فقط.

وجّه الرجل إليّ نظرات حانقة وبدأ يسبني بألفاظ جارحة. فوجئت بسلوكه، ونظراً لطبيعة الرجل وغضبه خشيت أن يفتك بي. لكنني كنت في حاجة ماسة إلى هذه الكتب.

شرحت له خطتي، وعندما انتهيت، هدأ الرجل نوعاً ما، وأعاد الكتب ورجع بمجموعة أخرى. وقال لي: "خذ، إذا ذاكرت هذه الكتب فستستطيع اجتياز امتحان القبول. أعطني ما معك، واحضر باقي النقود فيما بعد". دهشت من صنيع الرجل ولم أعرف ماذا أفعل. وعندما رآني لا أزال واقفاً مكاني، صاح قائلاً: "اذهب، قبل أن أغير رأيي، أيها العبيط الأحمق". دونما تردد، حملت الكتب، وجريت بأسرع ما يمكن. وعندما ابتعدت بمسافة آمنة، تنفست الصعداء، وتعجبت من حسن حظي.

بفضل صاحب المكتبة سيئ المزاج سليط اللسان (لكن طيب القلب على ما يبدو)، أصبحت الكتب الضرورية بحوزتي. لكن لم يكن هناك وقت كافٍ للمذاكرة، إضافة إلى أنه يتعين عليّ مساعدة أبي وأمي كل صباح ومساء. خصصت وقتي المتبقي للمذاكرة. وكلما ذاكرت أكثر أدركت كم أنا جاهل. ذاكرت مثل المجنون.

عندما جاء وقت تقديم الطلبات، تقدمت إلى كلية التجارة في جامعة كوريا. بحثت في كليات التجارة الأخرى، لكن هذه كانت الكلية الوحيدة التي لا تتطلب اختباراً بلغة أجنبية. وعليه فقد تصورت أن هذا قد يزيد من فرص نجاحي. وكان الكثيرون يتوقعون أن المنافسة على الالتحاق بكلية التجارة في جامعة كوريا ستكون منافسة شرسة، نظراً لأن ذاك العام – 1960– كان هو أول عام دراسي فيها.

اقترب موعد الامتحان وأعباء العمل كما هي. فوالدايَ لم يقللا من المهام التي يكلفاني بها. عندما وجدت أنه لم يتبقّ سوى شهر واحد على الامتحان، تناولت منبهاً كان شائعاً بين الطلاب حتى يعينهم على السهر يسمى "أنّا–بونج" (anna-pong). لكنه أتى بنتيجة عكسية، وانهرت جسدياً، وأصبحت طريح الفراش ولم يتبق على الامتحان سوى ثلاثة أيام فقط.

في يوم الامتحان، استجمعت قواي، ونهضت من على السرير وذهبت إلى الامتحان. بعد ذلك، شعرت أنني أديت جيداً في اللغة الإنجليزية والرياضيات، لكنني لم أعرف إن كنت قد اجتزت الامتحان أم لا. قلت لنفسي إن خوض الامتحان هو أمر قيّم في ذاته، ومهما كانت النتيجة فسوف أرضى بها، ويكفيني شرف المحاولة.

لم أندم وشعرت بالاسترخاء وأنا في انتظار نتيجة الامتحان. وجاء انتظاري بالفائدة التي رجوتها. إذ ظهر اسمي ضمن قائمة الطلاب الذين اجتازوا الامتحان وتحقق حلمي بأن

أصبح متسرباً من الجامعة! كنت سعيداً وشاركني جيراني سعادتي. سألوني جميعهم إن كنت أملك مصاريف الدراسة أم لا. ابتسمت وقلت: "لا، لا أحتاج إلى أن يكون لدي مصاريف الدراسة. طالما أنني اجتزت الامتحان، أنا متسرب من الجامعة، وأنا مكتفٍ بهذا".

لكنني كنت مخطئاً، إذ سرعان ما اكتشفت أنه لكي أصبح متسرباً من الجامعة، يتعين عليّ أن أسجل أولاً، وأحضر فصلاً دراسياً على الأقل. لذا رغم خطتي الذكية فقد أغفلت ما كان بديهياً.

وعليه، كنت أحتاج إلى مصاريف التسجيل. والآن أمامي تحدٍّ أكبر وأصعب من اجتياز الامتحان. ورغم سعادة والديّ باجتيازي الامتحان، إلا أنه لم يكن معهما أية نقود لدفع مصاريف الجامعة. والطريقة الوحيدة لتوفير المال هي من خلال العمل، ولكن العمل كان شحيحاً.

في الوقت الذي أوشكت فيه على الاستسلام، عرض عليّ أصحاب متاجر في إيتايون حلاً لمشكلتي. قرروا أن يستأجروني كجامع للقمامة، وأعطوني مبلغاً من المال مقدماً كان كافياً لتغطية مصاريف التسجيل. نبع كرمهم هذا من احترامهم العظيم لأمي. فأمي كانت دائماً أول من يقدم العون والمساعدة. وكانت آخر من يغادر السوق، لأنها كانت تظل حتى وقت متأخر لمساعدة الآخرين في ترتيب متاجرهم آخر اليوم. وهكذا، فإن عرض أصحاب المتاجر لتوظيفي والدفع لي مقدماً، كان بمنزلة رد الجميل لكرم أمي. كنت أجمع القمامة بالليل ثم أقوم برميها في أرض فضاء على بعد عدة أميال كل صباح عندما يُرفع حظر التجول.[3] بدا الأمر سهلاً بالنسبة إلي وشكرتهم على إتاحة هذه الفرصة لي. لكن بعد ذلك تبين لي أن نقل القمامة إلى حيث يجب أن ألقيها لم يكن بالمهمة اليسيرة. بل كانت في الواقع واحدة من أصعب وأشق المهام التي قمت بها في حياتي. في كل صباح، كان يتعين علي ملء عربة اليد بالقمامة ونقلها إلى مسافة تبعد أميالاً عدة. الطريق كان

منحدراً وصعود التل كان خطيراً، والهبوط منه كان يمكن أن يودي بحياتي. وكان إكمال مهمتي الصباحية يستغرق مني الذهاب والإياب ست مرات.

بدأت هذا العمل أملاً في الحصول على ما يكفي من المال لدفع رسوم التسجيل ومصاريف الفصل الدراسي الأول بما يمكنني من أن أصبح متسرباً من الجامعة. لكن عقب ذلك ومهما حاولت فلم أستطع ترك الوظيفة. كنت أخشى إذا تركتها أن يُقال عني إنني ناكر للجميل. كما أنني لم أرغب في أن أنتقص من قدر أمي بأي شكل من الأشكال. إضافة إلى ذلك، كان يريد أصحاب المتاجر مني الاستمرار في العمل لأن الشخص الذي كان يعمل قبلي اشتهر بأنه يترك العمل كلما شعر برغبة في ذلك؛ فإذا أمطرت، كان يعود إلى منزله مبكراً، وإذا أثلجت كان يأخذ يوماً إجازة. أما أنا فلم أتغيب يوماً واحداً. لذا فقد استمررت في هذه الوظيفة حتى وصلت للسنة الثانية في الكلية.

بحلول ذلك الوقت، اقتنعت بأنني ينبغي أن أكمل دراستي. ولم أكن أدرك إلى أي مدى سيغير هذا القرار حياتي.

الفصل الثالث

شخص جديد كلياً

بدأت أدرك الحياة من حولي. تفتحت عيناي واتسع أفقي. ورحت أفكر في الناس والوطن وماذا يعنيان بالنسبة لي.

رئيس اتحاد الطلاب

في ربيع عام 1961، وهو العام الذي التحقت فيه بجامعة كوريا، وقع انقلاب "16 مايو".[4] قبلها بعام واحد كانت جامعة كوريا قد تزعمت مظاهرات تنادي بتطبيق الديمقراطية (سميت بـ"حركة 19 إبريل"، والتي قادت إلى تنحي الرئيس رِي سينجمان عن السلطة)، لكن الوضع في الجامعة هدأ عقب وقوع الانقلاب.

ورغم التحاقي بالجامعة، ظلت حياتي كما هي. في كل صباح أجمع القمامة، وفي المساء أساعد والديّ. ولم يكن لديّ بالطبع وقت للمذاكرة. كل ما كنت أفعله هو كتابة أبحاث الفصول الدراسية في منتصف الليل، وأنا أقاوم النوم والإرهاق الشديد جراء العمل طوال اليوم.

في الكلية، كان الوقت الذي أنفرد فيه مع نفسي هو الوقت الفاصل بين المحاضرات. كنت أجلس إلى نفسي، وأقرأ أكبر قدر ممكن من الكتب. وكثيراً ما كنت أدخل في أحلام اليقظة. كنت على هذه الحال فيما كان الطلاب الجدد منشغلين بالاستمتاع بحريتهم وحياتهم كطلاب في المرحلة الجامعية. كانوا يذهبون لحضور الحفلات والالتقاء بالفتيات. أما أنا فحياتي الجامعية لم يكن فيها أي شيء من هذا.

خلال سنتي الثانية بالكلية، حققت أمي أخيراً ما كانت تحلم به طيلة حياتها. تمكنت من استئجار محل صغير يقع داخل السوق. وكان هذا بالنسبة لنا خطوة ضخمة. فعندما كنت صغيراً، أتذكر أن أمي كانت تتنقل باستمرار ما بين بقعة وأخرى، لأن أصحاب المحلات كانوا يطردونها بعيداً عن محلاتهم مخافة أن تعيق حركة زبائنهم. وكان هناك صاحب محل فظ بشكل خاص، حيث كان دائماً ما ينهر أمي، قائلاً لنا: اغربوا عن وجهي. كرهت هذا الرجل بشدة لدرجة أن حلمي الأكبر كان الحصول على مال كافٍ لشراء المحل الذي يمتلكه. بعد سنوات عندما أصبحت رئيساً تنفيذياً لشركة هيونداي، زرت السوق حيث كان محل هذا الرجل، لكنني وجدت أن المحل قد أُزيل في إطار برنامج التطوير العمراني.

رغم أن أسرتي حققت حلمها في أن يكون لديها محل دائم، إلا أن حياتنا استمرت على الحال الشاقة ذاتها. بالنسبة لي، كان استيقاظي في الساعة الرابعة صباحاً، للقيام بست جولات لإلقاء القمامة عذاباً خالصاً. كان جسمي ينهار، وكنت أعاني حالة إرهاق شديد. عندها قررت أن أبحث عن مخرج من هذا البؤس. وكان المخرج هو الالتحاق بالخدمة العسكرية.

معلوم أن جميع الذكور الكوريين اللائقين بدنياً يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية. وجميع الكوريين الذكور يخافون، حتى يومنا هذا، من الالتحاق بالخدمة العسكرية. وأي شخص لا يشغل كادراً في الأكاديميات العسكرية أو ينشد وظيفة في الجيش، كان ينظر إلى الخدمة العسكرية على أنها مكان يتعرض فيه المجند للضرب بشكل دوري (الآن صار ممنوعاً)، وكان التجنيد حدثاً رئيساً في حياة المرء. كان الآباء يقلقون على سلامة أبنائهم، وكان الأبناء يودعون آباءهم وداعاً حاراً وطويلاً يصاحبه تناول مشروبات كثيرة وحالة من الحزن، وكأنهم ذاهبون للحرب فعلاً. يمكن استيعاب هذه المشاعر كون كوريا الجنوبية

تقع بجوار جارة مشاكسة، هي كوريا الشمالية التي غزتها من قبل، ولم يكن هناك ما يضمن عدم تكرارها لهذا الأمر ثانية. وتهديد الحرب كان حاضراً دائماً، والتدريب العسكري كان شاقاً حقاً.

أما بالنسبة لي، فالالتحاق بالخدمة العسكرية بدا وكأنه الحل المثالي. ورغم توقعي بأن الحياة العسكرية ستكون صعبة، إلا أنني لم أفكر في أنها ستكون بالصعوبة التي عليها حياتي المدنية. اعتقدت أن الخدمة العسكرية ستوفر لي الطعام والملابس، ولن أقلق بشأن المال أو مصاريف التعليم. والأهم من ذلك كله، هو أنني لن أجمع القمامة. ظننت أنه بمجرد تحملي لشهور التدريب الأولى، سأكون قادراً على الاستمتاع ببعض وقت الفراغ.

عقب الانتهاء من الفصل الدراسي الأول من العام الثاني في الكلية، تطوعت للخدمة. أرسلوني إلى معسكر تدريب أساسي في مدينة "نون-سان". بعد قضاء ليلة فيها، استدعونا لعمل فحص طبي لمعرفة ما إذا كنا لائقين للخدمة العسكرية أم لا. وقفنا جميعاً في طابور، ومررنا بالإجراءات المتبعة. كان الفحص الطبي إجراءً إلزامياً، ويجتازه الجميع عادة، ما لم يكن هناك مرض يهدد حياة الشخص المتقدم أو إعاقة قوية.

وقفت في الطابور انتظاراً للفحص الطبي، وعندما حان دوري، توقعت أن يتم فحصي بشكل روتيني ويتم قبولي. إلا أن الطبيب العسكري فحصني بسماعته الطبية ببطء، وقال: "يا بني، هل تعرف الحالة التي عليها جسدك الآن؟ العسكرية لا تقبل بمجندين مثلك". ونصحني أن أذهب لإجراء فحوصات طبية إضافية.

كان الطبيب محقاً، فقد اتضح أن جسدي في حالة مزرية. شعب القصبات الهوائية كانت متمددة، وهذا كان يسبب لي التهاباً في الحنجرة، وهي حالة تعرف بالتمدد الشُّعبي أو توسع القصبات الهوائية (bronchiectasis). وتذكرت أنني كثيراً ما كنت أصاب

بالسعال، وارتفاع درجة الحرارة، وهي عوارض أخرى لحالتي. وقال الأطباء لي إنني أعاني من خُرّاج جيبي (empyema)، وأن هذه العوارض مرتبطة ببعضها بعضاً، وليس لها علاج نهائي. وأن التمدد الشعبي يتفاقم مع التعب والإرهاق. وهكذا، عقب الفحص الطبي الرسمي، رُفضت من الخدمة العسكرية. وفي وقت لاحق، زارني محقق من الشرطة العسكرية، ظناً منهم أنني قمت بأمور غير قانونية للتهرب من التجنيد. لكنهم اكتشفوا بسرعة أن الأمر ليس كذلك.

بعد ذلك، وبمساعدة من أصدقائي، دخلت مستشفى لم تتطلب مني أموالاً كثيرة. وفي أحد الأيام، جاء الطبيب إلى سريري، خلال جولته الروتينية، ونظر في الملف الخاص بي، ثم أمر أحد الأطباء المقيمين أن يعطيني نوعاً محدداً من الأدوية (ذكر الطبيب اسم الدواء باللغة الإنجليزية، لذا أعتقد أنه دواء مرتفع الثمن). لكن عندما علم أنني مصنف ضمن "الفئة التي لا تستطيع دفع نفقات العلاج"، لم يقل شيئاً وتابع جولته. بعد قضاء شهر في المستشفى، استعدت بعض عافيتي وصرفوني من المستشفى. ومن حسن حظي أن الدواء الرخيص الذي أُعطي لي، بدلاً من الغالي الذي وصفه الطبيب، قد آتى مفعوله.

بمجرد خروجي من المستشفى، عدت إلى حياتي كطالب جامعة، وللإنفاق على نفسي من خلال جمع القمامة. ومع ذلك فقد طرأ على حياتي تغيّر صغير لكنه مهم. فقد تخرج أخي سانج-دوك من جامعة سيول، وحصل على وظيفة في شركة "كولون"، وهي شركة كورية عريقة متخصصة في المنسوجات. وفي ظل عمل أخي الدائم بمرتب جيد، بدأ وضعنا المالي يتحسن إلى حد ما.

أما من الناحية السياسية، فكانت الأمور تسير باتجاه مشؤوم. فالحكومة العسكرية الجديدة بقيادة الرئيس بارك شونج-هي، كانت تمارس سلطتها بصرامة، وكانت الجامعات

على وشك الانفجار. بدأ الطلاب في شتى أنحاء الدولة بالدعوة إلى الديمقراطية. وعندما بدأت إدارة الرئيس بارك في مفاوضات رسمية مع الحكومة اليابانية لتطبيع العلاقات بين البلدين، انفجر الطلاب.

رأى كثير منهم أن هذه المفاوضات سابقة لأوانها ومهينة، على خلفية احتلال كوريا من قبل اليابان. واندلعت مظاهرات طلابية حاشدة. وما بدأ كمظاهرات تعارض محادثات التطبيع مع اليابان، تحول إلى مظاهرات مناهضة للحكومة تدين الحكم المستبد للرئيس بارك.

لقد افتقرت "حركة 19 إبريل" في العام السابق إلى استراتيجية متماسكة، وكانت عفوية وغير منظمة. أما هذا العام، فكان لدى الطلاب هدف محدد واستراتيجية واضحة. كان يعرفون ماذا يريدون، وما هي أهدافهم. بدأت حركة الطلاب تكتسب زخماً هائلاً، وقادت إلى تشكيل ما يسمى "جيل 3 يونيو" الذي يشير إلى هؤلاء الذين اتحدوا معاً لمعارضة المحادثات الحكومية لتطبيع العلاقات مع اليابان. وتطورت حركة 3 يونيو، ووضعت بالتعاون مع حركة 19 إبريل، أساس الديمقراطية في كوريا.

كان التضامن فيما بين الطلاب في أقصاه، وعقدت الجامعات انتخابات لاختيار رئيس اتحاد الطلاب عن كل قسم. وقررتُ الترشح عن كلية التجارة.

بدا قراري هذا مندفعاً. ولأنه لم يكن لدي وقت لحضور أنشطة جامعية أو الانضمام إلى نوادٍ، فلم يكن لديّ أصدقاء. ولم يكن لدي ارتباط بأي من روابط خريجين لكي أعتمد عليها، وهذا أمر هام وحيوي في كوريا. كنت أول طالب من مدرسة دونج-جي الثانوية التجارية يلتحق بجامعة في سيول. وعليه لم أكن معروفاً، وفرص نجاحي في الانتخابات كانت ضعيفة للغاية. كل ما كان لدي هو بضعة أصدقاء من بوهانج، إضافة إلى أنني كنت

لا أزال خجولاً. ولم أقف أمام الناس مطلقاً، ونادراً ما شاركت أفكاري مع الآخرين. والخطابة العامة شيء لم أقم به مطلقاً.

لكن كان لديّ سبب في الترشح. فلغاية السنة الثانية في الكلية، كانت حياتي كلها عبارة عن سلسلة من الصراعات. كان عقلي مشغولاً بالبقاء والكفاح لتلبية الاحتياجات الأساسية. ومع ذلك، فقد بدأت أدرك الحياة من حولي. تفتحت عيناي واتسع أفقي، ورحت أفكر في الناس والوطن، وماذا يعنيان بالنسبة لي. وأنا أرقب المظاهرات الطلابية، كنت أتأمل فيما هو أهم فعلاً. كانت كوريا لا تزال فقيرة ونامية، وحتى أفضل الجامعات كانت تعلق لوحات إعلانات تعلن عن عدد الخريجين الذين التحقوا بالشركات. أدركت أن هناك أموراً كثيرة في الحياة. أدركت أن الحرية، والديمقراطية، والرخاء هي أمور أكثر أهمية، وأن لديّ دوراً يجب أن ألعبه، وإن كان صغيراً. لقد علمني البائعون في مدينة إيتايون معنى الحياة حقاً، وعلموني العطف، والمسؤولية، وماذا تعني مساعدة المحتاجين. ولولاهم لما استطعت توفير مصاريف الدراسة. وهم أُناس يحتاجون إلى من يمثلهم. كثير منهم كانوا منبوذين، لا صوت لهم، وأسرتي كانت واحدة منهم. لقد عانيت المشقة والصعاب، وتعلمت أن الحياة أكثر من مجرد جني المال.

لكن ما لاحظته كان مزعجاً بعيداً عن حفنة من الطلاب الناشطين، فقد وجدت أن كثيراً من الذين يشاركون في المظاهرات يفتقرون لأي هدف. عندما سألتهم، أقرّ كثير منهم بأنه ليس لديه فكرة واضحة عن سبب المشاركة في المظاهرات، أو أنهم غير مهتمين مطلقاً. وبدا بعضهم مستمتعاً بالتخريب والهروب من الكلية. لم يعملوا يوماً واحداً في حياتهم. والحياة بالنسبة لهم تعني الحصول على وظيفة كريمة وجني المال. كانوا يجهلون الحياة القاسية التي يعيشها ملايين الكوريين الآخرون.

أما أنا فبخلافهم، عركت الحياة القاسية، وعرفت مدى انتشار الظلم في المجتمع. شعرت بالإحباط عندما رأيت أن مصاريف الطلاب لا تستخدم لتعزيز مصالحهم.

وشعرت بالصدمة عندما علمت أن الطلاب لا يهتمون ولا يبالون. غضبت عندما استخدمت المظاهرات كأداة للتنفيس عن الغضب لا أكثر من ذلك. كلٌّ كان له منظوره الخاص به، وجميعها كانت مستساغة، لكن الحقيقة أنها كانت فوضى دون هدف واضح. بدأ إحباطي يزداد أكثر وأكثر.

على المستوى الشخصي، أردت تغيير نفسي. لاحظت أنني أصبحت أكثر انطوائية. وكان أملي هو أن خوض الترشح في انتخابات اتحاد الطلاب من شأنه أن يجعلني إنساناً آخر، شخصاً أكثر نشاطاً وانخراطاً في المجتمع. كنت واقعياً؛ فإذا ما انتخبتُ فسوف يكون نصراً جديراً بالاحتفاء، وإذا ما خسرت فسأكون على الأقل قد عرّفت الناس بمن أكون. كنت أقول لنفسي إنها فرصة لكي أصبح إنساناً جديداً تماماً، لي ميونج-باك مختلف. وأصبحت مقتنعاً بأن هذه الانتخابات ستكون نقطة تحول هامة في حياتي.

رغم أن الانتخابات كانت حدثاً صغيراً من حيث الأهمية، إلا أنها توافرت فيها كافة العناصر التي تتوافر في أي انتخابات ضخمة. والمرشحون قاتلوا لكسب الأصوات، مثلما يحدث تماماً في أي سباق انتخابي آخر. قال كل منهم للطلاب ما فعله للقسم، وما ينتوي فعله لو تم انتخابه. المرشحون الآخرون كلهم مشهورون ولديهم التمويل والتنظيم الضروري لشن حملة انتخابية فعالة. أما أنا فليس لديّ أي من هذا كله. بعدما سجلت نفسي كمرشح، خرجت واحتسيت مشروباً مع بعض أصدقائي الذين ينحدرون من مدينتي. وعندما أبلغتهم بها أنوي فعله، نظروا جميعاً إليّ وهم في حالة من عدم التصديق. واعتقدوا أنني مخمور.

رغم ذلك بدأت حملتي. ونظراً لأنني نادراً ما شاركت في الأنشطة الطلابية من قبل، فلم يكن زملائي في القسم متحمسين لحملتي. لكن بدأت تدريجياً أكتسب دعم بعض المؤيدين لي من الطلاب الجدد وطلاب السنة الثانية. منافسي استأجر حافلات

لأخذ الطلاب في رحلة لمشاهدة المعالم قرب الحدود ما بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية. أما أنا فقد أبلغت الطلاب بأنه ليس لديّ مال للقيام بمثل هذه الأمور، ولكنني ملتزم بتحسين حياتهم كطلاب، وجعل قسمنا مكاناً للإنجاز الأكاديمي، وهذه الاهتمامات ستدعمها الجامعة. لقد كان صدقي معهم هو ما بدأ يجتذبهم إلى جانبي. رغم أنني لم أكن متحدثاً مفوهاً، وخطاباتي تفتقر للبهرجة والبريق، فقد عوضتُ هذا من خلال أمانتي وصراحتي.

في البداية، لم ينظر إليّ منافسي على أنني جدير بالتحدي، إلا أنه أدرك قبيل يومين فقط من عملية التصويت أنني سأشكل تحدياً له. على أثر خوفه مني، أرسل لي بعض أصدقائي لإقناعي بالانسحاب. كانت هناك صفقة جاهزة: عرض دفع مبلغ من المال. كان يحاول شرائي لكي أتراجع عن خوض الانتخابات. وأوضح لي بعض أصدقائي أنه لا جدوى من ترشحي قائلين: إنه ينبغي عليّ أن أقبل بـ "الهدية"، وأنسحب.

قلت لهم: لا. فأنا لا أنفق أي أموال تقريباً في حملتي وكل ما فعلته هو إلقاء الخطابات. ومن ثم، فليست هناك أموال أريد استرجاعها. ولماذا ينبغي على منافسي أن يدفع لي؟ إنه أمر سخيف. ثانياً، ضميري لا يسمح لي بذلك.

تحدثت مع أصدقائي لساعات طويلة، وقلت لهم إن قبولي بالمال والانسحاب هو إهانة. للمرة الثانية قال لي أصدقائي إنني سوف أخسر حتماً: "لماذا تستمر في ظل هذا الوضع وبإمكانك الحصول على بعض المال، ولاسيما أنك قد أوصلت رسالتك بالفعل؟!" لكنني لم أقتنع بما قالوه. غادر بعضهم المكان غاضباً، لكن كثيراً منهم بقوا، ورضخوا لقراري، بل إنهم قرروا مساعدتي، ورغم أن كل ما كان باستطاعتي تقديمه لهم هو السجائر، فقد ساعدوني.

في يوم الانتخابات، ذهبت وأدليت بـصوتي. شـعرت بـأنني أدرت حملـة جيـدة وقوية ومحترمة. وأكثر ما أسعدني هو رفضي لذاك العـرض المخـزي، وصـمـودي أمـام منـافسي. شعرت أنني كسبت المعركة الأخلاقية. لم أعد ذلك الفتـى الخجـول القـادم من بوهانج.

عقب الانتهاء من عدّ الأصوات، فزت بفارق أربعين صوتاً. ورغم أنـه فـوز بفـارق ضعيف، إلا أنه كان فوزاً له مذاق خاص. لقد ولد لي ميونج-باك من جديـد. وللأسـف، كانت الدولة في هذا الوقت تنزلق باتجاه الفوضى.

الفصل الرابع

كن أميناً دائماً ولا تفقد شجاعتك مطلقاً

في الثامنة مساءً... أعلنت الشرطة عن قائمة أهم المطلوبين. كنت ضمن هذه القائمة، مع زميلي لي كيونج-وو، إضافة إلى آخرين من جامعات مختلفة. لقد أصبحت هارباً.

حركة 3 يونيو الطلابية

مضت إدارة الرئيس بارك شونج-هي في تطبيع العلاقات مع اليابان. وكان هناك استياء شعبي ضد الحكومة على اعتبار أن اليابان هي التي أخطأت بحق الشعب الكوري، ويجب أن تعتذر قبل عقد أي محادثات لتطبيع العلاقات بين البلدين. سعت إدارة الرئيس بارك لإقناع الناس بأنه حان الوقت للتطبيع، وأن هذا ضروري حتى تتمكن كوريا من إطلاق جهود عملية التصنيع التي تحتاج إليها بقوة. بيد أن هذه الدعاوى لم تلقَ آذاناً مصغية، ولم يقتنع الشعب بها. وفيما تعاطت الحكومة مع القضية من زاوية اقتصادية خالصة، كان الناس يطالبون الحكومة باتخاذ قرار تاريخي باحترام مشاعر الشعب والاستماع لنبض الشارع. إضافة إلى ذلك، يجب أن تتم مناقشة مثل هذه القضية الهامة بطريقة شفافة وصريحة، لكن إدارة الرئيس بارك انخرطت في مفاوضات سرية منذ البداية. وهذا ما جعل الناس حانقين عليها.

عندما ذهب كيم جونج-بيل،[5] الذي كان رئيساً للحزب الحاكم، إلى اليابان لإبرام الصفقة، ثار الطلاب في سيول على الفور. فقد تظاهر نحو خمسة آلاف طالب في 24 مارس

(من عام 1964)، مطالبين الحكومة بالامتناع عن المضي قدماً في المفاوضات مع اليابان. وسرعان ما انتشرت المظاهرات الطلابية في أنحاء مختلفة من البلاد، وتحولت إلى صدامات دموية عندما قامت قوات مكافحة الشغب بإطلاق النار على الطلاب. أصيب 81 طالباً، واعتقل 288 طالباً آخرون. في جامعة كوريا، تجمّع ألف طالب في الثالثة عصراً، وأصدروا بياناً بعنوان: "إعلان طلابي يعارض السياسة الدبلوماسية الحكومية المهينة تجاه اليابان"، ونزلوا إلى الشوارع. قاومت الحكومة بشدة، وبدا أن الأمر تحت السيطرة. لكن هذا كان مؤقتاً، حيث كان الغضب والاستياء يغليان تحت السطح. والمظاهرات التي بدأت كاحتجاج ضد موقف الحكومة تجاه اليابان، تطورت بشكل تدريجي، وبدأ المتظاهرون ينادون بإسقاط النظام المستبد.

كان رئيس اتحاد الطلاب في جامعة كوريا غائباً وغير متحمس لهذه التطورات، فقد كان يدعو لتبني أسلوب أكثر سلبية. عُقد اجتماع ضم جميع رؤساء اتحادات الأقسام، وتقرر أن يحل محله مجلس مؤقت يتكون من شخصين. هذان الشخصان هما طالب يدعى لي كيونج-وو، وكان رئيس اتحاد طلاب كلية القانون، وأنا.

اعتقدت أن إظهار الطلاب مشاعر الاستياء والغضب ليس خطأً، لأنه طالما أصبح الوقت متأخراً جداً لوقف المفاوضات، فقد تصورت أن المظاهرات من شأنها أن تمارس ضغوطاً على مفاوضينا لكي ينتزعوا تنازلات من اليابان من خلال التعلل بوجود معارضة سياسية في الداخل. كنا على دراية بأن مفاوضينا هم ضباط عسكريون غير مخضرمين، واعتقدنا أن هذا قد يعطيهم نوعاً من القوة في التفاوض. بناءً على ذلك، انطلقت بحماس في دوري الجديد، وأعددنا لمظاهرات حاشدة.

في ظهر 3 يونيو 1964، شارك 12 ألف طالب في مظاهرة ضخمة. لقد كان حدثاً منظماً جيداً. وقد تم الإعداد لهذه التظاهرة بشكل سري، لأن عناصر الشرطة

والاستخبارات كانوا يجوبون الشوارع، لاسيما داخل الحرم الجامعي. كنا نعرف أن عناصر الشرطة الذين يرتدون ملابس مدنية، قد اخترقوا كثيراً من المدارس. واكتشفت لاحقاً أن جامعة كوريا لم تُستثنَ من ذلك.

شعرت الحكومة بانزعاج شديد من هذه المظاهرات، فأعلنت حالة الطوارئ على الفور. وفي الساعة الثامنة مساءً من ذلك اليوم، أعلنت الشرطة عن قائمة أهم المطلوبين. كان اسمي ضمن القائمة، إضافة إلى زميلي لي كيونج-وو وآخرين من جامعات مختلفة. وهكذا، أصبحت هارباً. في هذه الليلة نجحت في التسلل إلى خارج الجامعة، ساعدني لي كيونج-وو في الوصول إلى منزل والدتي. كانت بحوزتي وثائق توضح مناقشاتنا وخططنا، وأسماء الذين شاركوا في الإعداد للتظاهرة. وكنت قد كتبت تعهداً ينص على أن نقسم جميعاً على أن تبقى مناقشاتنا سرية. ولو قبض عليّ وبحوزتي هذه الوثائق فسوف ينكشف كل شيء.

شرحت الموقف لوالدتي بسرعة وسلمتها الوثائق، فقد كانت الشخص الوحيد الذي يمكنني أن أثق به. واعتقدت أنه حتى لو عثرت الشرطة على الوثائق فلن تصاب أمي بأذى. اكتشفت فيما بعد أن أمي قد خبأت الوثائق داخل الحائط بعدما نزعت ورق الحائط ثم قامت بلصقه مجدداً. رغم أنها لم تفهم ماهية هذه الوثائق، إلا أنها كانت تعلم أن حياة ابنها تتوقف على عدم وقوع هذه الأوراق في أيدي الشرطة.

بعدما طمأنتُ أمي وطلبت منها ألا تقلق، أغمضت عينَي، ونمت دون أن أخلع حذائي. وكما توقعت، قبل أن يتم رفع حظر التجول، دهمت قوات الشرطة منزلنا. كنا قد هربنا للتوّ. وعلى وعد بلقاء في مكان آمن، ذهبت أنا ولي كيونج-وو في طريقين مختلفين.

ذهبت للاختفاء في مكان داخل المدينة، ونجحت في الاتصال بأخي. نصحني أخي بأن أتصل بأحد أصدقائه، وكان متزوجاً حديثاً ويعمل في الشركة نفسها مع أخي. رغم

أنني لم أشعر بالراحة معه، إلا أنني كنت مضطراً لذلك. بعد قضاء ليلة معه، قررت أنه يجب عليّ أن أبحث عن مكان آخر. أعلنت الحكومة أن أي شخص يساعد أو يتستر على الهاربين سوف يعاقب أيضاً، وهذا ما جعلني أقلق على أخي.

شكرت المتزوجين حديثاً، وعبرت جسراً يقع على نهر هان. اقترح عليّ أخي أن أذهب إلى بوسان، لأنه يعرف أحداً هناك سوف يساعدني. لكن الوصول إلى هناك لم يكن أمراً سهلاً. فالمسافة إلى هناك تستغرق في المعتاد نحو أربع ساعات بالقطار، لكنها استغرقت أربعة أيام، لأنه كلما ساورني الشك، كنت أنزل من القطار وأستقلّ الحافلة.

ومع ذلك، لم أستطع البقاء طويلاً في بوسان. ففي أحد الأيام، جاء الرجل الذي أختبئ عنده بصحيفة كُتب فيها أن الحكومة سوف تعاقب من يخبئون هاربين مثلي. قال لي: "انظر، لا أريد أن أقول هذا لك، لكن يجب أن تتخذ قراراً. لا يمكنني أن أخسر كل شيء من أجلك، أنا آسف. سوف يقبض عليك يوماً، وسوف تعرف الشرطة أنك كنت تقيم معي. آمل أن تتخذ القرار الصواب يا بني". كان محقاً. لكن لم يكن لديّ مكان آخر. وليس لديّ نقود أيضاً. والأهم من ذلك، شعرت بالإحباط لأنني لم ارتكب خطأً.

شكرت الرجل وغادرت. عندما سرت في طريقي، لاحظت ملصقاً لأهم المطلوبين، عليه صور لمجرمين قاسين. صدمت عندما وجدت وجهي يحملق فيّ. وضعوني في سلة واحدة مع القتلة والمغتصبين.

اتصلت بأخي في سيول مرة أخرى. كان قلقاً جداً وسألني عما أنوي فعله. قلت له: إن تسليم نفسي أمر غير مطروح للنقاش. قال: "يقولون إذا سلمت نفسك قد يخففون العقوبة. أعرف رجلاً في إدارة شرطة العاصمة من بلدتنا. اذهب وقابله".

اعترضت قائلاً: "أنا لم أرتكب جريمة"! هذا رغم معرفتي أنني قد لا أستطيع الصمود طويلاً، لأنه ليس أمامي خيارات كثيرة. قلت له: "حسناً، لا يمكنني أن أسلّم نفسي لأنني لست مذنباً، لكنني سأسعى لكشف براءتي".

فقال لي أخي: "حسناً، احرص على ألا يُقبَض عليك وأنت في طريقك إلى سيول، انتبه لنفسك".

اتضح أن العودة إلى سيول أصعب من الذهاب إلى بوسان. كان هناك كثير من نقاط التفتيش. نجحت في العودة إلى سيول دون أن يكتشفني أحد، والتقيت الرجل الذي أوصاني أخي بلقائه. التقيته في مقهى أمام إدارة شرطة العاصمة. وهكذا، ظهرت أمام الشرطة كما قلت. لكن قيل لي فيما بعد إن الرجل قد حصل على مكافأة لـ"القبض" عليّ، بل لقد حصل على مكافأة خاصة. ذهلت عندما علمت لاحقاً أن الشرطة علمت بجميع خططنا، حتى أدق التفاصيل. علموا باجتماعاتنا، ومناقشاتنا، والمشاركين معنا. واتضح أن أحد قادة مجلس الطلاب كان مُخبراً يعمل لصالح وكالة الاستخبارات المركزية الكورية. وعلمت بعد سنوات أنه حصل على وظيفة كأحد عناصر الوكالة.

اقتادوني إلى مركز القيادة للتحقيق معي. ونظراً لأن الدولة كانت تحت ظل القانون العسكري، فقد كان التحقيق يتم بواسطة محققين عسكريين، وهذا أمر مرعب. التعذيب والتهديد بالتعذيب كان أمراً شائعاً. وباختصار كان يتم تجاهل حقوق الإنسان. عندما رفضت الاعتراف بشكل طوعي، بدؤوا يهددونني. حينئذ كان الحرمان من النوم أمراً شائعاً. قال لي: "أيها الغبي، هناك طرق كثيرة لنتخلص منك. يمكننا وضعك في ثلاجة أو ربط حجر حول جسمك وإلقاؤك في المياه. التخلص منك لا يكلفنا شيئاً. إذا أردت الحياة فيجب أن تجيب عن الأسئلة الموجهة إليك. تذكّر أنني لطيف معك جداً حتى الآن". المخيف في الأمر هو أن كل ما قالوه كان حقيقياً.

رغم هذه التهديدات فقد التزمت الصمت. تعهدت ألا أفشي أي معلومات عن زملائي مهما حدث لي. كان هذا قَسَم حلفناه جميعاً.

لم يرد المحقق أن يضيع وقته، فبدأ يخرج الوثائق التي توضح متى اجتمعنا، وأين عقدنا مناقشاتنا، والموضوعات التي تحدثنا فيها. كانت معلومات حصل عليها من المخبر. استمرت التحقيقات أياماً. وفي النهاية تم رفع قانون الطوارئ، وتمت محاكمتي أمام محكمة مدنية. ومع ذلك، فهذا لم يعنِ أنني أتوقع حكماً مخففاً أو محاكمة أكثر عدلاً. طلبت الحكومة أن يحكم عليّ بخمس سنوات، وكذلك زملائي الآخرون بأحكام مشابهة. تم إرسالنا جميعاً إلى سجن سيودامون.[6] وتم وضعنا في زنزانات عادية مع اللصوص.

حظينا باحترام من نزلاء السجن الذين يشاركوننا الزنازين ذاتها لمعرفتهم أننا طلاب ناشطون. وعندما كنا نَمثُل أمام المحكمة، كنا نجد في انتظارنا مشرِّعين، ورجال دين، وكتّاباً، ونشطاء من المعارضة، يشجعوننا ويقدمون لنا الدعم. كانوا يعاملوننا كأبطال. رغم أنني لم أشعر أنني بطل، إلا أنني استوعبت رغبتهم في أن يجعلونا أبطالاً. لقد أراد قادة المعارضة أن يجعلونا الوجه الشعبي للمقاومة. سعى كثير منهم لإطاحة نظام بارك شونج-هي الدكتاتوري. وجاء لزيارتنا في السجن سياسيون مشهورون وشخصيات بارزة، بما في ذلك الرئيس السابق يون بو-سون وآخرون. بدأ بعض الطلاب الناشطين في التعامل مع الإعجاب الشعبي الشديد على أنه أمر مُسلّم به. وبدا بعضهم يستمتع بالعظمة، ربما بشكل مبالغ فيه.

لكنني كنت أعلم أن ما فعلته يُعدُّ صغيراً وغير مؤثر مقارنة بمن عاشوا في الزنازين ذاتها، منذ سنوات مضت. فالمناضلون والنشطاء المشهورون وغير المعروفين أيضاً الذين ماتوا في سجن سيودامون هم الأبطال الحقيقيون. كل ما فعلته هو معارضة موقف

الحكومة المهين تجاه اليابان. كنت أعلم أن هذا لا يجعلني بطلاً. لقد فعلت ما اعتقدته صواباً. كان الأمر يتطلب بالطبع قدراً من الشجاعة وروح المبادرة والعزيمة، إلا أنني لم أسعَ إلى تحويل نفسي إلى بطل كامل.

بمجرد أن توصلت إلى هذه الخلاصة، أصبح واضحاً جداً ما يتعيّن عليّ فعله من الآن فصاعداً. منذ أن أصبحت أحد أعضاء رئاسة مجلس الطلاب المؤقت، لم يكن لدي وقت للمذاكرة. لذا أخذت في السجن بقراءة الكتب. كنت أقرأ أي كتاب تقع عليه يدي. لقد كان السجن مكاناً جيداً للقراءة والتفكير بدون إزعاج. فقد كنت أفكر في الحياة وفي معنى السعادة. بالنسبة لي، كان الجلوس في السجن هدوءاً، والقراءة والتفكير بدون الحاجة للتخطيط والاختباء والعمل الشاق والجوع، أمراً لا بأس به. بل إن السجن في الواقع كان وقتاً للتجديد، جسدياً وروحانياً.

أتاحت لي الحياة في السجن معرفة قوة الإنسان الهائلة على التكيف. في البداية، لم أستطع حتى غسل يدي بالماء الذي يقدمونه لنا، لأنهم كانوا يعطوننا القليل جداً. ومع ذلك، بعد فترة لم تكن لدي مشكلة في غسل يديّ ووجهي، وتوفير القليل. الطعام المقدم لنا كان عبارة عن قليل من الأرز، مضافاً إليه قليل من الفاصولياء. عندما رأيت الفاصولياء لأول مرة، لم أتوقف كثيراً عندها. لكن عندما جاء الأرز بدون فاصولياء، لاحظت أنني قد أصبت بالخمول والكسل. وعندما أجري تمارين لمدة عشر دقائق يومياً كنت أعود لزنزانتي منهكاً. وهكذا، بعد هذه الواقعة أصبحت أُقدِّر حتى أصغر الأشياء في حياتي وأعرف قيمتها. تعلمت أن الإنسان لا يحتاج إلى كثير من الماء أو الطعام لكي يبقى حياً. ومنذ ذلك الوقت، لم أنغمس مطلقاً في "طعام جيد" أو أسعى للحصول على "أصناف الطعام الذي يزيد القدرة على التحمل" والذي يُقسم به كثير من الناس (لاسيما الرجال الآسيويين).

لقد علمتني خبرتي التنظيمية في الحياة الطلابية الكثير عن الإدارة الحكومية والمسؤولية الاجتماعية، ودور ومجال كل قطاع. فقد تعلمت، على سبيل المثال، وضع محددات واضحة لكل منهم. فمن واجب الطلاب أن يطرحوا قضية ما، وأن يلفتوا نظر السلطات إلى وجود مشكلات، وإذا ما اقتضى الأمر أن يظهروا وجهة نظرهم بطريقة تنبّه السلطات لوجود تلك المشكلات وتعمل على حلها. على الجانب الآخر، السلطات المعنية مسؤولة عن حلّ مثل تلك القضايا. وعندما تُعكس الأدوار أو تُهمل، تبدأ المشكلة. أعتقد أن دوري كممثل طلابي كان هو طرح القضية، وليس حلها. كما توصلت إلى أن كوني ممثلاً طلابياً يجب ألا يكون مَعبَراً أو جسراً أو نقطة انطلاق لشيء آخر، كمهنة سياسية مثلاً. ذلك أن النشاط الطلابي ليس وظيفة. ويتعين على الناشط الطلابي ألا يستغل دوره في تضخيم سيرته الذاتية. ومع ذلك، فإن كثيراً من رفقائي من قادة اتحاد الطلاب قد رأوها كذلك. وانتهى المطاف إلى أنني أصبحت الوحيد بين مجموعتي الذي دخل القطاع الخاص، بينما صار الباقون سياسيين.

دخلت سجن سيودامون في يونيو 1964، وخرجت في أكتوبر من العام ذاته. ففي النهاية، حكمت المحكمة علي بالسجن لمدة سنتين، لكن تم تعليق تنفيذ الحكم، وأطلق سراحي.[7] عندما خرجت من السجن، اكتشفت أنني أصبحت شخصية مشهورة. ذلك أن الصحف نشرت كل ما كان يحدث لي بالتفصيل، بما في ذلك السجن، والمحاكمة والإفراج عني. قرأ أقربائي من ناحية أمي، الذين فقدت الاتصال بهم لسنوات، مقالة في إحدى الصحف، فأرسلوا لي صندوقاً مليئاً بالتفاح من الشجر المزروع في حديقة منزلهم. وكان العنوان الذي كتب على الصندوق هو فقط ما يلي: "لي ميونج-باك، يونج-سان جو، سيول". وهذا يشبه أن تكتب: "جون سميث، لوس أنجلوس، كاليفورنيا" فقط، وتتوقع أن يصل الطرد. ومع ذلك فلقد أصبحت مشهوراً جداً لدرجة أن صندوق التفاح قد وصل إلى منزلي بالفعل.

الوفاة

زارتني أمي مرة واحدة فقط في السجن، وكانت تلك قبيل الإفراج عني. لم أرغب في أن تراني في ملابس السجن، فطلبت من أحد الحراس الودودين أن يحضر لي بنطلوناً وقميصاً وذهبت لرؤيتها في قاعة الزوار. كانت أمي ترتدي فستاناً تقليدياً أبيض اللون، والذي عادة ما ترتديه في الصباح. استغربت أن تأتي إليّ لابسة هذه الملابس. ثم أدركت عندما دققت فيها أن السنوات تمر، وجسدها الهزيل يزداد ضموراً، وتبدو مريضة. كانت تشعر على ما يبدو أنها أشرفت على نهاية العمر.

جلسنا معاً، ولم أستطع قول أي شيء. علمتُ أن أمي كانت قلقة عليّ لدرجة المرض، وأنها سرعان ما مرضت بعد القبض عليّ. لكن لكونها سيدة قوية، حاولت بصعوبة ألا تنهار أمام ابنها. وبعد فترة، نظرت إليّ قائلة: "هل تذاكر؟ هل تصلي؟ هل تقرأ الإنجيل"؟ هذا كل ما قالته، وسرعان ما قامت استعداداً للمغادرة. فقال لها الحارس إنه لايزال أمامها خمس دقائق أخرى، لكنها قالت: "هذا يكفي، فقد رأيت وجهه، شكراً".

عندما خرجت من السجن وعدت إلى المنزل، وجدت أمي نائمة على سريرها غير قادرة على النهوض. كان قلبها معتلاً وحالتها الصحية تزداد سوءاً. وعندما علمت أن ابنها الأصغر قد خرج سليماً من السجن، يبدو أنها ارتاحت ونسيت كل همها وحزنها. لقد كرّست حياتها بالكامل من أجل الأسرة.

لم تتمتع أمي مطلقاً بامتلاك منزل يمكن أن تقول عنه إنه بيتها. في ذلك الوقت، توفر لدى أخي الأكبر مالٌ يكفي لشراء شقة صغيرة للأسرة، لكن أمي لم تعش لتتمتع بما حلمت به طيلة عمرها. وعندما انتقلنا إلى الشقة الجديدة عقب وفاتها بكينا جميعاً.

عقب مرور بعض الوقت على وفاة أمي، سلمني أبي خطاباً كتبته أمي. كان مكتوباً بخط اليد وموجهاً إليّ. اكتشفت أنها كتبت الخطاب، وهي على فراش المرض قبل زيارتها لي في السجن، مخافة أن تدركها المنيّة قبل رؤية ابنها الأصغر. كتبتْ فيه: "ابني الحبيب ميونج-باك، آمل أن تواصل التشبث بما تعتقد به والدفاع عنه. كن أميناً دائماً ولا تفقد شجاعتك. أنا أؤمن بقدراتك دائماً. تذكّر أنني دائماً أدعو لك بالتوفيق. وسأظل دائماً كذلك".

عندما توفيت أمي، اهتزت معنويات أبي بشدة. بعد فترة، اشترى أخي سانج-دوك، مزرعة صغيرة لوالدي في ضواحي سيول، وبمجرد انتقاله إليها، قام أبي بنقل ضريح أمي إلى الحديقة الخلفية. هناك، أقام أبي ضريحاً نحت عليه عبارة: "هنا ترقد زوجتي العزيزة، التي توفيت قبل أن تتمتع بالسعادة في الحياة. سامحيني للاستمتاع بها وحدي". قلنا له: إن النحت أمر غير اعتيادي، لكنه أصر على ذلك. وقام بنحت هذه العبارة على الضريح بنفسه. وقضى بقية حياته يعتني بضريح أمي. هذه هي الطريقة التي أراد بها أبي أن يعبر لها عن مدى حبه وافتقاده لها.

توفي أبي في عام 1981، عندما كنت أشغل منصب الرئيس التنفيذي لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. توفي في ديسمبر، في الشهر ذاته الذي توفيت فيه أمي.

الفصل الخامس

الإنشاء ابتكار

كان ظهري للحائط، محاصراً تماماً. كنت عاجزاً وخائفاً. كانـت تلـك أول مرة في حياتي أخشى الموت.

هيونـداي

عندما أصبحت خـارج الـسجن، وجـدت أننـي أصـبحت خريجـاً جامعيـاً. فلقـد عرضت علي جامعة كوريا أن تعوضني عن الساعات الدراسـية التـي لم أحـضرها بـسبب وجودي في السجن؛ والسبب في ذلك هو أنهم أرادوني أن أخرج من الكلية بـأسرع وقـت ممكن. لم يريدوني أن أسبب مزيداً من المشكلات أو الإحراج. سجلي الجنائي يشير إلى أنني قد سجنت "للتحريض على تمرد ضد الدولة"، ومن ثم كنت مطالباً بتقـديم تقريـر لقـسم الشرطة المحلية متى أردت الذهاب أبعد من محيط كيلومترين من المكان الذي أعيش فيه.

ازداد اهتمامي بالتجارة والاقتصاد. وعندما كنت في السجن، قرأت كثيراً في كلا المجالين، اعتقاداً مني بأن كوريا بحاجة إلى التركيز على هـذين المجـالين وتحـسينهما. في تلك الفترة، كانت كوريا دولة نامية، وكان يـصل دخـل الفـرد فيهـا نحـو مئـة دولار أمريكي. البطالة كانت متفشية، والمجتمع كان يعجّ بالشباب المستائين المـؤهلين جيـداً لكنهم مفلسون، حتى إن خريجي أفضل الكليات كانوا غير قادرين عـلى إيجـاد وظيفـة كريمة. دخل كثير من أصدقائي الناشطين في مجال السياسة، وشجعني كثير مـنهم عـلى أن أحذو حذوهم. لكنني اعتقدت أنه يمكنني دخول مجال السياسة لاحقاً. في البداية، رغبت في دخول مجال التجارة. اعتقدتُ أنه المجال الذي يمكن أن أنشط فيه، وأُحدث فيه فرقاً.

قدمت طلبات التحاق بوظائف في شركات متنوعة. لكن الشركات كانت تجري بحثاً عني قبل إجراء مقابلة شخصية معي، وكان سجلي الجنائي يحول دون قبول طلبات توظيفي. كنت أشعر أن يداً خفية، محرك دُمى، يدقق في كل خطوة أخطوها. الحكومة كانت حاضرة في كل مكان، في كل ركن، تقف حائلاً دون حصولي على وظيفة، وتحقيق حلمي.

بعدما فشلت حتى في الحصول على مقابلة شخصية، بدأت قبضة الحكومة على حياتي تخيفني. في الوقت الذي كنت أصارع فيه للحصول على وظيفة، تقدمت الجامعة وعرضت عليّ فرصة إجراء مقابلة مع شركة نسيج صغيرة في الجنوب. ورغم أنني كنت أعلم أنها ليست فرصة العمر، لكنها كانت أفضل من لا شيء. كانت ستمكنني من كسب لقمة العيش، والابتعاد عن أعين الشرطة التي تتربص بي على طول الخط، ولو لفترة على الأقل. فقبلت العرض.

اكتشفت أن الشركة أصغر مما توقعت، وكان مسؤولو الشركة حائرين بشأن أي الوظائف ينبغي أن أشغلها. واتضح أنه لم يتقدم أي شخص من خريجي الجامعات الكورية الكبرى لهذه الشركة. أدركت لماذا قبلوني في هذه الشركة. ففي أحد الأيام، جاء إلي المدير وسألني إن كنت لا أمانع في أن أُعِدَّ ابنه لامتحان القبول بالجامعة. باختصار، عينوني لكي أكون معلماً خاصاً لابن المدير. فكرت برهة من الوقت، ورفضت بأدب. وربما كنت قبلت بهذا العرض إذا كان هدفي هو مجرد كسب لقمة العيش والحياة الهادئة. لكنني لم أقض شهوراً في السجن، وأذهب إلى الكلية لينتهي بي المطاف معلماً في مدينة نائية. لقد كانت لديّ طموحات ورؤى بشأن التجارة، وكانت هذه الشركة بعيدة تماماً عما يدور في ذهني. فعدت إلى سيول عاطلاً عن العمل مرة أخرى.

وفي أحد الأيام كنت أقرأ صحيفة ورأيت إعلاناً صغيراً. كان الإعلان لشركة إنشاءات صاعدة تسمى هيونداي. ذكر الإعلان أن الشركة تريد موظفين للعمل في الخارج. كانت هيونداي تبحث عن أشخاص للعمل في مواقعها في تايلاند.

لم يكن سبب اهتمامي بالوظيفة هو كون الشركة هي هيونداي؛ فكل ما كنت أعرفه هو أنها شركة جديدة، وأداؤها جيد، بل إن السفر للخارج هو ما جذبني. خلال فترة الستينيات والسبعينيات وحتى لفترة في الثمانينيات، كان الكوريون الذين يسمح لهم بالسفر إلى الخارج هم فقط طلاب الجامعات الحكومية الذين يدرسون في الخارج على نفقتها، وكبار المسؤولين الحكوميين، والدبلوماسيين، وحفنة من رجال الأعمال. حتى إن تقديم طلب الحصول على جواز سفر كان حدثاً ضخماً، وكان يتم توديع من يسافرون للخارج من قبل حشد من المودعين الذين يصطحبونهم إلى المطار بالزهور والحلوى. وفي ظل ارتفاع معدل البطالة، كان الشباب من أمثالي يبحثون عن طريق للخروج من كوريا.

في مايو 1965، قدمت طلباً لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. لم أكن الوحيد الذي تقدم إلى الوظيفة، فقد كان هناك عشرات من خريجي الكليات الأخرى. وشعرت بأن الحصول على وظيفة لن يكون أمراً سهلاً. ورغم أن الشركة كانت صغيرة نسبياً، إذ يعمل فيها تسعون شخصاً تقريباً، إلا أن كثيراً من خريجي الجامعات قد اهتموا بها نظراً لندرة الوظائف. خضت الاختبار التحريري بشكل جيد. بعدها ذهبت إلى المنزل وانتظرت. جميع أنواع الأفكار خطرت ببالي. هل نجحت؟ وحتى لو نجحت، فهل أستطيع الحصول على جواز سفر؟ هل تسمح لي الشرطة بالسفر؟

عقب بضعة أسابيع، طُلب مني أن أذهب لإجراء مقابلة شخصية مع رئيس قسم شؤون الموظفين في "هيونداي للهندسة والإنشاء". أُصبت بالحيرة. أعرف أن الشركات عادة ما تدعو المتقدمين لحضور مقابلة شخصية مع أحد موظفي قسم الاستقطاب إذا ما اجتازوا الاختبار التحريري. لكن الخطاب الذي جاءني يقول إن "رئيس قسم شؤون الموظفين يرغب في رؤيتي". شعرت باليد الخفيّة مرة أخرى.

عندما جلست أمام رئيس قسم شؤون الموظفين، أخذ أوراقي، وقال: إن النتائج التي حصلت عليها في الاختبار التحريري ممتازة، لكن سجلي كناشط في الجامعة سيكون مشكلة. واتضح أنه من جامعة كوريا ويريد مساعدتي، ومن ثم فهذه مقابلة استثنائية. وقال لي إن الموضوع لم يُرفع بعد إلى رؤسائه. سألني عما إذا كان هناك لديّ أي شيء يمكن أن يساعد في توظيفي، فأكدت له أنني سأبذل قصارى جهدي. ومع ذلك، لم يكن في ذهني أي شيء يمكنني فعله.

شرحت لأخي الموقف فنجح في أن يحصل لي على خطاب توصية من رئيس مجلس إدارة شركة حكومية يشيد فيه بقدراتي. لكنني كنت أعرف أن الخطاب لن يحدث فرقاً كبيراً. عندما استنفدت الخيارات وأصبحت يائساً، قررت أن أتعامل مع القضية بنفسي مباشرة. جلست وبدأت أخطُّ خطاباً وجهته للرئيس بارك شونج-هي. شرحت في خطابي السبب الذي أصبحت من أجله رئيساً لاتحاد الطلاب، والسبب في قيادة التظاهرات. شرحت ما واجهته من عقبات في إيجاد وظيفة. ختمت الخطاب بنقد قاسٍ لسلوك الشرطة في استخدام سجلي الماضي لمنعي من تحقيق أحلامي.

بعد أيام قليلة، جاءني اتصال من السيد لي ناك-سون، سكرتير الرئيس للشؤون الداخلية والمدنية في ذلك الوقت، ووافق على مقابلتي. رغم أنه بدا عقلانياً إلا أن الالتماس الذي قدمته لم يؤثر فيه، وكان مصراً على رأيه. قال لي، إن أي أحد يقاوم الدولة يجب أن يتعرض للمحاسبة، وينبغي أن يكون مستعداً لمواجهة جميع العواقب المترتبة على ذلك. ومضى قائلاً، إنه ينبغي أن أصبح عبرة للطلاب الذين يرغبون في المشاركة في أنشطة مشابهة. وختم حديثه بأنه لا هو ولا الرئيس يستطيعان فعل أي شيء لي. ومع ذلك فقد قدّم لي بديلاً. سألني عما إذا كنت مهتماً بالدراسة في الخارج في بعثة دراسية على نفقة الدولة أو العمل في شركة حكومية.

قلت له: لا هذا ولا ذاك. لم أستطع قبول الجزرة التي عرضتها عليَّ الحكومة التي كانت عدوتي منذ وقت قريب. قبل أن أغادر المكان، قلت له: "إذا كانت الحكومة تمنع أحد مواطنيها من مجرد محاولة الحصول على لقمة العيش، فيجب أن أقول إن الحكومة تَدين بالكثير لهذا المواطن. آمل أن تتذكر هذا".

عقب هذا اليوم، نسيت أنني تفوهت بهذه الكلمات. لكن بعد مرور سنوات، عندما أصبحت رئيساً تنفيذياً لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء، كان السيد لي ناك-سون رئيساً لهيئة الضرائب الوطنية، والتقينا صدفة في إحدى المناسبات الاجتماعية. فذكّرني يومها بما قلته له منذ سنوات. وقال لي إنه صدم للغاية عندما سمعني أقول ذلك. وإنه عندما عاد إلى مكتبه حينذاك، عقد اجتماعاً ووافق على أن تقوم هيونداي بتوظيفي شريطة أن أعمل فقط ولا أقوم بأي نشاط آخر. كنت ممتناً له، وسعدت لأنه أخذ كلامي مأخذ الجد.

في يونيو 1965، حصلت على مقابلة في شركة هيونداي. كان موظفون عديدون من الشركة حاضرين في المقابلة. وكان من بينهم شونج جو-يونج نفسه،[8] الذي كان يرتدي سترة عامل مطبوعاً عليها شعار هيونداي. بدا رجلاً مبتهجاً، قوياً ومفعماً بالحيوية والنشاط. ذكّرني بجنرال في الجيش، أكثر من كونه صاحب شركة إنشاءات ناشئة. بلقائي المصيري مع شونج جو-يونج، سوف أبدأ حياة جديدة، لكنني لم أكن أعرف بالطبع هذا في وقتها.

نظر شونج إلى سيرتي الذاتية، وسألني: "أيها الشاب، ما رأيك في قطاع الإنشاءات"؟ قلت له دون تردد: "الإنشاء ابتكار".

قال شونج: "لماذا"؟

قلت: "لأنك تبتكر شيئاً من لا شيء".

ابتسم وقال: "حسناً، أنت متحدث معسول الكلام لاشك". ثم توجه للمسؤولين التنفيذيين الذين يجلسون إلى جواره، قائلاً: "في هذه الأيام هناك كثير من معسولي الكلام، لكنهم بلهاء لا يصلحون لشيء".

كانت هناك بعض الأسئلة بخصوص خلفيتي. شعرت أنهم على دراية بسجلي الماضي كناشط جامعي، لكنهم لم يتطرقوا لأي أسئلة من هذا القبيل؟

عقب انتهاء المقابلة، ذهبت للمنزل وانتظرت. أُعجبت كثيراً بشونج الذي ابتسم عندما قلت: إن "الإنشاء ابتكار"، فطريقته هادئة وابتسامته لها جاذبية غامضة. ظلت تراودني فكرة أن بإمكاني تحقيق الكثير إذا ما عملت مع هذا الرجل، وأصبحت أكثر حماسة كلما راودتني هذه الفكرة. لكن لقائي مع سكرتير الرئيس للشؤون الداخلية والمدنية كان يزعجني، فلم أعرف إن كانت تلك المقابلة ستساعدني أم تقف في وجهي. لم تكن لدي فكرة عما إذا كان سيتم تحريري من تلك "اليد الخفيّة" أم لا.

بعد أسبوع، طلبت مني هيونداي أن أبدأ العمل في الأول من يوليو.

ذهبت ورأيت شونج عن قرب خلال معسكر تدريب تقيمه الشركة سنوياً للموظفين الجدد في منتجع ساحلي على بعد أربع ساعات من سيول. كانت مناسبة للموظفين الجدد للالتقاء والمشاركة، بما في ذلك رئيس مجلس الإدارة. وأصبح تقليد الشركة أن يجلس رئيس مجلس الإدارة مع الموظفين الجدد ويتعرف عليهم خلال حفلة شواء وشرب البيرة. كان هناك كثير من مشروبات البيرة. بمجرد أن استقر كلٌّ في مكانه، خرج الجميع إلى الشاطئ، وتم نصب موقد ضخم للشواء. ضحك شونج عالياً، وقال: "أريد أن يستمتع الجميع بهذه الليلة! سنحتسي المشروبات طوال الليل. يجب أن يجيد الرجل عمله، ولكنه ينبغي أن يكون رومانسياً! الآن، سنشرب حتى الصباح"! بهذه

الكلمات، رفع كأسه. مَن لا يشربون يغادرون، وبدأت تضيق الدائرة شيئاً فشيئاً. في النهاية، بقيت أنا وثلاثة آخرين فقط، بما في ذلك شونج نفسه. في الخامسة صباحاً، قال شونج: "أعتقد أنني شربت بما يكفي. لكنني أريد منكم أن تستمروا في الشرب"! عندما غادرنا، توقفنا نحن الثلاثة، واستلقينا على جنوبنا. فأنا لم أسكر مطلقاً، ولم أستمتع بذلك. لكنني في هذا اليوم كنت متوتراً وعصبياً، ومتى يحدث هذا نادراً ما أسكر مهما شربت. وهذا كان يساعدني لاحقاً في حياتي، خاصة عندما كنت أتفاوض على صفقات تجارية.

في اليوم التالي، قيل لنا إن شونج سيذهب إلى سيول لتلقي العلاج نتيجة جرح صغير أصابه. ويبدو أنه قد ترنح وسقط وهو في طريقه إلى غرفته، فجرح شفته العليا. وبعد سنوات من تلك الحادثة، لا زالت ألحظ أثراً ضئيلاً لهذا الجرح.

تعلمت سريعاً كيف تدار الشركات الكبرى. قضيت وقتاً في الإدارة، ثم عملت كمحاسب في موقع إنشاءات. بعد عدة أشهر من التحاقي بهيونداي، أبلغني شونج أنه سوف يرسلني إلى موقع إنشاء طريق سريع في تايلاند. وهناك شهدت حادثاً كاد يودي بحياتي، وأصبحت شبه أسطورة في الشركة، وأضحيت أصغر رئيس موقع في تاريخ الشركة.

حادث تايلاند يمر بسلام

لقد كان إنشاء طريق باتاني-ناراثيوات السريع هو أول مشروع في الخارج لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. بل كان في الواقع أول مشروع خارج البلاد تقوم به أي شركة كورية. يربط الطريق السريع الذي يمتد لمسافة 98 كيلومتراً بين مدينتي باتاني وناراثيوات اللتين تقعان في جنوب تايلاند قرب حدودها مع ماليزيا. كانت الحكومة التايلاندية تنفّذ هذا المشروع بمنحة من البنك الدولي للتعمير والتنمية. بدأت المناقصة الدولية في عام

1965، وفازت هيونداي بالعقد، متفوقة على تسع وعشرين شركة من ست عشرة دولة، بما في ذلك ألمانيا الغربية واليابان وفرنسا وإيطاليا وهولندا. وكانت قيمة العقد 5.2 ملايين دولار، أي ما يعادل العائد السنوي الإجمالي لشركة هيونداي في ذلك الوقت.

خصصت هيونداي موارد ضخمة، وكرست اهتمامها لإنجاز المشروع بنجاح. وفي فترة من الفترات، أصبح مكتب الشركة في تايلاند أضخم من المقر الرئيسي للشركة في سيول. وفي الكلمة الترحيبية التي ألقاها عمدة مدينة ناراثيوات فينا، قال: بينما غزا الجنود اليابانيون تايلاند حاملين الأسلحة البيضاء خلال الحرب العالمية الثانية، يأتي العمال الكوريون إلى تايلاند اليوم حاملين المجارف لمساعدة الشعب التايلاندي في بناء دولتهم. وقد وُضعت لوحة تذكارية لا تزال هناك إلى يومنا هذا.

ورغم أننا كنا سعداء بكل هذا، إلا أننا كنا قلقين لأن هيونداي تمتلك خبرة قليلة جداً في بناء الطرق السريعة؛ فلم يكن في كوريا أي طرق سريعة. إضافة إلى ذلك، كانت المعدات الثقيلة التي أحضرناها من كوريا قديمة ولا تعمل، لدرجة أن المهندسين الأمريكيين سخروا منا وراهنوا على أننا لن نستطيع إنجاز المشروع في الموعد المحدد. وكانت المعدات تحتاج إلى عمليات إصلاح مستمرة، وكان كثير منها متوقفاً بانتظار الإصلاح.

الوضع لم يكن أفضل حالاً في الإدارة. فلا توجد أي خبرة في إدارة مشروعات بهذا الحجم. لم تكن هناك أدلة إرشادية يمكن اتباعها. ولتقليص النفقات، استأجرت هيونداي عمالاً محليين من تايلاند، بيد أن حاجز اللغة والاختلافات الثقافية كانت تؤدي دائماً إلى مشكلات وسوء فهم. نتيجة لذلك، أنفقت الشركة نحو 70 في المئة من الميزانية الإجمالية، ولم تحرز سوى تقدم ضعيف. أصبحت الشركة في خطر أن تصبح مثار سخرية على المستوى الدولي، والأهم من ذلك أن مستقبل الشركة أصبح على المحك.

وفي أحد الأيام، انفجرت جميع المشكلات الكامنة تحت السطح. ثار العمال المستاؤون، ولكنهم لم يكونوا تايلانديين بل كانوا كوريين. فلقد تم إغراء كثير منهم للمجيء من كوريا، أملاً في المزايا التي سيحصلون عليها. لكن ما حدث خلال عملية التعيين في كوريا، هو أن البلطجية قد نجحوا في الحصول على الوظائف. وتسلح هؤلاء بالسكاكين، والألواح والأسياخ، وأي أسلحة تقع في أيديهم، وأخذوا يدمرون الموقع. وسرعان ما اتجه هؤلاء إلى مكتب الإدارة، وخاصة مكتب المحاسبة، حيث توجد الأموال. وكنت مسؤولاً وقتئذ عن الخزينة.

بدأ البلطجية المخمورون في تدمير أي شيء في طريقهم، وإزالة أي شيء يقف في وجههم، فيما هرب المديرون الكوريون من الموقع. وغادر العمال التايلانديون الموقع. كنت أنا في مكتبي مع عاملين تايلانديين. قالوا لي، يجب علي أن أغادر المكان فوراً. نظرت من الشباك ورأيت الغوغاء، كانوا يتجهون صوبي. لكنني لم أستطع ترك مكتبي والخزينة. فرّ زملائي التايلانديون وتركوني وحيداً. اقترب البلطجية أكثر وهم يطرقون على المعدات. خلع بعضهم ملابسه وكانوا يطلقون شتائم بذيئة، وأصبحوا أكثر هيجاناً وبربرية. وسرعان ما حوصر مكتبي. ورغم أنه كان يوجد مخرج خلفي للمكتب، إلا أنني أدركت أنني لن أستطيع أن أهرب بعيداً، وأنهم سوف يمسكون بي، لذا لم يكن أمامي خيار سوى البقاء في مكتبي.

طرقوا الباب. كانوا نحو خمسة عشر شخصاً. ضرب أحدهم بخنجر عسكري على المكتب المجاور لي، فغاص الخنجر فيه. زمجر قائلاً: "أعطني مفاتيح الخزينة أيها الأحمق"، قلت له "لا". وبمجرد أن قلت له ذلك، رأيت نصل السكين باتجاه رقبتي. حولت رأسي تلقائياً إلى الناحية الأخرى. مرة أخرى جاء النصل باتجاهي، وهذه المرة تحولت إلى الجهة الأخرى. كان ظهري للحائط محاصراً تماماً. كنت عاجزاً وخائفاً. أول مرة في حياتي

أخاف من الموت. يقولون إنه عندما يحدث شيء مثل هذا، يفكر الإنسان في أهم شيء. فكرت في أمي.

فكرت في إعطائهم مفاتيح الخزنة. لم تكن تحتوي الخزنة على نقود كثيرة، ولن يلومني أحد على إعطائهم المفاتيح. لكنني شعرت برغبة في التماسك. لن أستسلم لهؤلاء البلطجية. ثم أصبحت عاجزاً عن التفكير. أغمضت عيني. صاح أحدهم في وجهي: "افتح عينيك اللعينتين! هذا لن يفيد في شيء"! عندما أدركوا أني لن أعطيهم المفاتيح، غيروا تكتيكهم، وأمروني بأن أنهض من مكاني. دفعوني باتجاه الخزنة لكي أفتحها لهم. وقفت وتحركت ببطء. كنت أرتجف. عندما وصلت إلى الخزنة، أحطتها بذراعي وأغمضت عيني. فصاحوا على الفور، وبدأ الخمسة عشر رجلاً في توجيه الركلات واللكمات. شعرت بوقع الأحذية على مؤخرتي وظهري. حاول بعضهم أن يضرب رأسي، فحنيت نفسي بأقصى ما يمكن. كان جسمي يؤلمني وكنت أتنفس بصعوبة. تشبثت بالخزنة أكثر. واستمرت الضربات تنهال على جسدي. امتد الألم في جسدي كالمشرط. ولحسن الحظ أنهم لم يفكروا في طعني بالخنجر أو أي سلاح آخر.

ثم سمعت أصوات إنذار. إنها الشرطة. بدأ البلطجية في الهرب. زملائي الذين جاءوا مع الشرطة المحلية رأوا الدماء تسيل من أنحاء متفرقة من جسدي منبطحاً على الأرض ولا زلت محتضنا الخزنة.

سرعان ما ذاعت قصة "المحاسب الشجاع" في بانكوك، ومكتبنا الإقليمي، والمقر الرئيسي في سيول. بدأ الناس يبالغون في القصة، وكلما تحدث الناس أكثر عن الموضوع، أصبح المحاسب أكثر شهرة. ووصفوني بالبطل. لم أكن شجاعاً بسبب أنني تشبثت بالخزنة، بل لأمر أبسط من هذا؛ لأنني رفضت الاستسلام.

أول ترقية

رغم أن الحادث الذي عرف "بالخزنة التايلاندية" جعلني مشهوراً في الشركة، إلا أنني واصلت عملي كمحاسب. واستمرت الصعوبات التي تواجه مشروع الطريق السريع. وفي ظل التعثر المتواصل للمشروع، كنتُ قلقاً من أن الشركة ستخسر كثيراً من الأموال. وعليه، عندما جاء شونج إلى تايلاند لتفقد المشروع، أثرت القضية أمامه بطريقة هادئة. فقال لي ليس هناك ما يقلق، وأنه يتلقى تقارير يومية من المديرين، وواثق بأن هيونداي سوف تربح بمجرد إنجاز المشروع. شرحت له أن المشروع وفقاً لحساباتي يخسر كثيراً، وأنه يجب اتخاذ إجراءات سريعة لوقف ذلك. أقررت بأنني لست في موقع رؤية الصورة الكبرى، لكن الإحساس العام والعمليات اليومية في الموقع تشير إلى أن الموقف يستدعي تدقيقاً أعمق. لكنه أكد لي بأن الأمور على ما يرام وأنه ينبغي أن أركز في عملي.

ومع ذلك، لم أستطع نسيان الأمر. بدأت أجمع المعلومات المناسبة وكتبت تقريراً. قدمته لرئيسي في العمل وقال لي إنه سوف يقرؤه ويهتم بالأمر. عرفت فيما بعد أنه أرسله إلى سيول على أنه هو الذي كتبه. عقب ستة أشهر، جاء شونج إلى تايلاند مرة ثانية. كنت معتاداً على الاستيقاظ في الساعة الرابعة صباحاً، لقد كان أمراً ورثته عن أمي. وكان شونج يستيقظ مبكراً أيضاً، وفي أحد الأيام رآني أقرأ كتاباً فجاء إلى مكتبي. اعتقدتُ أن هذه فرصة مناسبة لطرح الموضوع مجدداً. استمع إليّ بإنصات لكنه طمأنني.

عاد شونج إلى كوريا. لكن عندما وصل تقرير رئيسي إلى المقر الرئيسي في وقت لاحق، عاد شونج إلى تايلاند على الفور، وأحضر معه في هذه المرة موظفين من قسم المراجعة والتدقيق. فلقد وصلته معلومات كاملة عن حجم المشكلة. قلق، وجنّ جنونه. اعتقد أن الموظفين في مكتب تايلاند يختلسون أموالاً، وأراد معرفة من يفعل ذلك.

أول من تم التحقيق معهم المسؤولون عن الحسابات والمسؤولون عن التوقيع لعمليات الصرف. وكنت أنا بالطبع واحداً منهم. تم استدعاء رئيس قسمي، والرئيس الإداري للتحقيق من قبل المدققين. كان شونج يراقب التحقيق في غرفة مجاورة.

عندما جاء دوري، تم استدعائي بمفردي. لكن شونج في هذه المرة كان في غرفة التحقيق. قال: "لي، لقد مررتُ بالكثير في حياتي. لقد تعرضت للنصب والخديعة من قبل. وأعرف بخبرتي أن شخصاً ما يختلس أموال الشركة. وأريد أن أعرف من هو، لقد تحدثت مع رؤسائك والكل يلقي باللوم على الآخرين، إضافة إليك. من هو"؟

قلت له: "سيدي الرئيس، كما تعلم، أنا مسؤول عن حساب المصروفات اليومية، ومسؤول عن التوقيع على طلبات المصروفات. ومن ثم، فلا مجال لحدوث سرقة دون أن أعرف". وأضفت: "الأمر لا يتعلق بشخص يختلس لمصلحته الشخصية. إنه فشل متواصل. الأمر يتعلق بعدم الكفاءة. يتعلق بقبول عقد بقيمة مالية متدنية جداً. كما أن النفقات في ارتفاع نتيجة لحسابات خاطئة منذ البداية. هذه مشكلة تختمر منذ فترة طويلة".

نظر شونج إليّ، وقال: "هل فعلتها وحدك"؟

نظرت في عينيه مباشرة: "سيد شونج، مع كامل احترامي لك، أنا لست في موقف لفعل مثل هذا الأمر. تذكر أنني سألتك منذ شهرين إن كان هذا المشروع يدر ربحاً أم لا، ألم أسألك؟ وقلت لي إنه لا داعي للقلق. ثم كتبت تقريراً حول الموضوع وأعطيته لرؤسائي، ليس مرة واحدة بل مرات عدة". اشتاط شونج غضباً، كان يعتقد أن المدير الإداري هو الذي أعد التقرير. فقال شونج: "حسناً، إذن أنت تعتقد أن رئيسك والرئيس الإداري غير متورطين في الموضوع؟ المضحك أن كليهما يعتقد بأنك أنت والآخر وراء الأمر. فكيف تأكدتَ أنهما ليسا متورطين"؟

لم أكن متأكداً، ولم يكن لدي أي شيء أضيفه.

كان شونج يقيم في فندق مع فريق المراجعة المالية، وأعطيتُ غرفة لأقيم فيها ليلة واحدة. قيل لي عُد إلى غرفتك. في وقت لاحق من هذه الليلة جاء إلي رئيسي والمدير الإداري، وسألاني: كيف سارت التحقيقات؟ قلت لهما ما قلته لشونج، فأومأ كل واحد منهما إلى الآخر، وسارا في حال سبيلهما.

في الصباح، استدعاني شونج إلى مطعم الفندق. قلت له: من الأفضل أن أنتظر لحين مجيء رؤسائي، فقال لي: لا داعي لأنهما سيتناولان الإفطار في غرفتهما. سألني ماذا أريد أن أتناول. طلب الإفطار بلغة إنجليزية غير متقنة. بعدما انتهينا من الإفطار، وتم تنظيف الطاولة، قال: "لي، ما رأيك في أن تتولى إدارة الموقع"؟ صُعقت وقلت له: "عذراً؟ وماذا عن المدير الإداري ورئيسي"؟

لوح شونج بيده وقال ببساطة: "سوف يسافران على أول طائرة متوجهة إلى سيول".

رغم أنني لم أستوعب ما قاله، إلا أنني قلت: "إذن، لابد من أن مَن سيحل محلهما موجودَين هنا". أخذ شونج رشفة من قهوته، وقال: "لا حاجة. أنا واثق بأنك تستطيع إدارة الموقع بمفردك. لقد خذلني هذان الرجلان. كلا الحقيرين وجه أصابع الاتهام لبعضهما بعضاً. لقد فشلا في أداء وظيفتيهما. أريدك أن تعود إلى سيول، تختار بنفسك الموظفين الذين سيعملون معك، وتعود إلى هنا".

أدركت العرض المطروح عليّ. إنه لأمر غير مسبوق. شكرته بحرارة، ورفضت. لم تكن لديّ الخبرة الكافية، وخشيت من ارتكاب أخطاء. إضافة إلى أنني كنت صغيراً جداً على المنصب. وكنت أخاف أن يتسبب هذا المنصب في ارتباك الشركة، ويؤثر في الروح المعنوية، وخاصة أن الثقافة الكورية تولي التراتبية والأقدمية أهمية على أي شيء آخر.

قفزت جميع هذه الأفكار إلى ذهني بسرعة الضوء. جلس شونج بانتظار قبول الوظيفة الجديدة. لم يكن عرضاً، لقد كان أمراً. رغم توسلاتي، لم يتزحزح شونج عن موقفه. كان قد اتخذ قراره بالفعل. فلسفته في القرارات الخاصة بشؤون الموظفين هي المهارة والموهبة، ولم يعر اهتماماً للسن والأقدمية. وظلت ممارسات شونج كما هي عندما رُقيت إلى مدير، ثم مسؤول تنفيذي، وأخيراً إلى رئيس تنفيذي. كان هذا انعكاساً لأسلوبه الشخصي. كان رجلاً مَعْنياً بالتنفيذ والإنجاز، لم تقيده السوابق قط، وكان جريئاً وسريعاً في اتخاذ القرارات.

نُفذتْ قراراته على الفور. سافرتُ إلى سيول لأختار بنفسي الأشخاص الذين سوف يساعدوني. اخترت ثلاثة موظفين جدداً. وسافر رؤسائي السابقون إلى سيول أيضاً. ولما رأى شونج أن قيام موظف صغير بالإشراف على أنداده قد يكون أمراً صعباً، فرقّاني وجعلني رئيس القسم بالإنابة. حدث هذا قبل أن يمر عامان على التحاقي بالشركة.

الفصل السادس

من أجل الشركة

إنه مدير شاب يتمسك بمبادئه مهما حدث. أرجو أن تعذروه لأنه لا يعرف بعد كيف تدار الأمور في العالم.

طريق كيونج-بو السريع[9]

كما توقعت، تكبدت شركة هيونداي خسائر كبيرة في إنشاء طريق باتاني-ناراثيوات. لقد كانت التكلفة أعلى بكثير من المتوقع. ولحسن الحظ، استطاعت هيونداي الفوز بعقود إضافية في تايلاند وفيتنام. وأخيراً، حقق إنجاز طريق كيونج-بو السريع، نجاحاً رائعاً.

لم يكن طريق كيونج-بو السريع مشروعاً إنشائياً عادياً، كان يشبه الحرب. فالقائد العام للمشروع كان رئيس الجمهورية بارك شونج-هي، والرئيس الميداني للمشروع كان رئيس هيونداي شونج جو-يونج. في البداية طلبت الحكومة الكورية قرضاً من البنك الدولي للتعمير والتنمية لتمويل المشروع، لكن بعثة البنك توصلت إلى أن كوريا لا تحتاج إلى طريق سريع إلا بعد بضع سنوات. (لتقرير هذا الرأي، اختارت بعثة البنك نقطة تقع في منتصف الطريق بين سيول وبوسان وأحصت السيارات التي تعبر الطريق يومياً، ولم تكن كثيرة). لم يقتنع الرئيس بارك بهذا الرأي، وأعد خطة طموحة. كان عازماً على المضي قدماً في المشروع، ولم يستسلم. وكانت هيونداي، بخبرتها الخارجية، هي من يقبل التحدي.

وغني عن الكلام القول بأن شونج جو-يونج كان متحمساً للخطة ومستعداً لتنفيذها. وعليه فقد تم تشكيل فريق العمل.

في عام 1968، عبرت مجموعة من قوات الكوماندوز التابعة لكوريا الشمالية المنطقة الحدودية، وتوغلت في العمق حتى وصلت سيول. كان هدفهم اغتيال الرئيس بارك، وكادوا أن ينجحوا في مهمتهم، لولا نجاح الشرطة المحلية قرب المجمع الرئاسي في التصدي لهم. لقد كان هذا حدثاً صادماً، وكان بمنزلة جرس إنذار قوي كشف نقاط ضعف الدولة. وهذا قاد الرئيس بارك إلى وضع الدولة في حالة تأهب. انقلب مزاج الدولة وأصبح مخيفاً. ومع ذلك، فقد بدأت أعمال الإنشاءات في طريق كيونج-بو وفق الجدول الموضوع. تولت هيونداي ثلثي المشروع، بما في ذلك الجزء الرمزي الذي يربط سيول بمدينة سوون. (اعتبر رمزياً لأن هذا الطريق يربط العاصمة سيول بمدينة سوون، وهي أول مدينة في جنوب الطريق السريع).

عقب العودة من تايلاند، توليت مسؤولية المعدات الثقيلة في هيونداي. كانت وظيفة غير متوقعة، واستغرب كثيرون قيام شونج بنقلي لهذه المهمة. قال بعضهم إنني قد فقدت دعم شونج، وأن مستقبلي الوظيفي في هيونداي قد انتهى. أما أنا فقد انتهزت المهمة الجديدة لاكتساب خبرة ومعرفة بعمليات المعدات الثقيلة. وسعدت بالعمل مع المهندسين والميكانيكيين. واتضح أن هذا المكتب قد لعب دوراً محورياً في دعم مشروع طريق كيونج-بو.

لما تسلمت هذا المنصب، كانت تجري الاستعدادات لإنشاء الطريق السريع. كانت الجرافات وغيرها من المعدات الثقيلة تمهد الطريق. كان شونج يسافر ذهاباً وإياباً في سيارته الـ "جيب" ليشرف على العمل ويصدر الأوامر. كان ينام ليالي كثيرة في الخيام، ويقضي أوقاتاً كثيرة في موقع العمل. وكان الرئيس بارك يتفقد بشكل شخصي تقدم العمل في المشروع، حيث كان يأتي بطائرة هليكوبتر إلى الموقع. بفضل هذا التفاني، تم إنجاز المشروع

في وقت قياسي. وكانت التكلفة الإجمالية منخفضة بشكل لا يصدق. وكان للتضحية بالجودة على حساب السرعة ثمنها، فقد اضطررنا لإجراء إصلاحات كبيرة لسنوات عدة عقب الانتهاء من المشروع. ومع ذلك، فقد كان المشروع مفخرة تستحق الإشادة. لقد غرس المشروع في الشعب الكوري إيماناً بأنه ليس هناك مستحيل، وكان له فوائد اقتصادية ملموسة، حيث غيَّر بشكل أساسي جوهر الاقتصاد الكوري للأفضل.

يرى بعض المنتقدين أن طريق كيونج-بو السريع رديئاً مقارنة بالطرق المثيلة في دول، مثل ألمانيا أو اليابان. لكن إنشاء طريق سريع مشابه للطرق الموجودة في ألمانيا أو اليابان كان سيستغرق منا نحو عقد من الزمن. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ظل القدرات التكنولوجية والمالية المتوافرة لدينا في ذلك الوقت.

من بين التغيرات الأخرى التي حدثت نتيجة للمشروع أن مشروعات الإنشاءات الكورية بدأت في الاعتماد على المعدات الثقيلة والماكينات أكثر من المجارف والمعاول والعمالة اليدوية. وهكذا، فوظيفتي في الاعتناء بالماكينات، وإصلاحها، وتوفيرها في المواقع في الوقت المحدد، أصبحت حيوية. لكن نظراً لعدم وجود خلفية ميكانيكية ومعرفة بالهندسة والتصليح، ظللت دائماً في موقع متأخر قليلاً.

بما أن أول مشروع لشونج كان محل إصلاح سيارات، فقد كان يعرف دقائق الماكينات. كان مُلِماً بالمصطلحات، وتوقّع مني أن أكون مستعداً تماماً. وكان يُشتهر بعدم الصبر. كان يأتي فجأة ويطلب معرفة موقع كل ماكينة ولماذا تأخر إصلاح بعضها. كان يرى أن العمال يخاطرون بحياتهم لإنجاز المشروع، وأنا جالس في مكتبي غير قادر على إمدادهم بالمعدات في الوقت المطلوب. وكان يصيح ويطلق الشتائم قبل أن يغادر المكان بشكل مفاجئ أيضاً. وإذا لم يأت شخصياً، كان يتصل بي بشكل دوري، ويصيح عبر الهاتف متسائلاً عن طبيعة المشكلات. في كثير من الأوقات لم أستطع الرد لأنني لم أكن

أعرف ما يتحدث عنه. عندما كان يحدث هذا، كان يقول: "أيها الغبي! لا غرابة أن العمل متأخر! السبب هو أنك لا تدري ماذا يحدث"! ثم يغلق الهاتف.

في أحد الأيام بعدما صاح في وجهي، قررت أن أفعل شيئاً حيال ذلك. أمرت بتفكيك الجرافة — التي تنتظر الإصلاح-بشكل كامل. كانوا يحتاجون إليها بشكل خاص في الموقع، وعندما فككتها أصيب الميكانيكيون بالذعر، لكنني لم أخشَ شيئاً. أخذت الدليل الإرشادي، وبدأت في تركيب الأجزاء في مكانها، وكنت أدون ملاحظاتي بعناية، وأحفظ اسم كل جزء ووظيفته. كما تعرفت على الحركات الميكانيكية. هذا الأمر استغرق مني ساعات عدة. بعدما انتهيت من ذلك شعرت بالثقة بنفسي ومضيت في تفكيك معدات أخرى. عندما علم شونج بأن تزويد الموقع بالمعدات سيتأخر بضع ساعات بسبب قيامي بتفكيك الماكينات، غضب لكنه لم يقل شيئاً. كان يعلم أنني لن أتوقف حتى أرضى عن نفسي. ويبدو أنه كان سعيداً لأنني أعمل بيدي. (قال لي شونج بعد سنوات إنه دائماً ما كان يعتقد أنني أنحدر من أسرة ثرية وأنني سأجد صعوبة في التأقلم في عالم الإنشاءات الشاق، ودهش بشدة عندما اكتشف مدى الفقر الذي نشأت فيه).

بجوار مكتبي، كانت توجد شركة اسمها "كونج-يونج سا"، وكانت في تلك الأيام هي أكبر منتج كوري للركام (الزَّلَط). وكان هناك عقد بينها وبين هيونداي، أكبر مستهلك لهذه المادة. وهكذا، كانت هناك صلات وثيقة بين الشركتين.

ومع ذلك فكانت المشكلة في الكم الهائل من الغبار الذي ينبعث من المصنع. وكانت سحب الغبار الضخمة تتجه نحونا باستمرار، فتتسبب في أعطال كبيرة في الماكينات. كانت شركة "كونج-يونج سا" على دراية تامة بما كان يحدث، فقد وعدوا مرات كثيرة بأنهم سيتخذون إجراءات، مثل تركيب فلاتر تمتص الغبار، من أجل تخفيف حدة المشكلة. لكنهم لم يلتزموا بوعودهم مطلقاً.

اتصلت بالمدير المسؤول في كونج-يونج سا، وطلبت منه أن يركب الفلاتر على الفور. وأعطيته موعداً نهائياً للقيام بذلك. وعندما جاء الموعد لم يركبوا أي فلاتر. بل في الواقع إن العمال في تلك الشركة كانوا يعملون مناوبات إضافية، ويبقون حتى وقت متأخر من الليل.

أمسكت بسماعة الهاتف واتصلت بالمدير مرة أخرى. وبصوت عالٍ قلت له: "أنت وعدتني بأنك ستوقف مصنعك إذا فشلت في الوفاء بوعدك. حسناً، يبدو أن رجالك ينوون العمل طوال الليل، ومن ثم فلا يمكننا أن ننجز أي عمل هنا"!

رد المدير قائلاً دون تأثر: "لقد تلقينا تعليمات من البيت الأزرق* لإعداد الخرسانة الجاهزة. ولا أملك سوى تشغيل المصنع طوال الليل لكي أستطيع تزويدهم بالكميات المطلوبة". قلت للمدير: "هذا بينك وبين البيت الأزرق. أما نحن فيوجد اتفاق بيننا".

رد عليّ المدير بتعالٍ: "قلت لك إننا ننفذ أوامر البيت الأزرق! لذا، فهذا يجعل وعدنا معك أقل أهمية".

من جانبي، حذرته للمرة الأخيرة: "سأعطيك ساعتين. بعدها لن يكون أمامي خيار سوى استخدام القوة".

فرد المدير: "حسناً، افعل ما بدا لك، لكن دعني أذكرك بأنني أنفذ أوامر البيت الأزرق"، وأغلق الهاتف.

مرت ساعتان وأصبحت الساعة الثامنة مساء. لم نرَ أي إشارة على أنهم يسعون لتركيب أي شيء. في هذه المرة، نهضت وذهبت إلى شركة كونج-يونج سا، وقلت لهم:

---

* البيت الأزرق (Blue House) هو المقر الرسمي لرئيس الجمهورية في كوريا الجنوبية. (المترجم)

"سأنتظر حتى منتصف الليل. إذا فشلتم في الوفاء بوعدكم، فلن تستطيعوا تشغيل مصنعكم هذا في الصباح".

جاء الصباح ولم يحدث شيء، بل لم أتلق منهم حتى اتصالاً هاتفياً. ذهبت إلى إحدى الجرافات، وأدرت المحرك. انطلقت بها ببطء باتجاه كونج-يونج سا. وعند وصولي إلى الممر، بدأت أحفر أخاديد عميقة، وهكذا لن تستطيع الشاحنات الآن الدخول أو الخروج من المصنع.

حدث ذعر في شركة كونج-يونج سا، فاتصلوا بالبيت الأزرق وأعلموه بالواقعة. وطلبوا من المدير العام في شركتنا أن يُعيد الممر لحالته السابقة على الفور. فقلت لهم هذا الأمر غير قابل للنقاش.

اتصل بي مسؤول من البيت الأزرق، فقلت له: "إعادة الممر لوضعه السابق يعتمد على وفاء شركة كونج-يونج سا بتعهدها. لذا اقترحت عليه أن يتصل بهم. السبب الذي دعاني لفعل ما فعلت هو أنهم فشلوا في الوفاء بعهدهم. وهذا أمر لا ينبغي على البيت الأزرق أن يتدخل فيه. ورغم أنني لا أعرف مدى أهمية عقدكم بشركة كونج-يونج سا، فإنه إذا لم تعمل معداتنا بشكل سليم، فإن هذا سيؤثر بلا شك على إنشاء الطريق السريع". عندها أدرك مسؤول البيت الأزرق أنني على حق.

بحلول وقت الظهر، جاء إلينا ضباط شرطة من نقطة الشرطة القريبة من مكتبنا، وأطلقوا التهديدات والإنذارات، لكنني لم استسلم لمطالبهم أيضاً. وأخيراً، عندما حلّ المساء، تلقينا اتصالاً من كونج-يونج سا. "حسناً، سوف نقوم بتركيب بعض الفلاتر المؤقتة وبعد فترة سوف نضع الأجهزة التي توقف انبعاث الغبار تماماً". وعليه، قمنا بإعادة الممر لوضعه الطبيعي.

عندما حدث هذا، تلقيت اتصالاً من مكتبنا الرئيسي يوبخني على ما فعلت: "كيف تقوم بمثل هذا الأمر دون استشارتنا"؟

قلت لهم: "اسمعوا، أنا المسؤول هنا فيما يتعلق بإصلاح الماكينات وصيانتها. وأريدكم أن تعرفوا أنني جنبتكم الإحراج والتعامل مع البيت الأزرق". فأدركوا أنني كنت على صواب. كنت سعيداً أن مسؤول البيت الأزرق اتصل بي ولم يتصل بمكتبنا الرئيسي، لأنه لو قام بالاتصال بالمكتب الرئيسي لأصبحت الأمور أكثر تعقيداً.

بمجرد حل هذه القضية، اتصل أحد كبار مسؤولي البيت الأزرق برؤسائي في العمل، وسألهم: "من هذا الرجل الذي يدير المعدات الثقيلة؟ ماذا يفعل"؟ في محاولة لتهدئته، قال له رئيسي في العمل بأسلوب يتسم بالجبن والخوف: "إنه مدير شاب يتمسك بمبادئه مهما حدث. أرجو أن تعذروه لأنه لا يعرف بعد كيف تدار الأمور في العالم".

الحياة في شركة هيونداي

اعتاد شونج الاتصال بي متى واجه مشكلة وأراد حلها. كان دائماً يصيح: "اتصلوا بلي ميونج-باك"! بل لقد كان أحياناً يتصل بي بينما يريد هو في الواقع الاتصال بشخص آخر. وعندما أجيب، يبدأ في الحديث عن شيء ما لا أعلم شيئاً عنه. فأقول له: "أيها الرئيس، هذا لي ميونج-باك" فيقول: "هه هه"؟ وينهي الاتصال.

تواصلت ترقياتي دون استشارتي. كان شونج يكلفني بمهام أعلى من منصبي في الشركة، ثم كان يقوم بترقيتي حتى أستطيع إنجاز المهمة. عندما أنجزها، يكلفني بمهام أخرى، أعلى من منصبي أيضاً. بهذه الطريقة، ترقيت بسرعة قياسية. حصلت -باستثناء أقارب شونج المباشرين- على أعلى ترقيات بين الموظفين الذين عملوا في هيونداي جميعاً.

إضافة إلى ذلك، اكتسبت في ذلك الوقت شهرة بأنني شخص غير مرن. حتى إن بعضهم قال عني إنني أصبحت متعجرفاً نتيجة كثرة الترقيات. وعندما جاءتني زوجة السيد شونج في أحد الأيام تطلب مني تعيين شخص من بلدتها كنوع من المحاباة الشخصية، رفضت مؤكداً الالتزام بلوائح الشركة. كان الشباب يواجهون صعوبات جمة في الحصول على وظائف، وكانت السيدة شونج تتلقى على ما يبدو سيلاً من هذه الطلبات، بعض منها يصعب رفضه. وكانت هي، قبل كل شيء، زوجة مؤسس هيونداي. ورغم أنني شعرت بالضيق لرفض طلبها، إلا أنني شعرت بضرورة التمسك بالمبادئ والامتناع عن تقديم أي مجاملات. فلقد كنت مجرد موظف آخر يعمل لصالح الشركة.

هذه السمعة وصلت أخي الأكبر. فقال لي ذات مرة ناصحاً، خلال تناول العشاء، إن التزام المرء بالمبادئ أمر جيد، لكن إذا ما رغبت في أن أصل إلى مكانة مرموقة فينبغي عليّ أن أكون أكثر حذراً وأتعلم متى أقدم بعض المحاباة، لاسيما إذا كان ذلك الأمر يخص زوجة رئيس الشركة. قلت له إنني أُقدر له اهتمامه لكن هدفي ليس أن أصبح مسؤولاً تنفيذياً، بل أن أقوم بعملي بطريقة صحيحة. ربما كنت جامداً بشكل زائد إلا أنني لم أستطع فعل غير ذلك.

في تلك الفترة، بدأت شركة هيونداي في مشروع جديد، وهو عبارة عن بناء شقق سكنية. اليوم، هناك صفوف وصفوف من الشقق الفارهة التي تصطف على نهر هان. وأغلى العقارات الآن هي التي تقع على طول النهر. لكن في فترة الستينيات والسبعينيات، كان هذا المكان هو الذي توجد فيه شركة هيونداي وغيرها من المصانع؛ ذلك أن القرب من النهر كان مكاناً مثالياً للشركات الصناعية. ومع ذلك، فقد كانت هذه المصانع تقذف بكميات هائلة من الدخان، وكان هذا مبعث شكوى من السكان في المناطق المجاورة.

مع تنامي عدد الناس الذين بدؤوا يأتون إلى سيول للسكن والعمل، شهد قطاع الإسكان تحولات كثيرة. وكان على المدينة أن تستحدث طرقاً للتكيف مع عدد السكان المتنامي واستيعابه. نتج عن ذلك ظهور مجمعات الشقق الحديثة. في البداية، كانت الشقق، التي عرفت باسم شقق الجيل الأول، يشبه بعضها بعضاً وكأنها نسخ طبق الأصل. لكن في ظل وجود الخدمات الحديثة، مثل وسائل التدفئة ومواقد الغاز، أضحت بسرعة هي الخيار المفضل للسكن. وكانت رمزاً للمكانة الاجتماعية بالنسبة لحديثي النعمة. بعضها كان مصمماً لإيواء أكبر عدد من الناس في مناطق مزدحمة، فيما كان بعضها الآخر أكثر رفاهية ومجهزاً بأحدث التقنيات.

كانت هذه الشقق تبنى بواسطة شركات الإنشاءات المتوسطة الحجم، ولم تكن هيونداي قد انخرطت في هذا المجال بعد. وعندما لاحظتُ الإقبال الكبير على هذه الشقق، رأيت أنه ينبغي على هيونداي أن تدخل هذه السوق.

في البداية كان شونج متردداً. كان يعتقد أن بناء الشقق "أقل" من مستوى هيونداي، وأن الشركة تقترب من أن تصنع تاريخاً. قال ينبغي أن يُنظر إلى هيونداي على أنها شركة رائدة، تشيد المصانع وأحواض السفن، وتشق الجسور عبر الغابات. واصلت إقناعه. قلت له، إن الشقق هي الموضة، وإنها ستستمر. المستهلكون يحتاجون إلى شقق موثوق بها، ولها اسم مشهور، والطلب عليها سيرتفع أكثر وأكثر. إضافة إلى أن مصنع هيونداي الذي كنت أعمل فيه كان يتلقى كثيراً من الشكاوى من الناس الذي يسكنون بالقرب منه بسبب الضوضاء والتلوث المنبعث منه يومياً. وإذا ما نقلنا المصنع وبنينا مكانه شققاً سكنية، تقدم إطلالة رائعة على النهر، فسوف يكون مشروعاً ممتازاً.

في النهاية، وافق شونج على المشروع مع بعض التردد. قلت له، إن كنتَ قلقاً على صورة هيونداي، فكل ما عليك هو تأسيس شركة فرعية تتولى مهمة بناء الشقق. وهكذا،

تم تأسيس الشركة الكورية للتنمية الحضرية. وتطورت الشركة ووصلت عائداتها السنوية قرابة المليار دولار. في الوقت الحالي، تُعد "شقق هيونداي" من أغلى الشقق ثمناً وأكثر طلباً في كوريا. ومع ذلك، زُج باسم "شقق هيونداي" في خضم جدل كبير يُعدُّ أحد أكثر اللحظات المحرجة في تاريخ هيونداي.

الترقيات

في مطلع فترة السبعينيات، كانت هيونداي تُعِدُّ نفسها لتحول ضخم. فالمناخ التجاري كان يتطور بسرعة، وكذلك كانت هيونداي. لقد أصبحت مجموعة تجارية تضم آلاف الموظفين. والآن تمتلك هيونداي شركات فرعية كثيرة، وتضم إمبراطوريتها شركات متخصصة في بناء السفن والسيارات.[10] وواصلت النمو والتطور بسرعة. فقد كان عليها أن تتطور لكي تظل في المقدمة.

إن التحول التجاري يعتمد على الناس. وهذا ينطبق بشكل خاص عندما تبدأ مؤسسة متوسطة الحجم بتحويل نفسها إلى مجموعة تجارية، في كل من الحجم، ومجال العمل. ولم تكن هيونداي استثناءً في ذلك. بدأت هيونداي في تغيير موظفيها، وتعيين شباب وعقول مبدعة لكي تحل محل الرعيل الأول من "رجال هيونداي" (ونسائها). ولاشك أن مثل هذا التحول قد واجه مقاومة، وهي فترة اتسمت بآلام متنامية. ومع ذلك، لم ترضَ هيونداي بأن تظل ببساطة شركة إنشاءات تمتلك شركات فرعية ثانوية.

في عام 1971 عُينت مديراً، وكانت أول مهمة لي هي إعادة تطوير شركة هيونداي للهندسة والإنشاء، الشركة الأم، حتى تصبح أكثر تنافسية. بوصفي مدير الشركة، كانت أولويتي هي العمل على تبسيط جميع الإجراءات الإدارية وتناغمها. وهذا يعني التركيز على الجودة والربحية على حساب التوسع الخارجي، وتعزيز نقاط القوة وزيادة الإنتاجية.

تبنيت خططاً متنوعة لتحقيق هذه الأهداف، مثل: إدخال آليات المحاسبة الشفافة، وإدارة أفضل للموارد البشرية، وتحديد أهداف متوسطة وطويلة المدى. كان الأمر يتعلق بوضع نظام وهيكل يُمّكن المجموعة من التنافس على المستوى العالمي.

وكما هو متوقع، كانت هناك مقاومة من الداخل. اتهمني بعضهم بتجاوز حدودي. وقال بعضهم الآخر إنني أصبحت أكثر عجرفة. لم أقل إنني لم أصبح متعجرفاً، لكنني اعتبرت أن أموال الشركة هي أموالي؛ فالأرباح ملك للشركة، وكأحد مسؤوليها التنفيذيين، اعتبرت أن الشركة شركتي. لم أكن أعمل لصالح شونج جو-يونج أو لأسرته أو من أجل نفسي، وإنما كنت أعمل لصالح شركة تسمى هيونداي.

في عام 1974، تمت ترقيتي لمنصب المدير التنفيذي، وفي عام 1975، تمت ترقيتي مرة ثانية لأصبح نائب الرئيس. في عشر سنوات فقط، وصلت لأعلى المستويات. شكك كثير في صعودي الصاروخي، وأصابت الغيرة كثيراً منهم، وانتشرت الشائعات. من بين تلك الشائعات أنني قريب شونج جو-يونج، وأخرى أنني أمتلك دليلاً جنائياً ضد شونج، ومن ثم فليس أمامه خيار سوى أن يرقيني لكي ألتزم الصمت. شائعة أخرى قالت، إنني أحظى بدعم من الرئيس بارك شونج-هي. ولم تقتصر الشائعات على موظفي هيونداي فقط، بل امتدت للناس العاديين في الخارج. دائماً ما كانت الصحف تخصص قسماً خاصاً عندما تتم ترقيتي، وكنت مادة خصبة للحديث في أوساط رجال وسيدات الأعمال وهم يحتسون المشروبات. كان شونج على دراية بالشائعات، وكان يقول: "انظر لي ميونج-باك! أنا لا أرقيك. أنت ترقي نفسك! كل هؤلاء الذين يتحدثون عنك وينشرون الشائعات لا يعرفون ما يتحدثون عنه. لذا، لا تشغل نفسك بما يقولون". في أحد اللقاءات الصحفية، سألني أحدهم كيف تنجح في الترقي بهذه السرعة؟ قلت له: "إنني معجب للغاية بقدرة شونج جو-يونج على إيجاد الناس المناسبين، وشجاعته في تعيين هؤلاء الناس في المكان الصحيح في الوقت الصحيح".

كانت الفرحة والإثارة تذبل عقب مرور عام على الترقية. لكن في عام 1975، عندما أصبحت نائب رئيس الشركة، كنت فرحاً للغاية. في الليلة التي رُقيت فيها، اشتريت زجاجة نبيذ، وذهبت للقاء صديق قديم. كان صديقي شانج-داي، الذي سكنت معه في غرفة واحدة عندما كنت أذاكر لكي أصبح متسرباً من الجامعة. لقد مرت سنوات طويلة منذ آخر مرة رأيته فيها. تخرج صديقي هذا من كلية الهندسة ويعمل الآن. تعانقنا بحرارة. وقال لي: "قرأت خبراً عنك اليوم. مبارك على الترقية"!

قلت له: "شكراً".

ابتسم وقال: "هذا شيء عظيم! دعنا نشرب ونحتفل".

شربنا طيلة الليل وبعدما فرغت الزجاجة التي اشتريتها، طلبنا زجاجة أخرى. تحدثنا لساعات. لأول مرة منذ سنوات كثيرة تحدثت براحتي ودون حذر وتحفظ. اكتشفت أنني قد خزّنت أحزاناً كثيرة. كلما تحدثت، أدركت أنني أبكي. بعد فترة قصيرة لم أستطع التوقف. كانت أول مرة أبكي فيها، منذ أن أصبحت شاباً وبدأت العمل، أمام شخص آخر. تذكرت أمي وكم كانت ستكون فخورة بي لو أنها رأتني، وقد أصبحت نائباً لرئيس هذه الشركة الضخمة. تذكرتها ولم أستطع التوقف عن البكاء.

قال لي شانج-داي: "استمر في البكاء يا ميونج-باك، أخرج كل ما عندك لا تكبت شيئاً. لا بأس. أستطيع تصور ما اضطررت لتحمله. أنا أعرفك. أعرف أنك طيب القلب. أنت إنسان جيد، وأمين ومحترم. وأعرف كم عانيت كل هذه السنوات! لا بأس أن تخرج هذه الأمور المكبوتة في هذه الليلة. ابكِ يا صديقي كما تريد".

وبكيت كثيراً في تلك الليلة الباردة من شتاء عام 1975.

الشرق الأوسط

بدأت شركات الإنشاءات الكورية في البحث عن فرص في السوق الشرق أوسطية منذ عام 1974. وأتاحت خبرة هيونداي في تايلاند وفيتنام لها أن تصبح من بين أوائل الشركات التي تستطلع الأسواق الجديدة، بما في ذلك الشرق الأوسط. وكانت هناك حاجة ماسة إلى القيام بذلك في ظل أن كثيراً من الشركات التي كانت تعمل في فيتنام كانت تنسحب من هناك نتيجة لاشتداد الحرب الفيتنامية، وعليه اتجه معظمها إلى منطقة الشرق الأوسط. إضافة إلى ذلك، كانت صدمة النفط في السنة الماضية مدمرة للاقتصاد الناشئ وكاشفة لنقاط الضعف وقابلية التأثر. أدت النزعة القومية إلى زيادة أسعار النفط. واضطرت الدول التي كانت تستورد معظم احتياجاتها من الطاقة من الخارج، مثل كوريا، إلى إجراء تعديلات قاسية. فقد نضبت احتياطات العملة الأجنبية، وباتت كوريا على حافة الإفلاس.

خلال هذه الأوقات صعد نجم هيونداي وغيرها من الشركات. فالأموال التي جنتها في الشرق الأوسط والتحويلات التي أرسلت إلى الوطن أنقذت كوريا. تحمّل آلاف الشباب الكوريين حرارة الصحراء وقيظ الشمس، من أجل أسرهم، وشركاتهم ووطنهم. هؤلاء المهندسون واللحامون والميكانيكيون كانوا هم الأبطال الحقيقيين. كان لدى الشركات إحساس بالرسالة التي ينبغي أن تحققها، وسعت كل منها بقوة لتحقيقها في تلك الأسواق الجديدة. كانت شركات عصرية تتمتع بروح المغامرة.

ومع ذلك، واجهت الشركات معارضة من قبل الكثيرين عندما سعت لدخول السوق الشرق أوسطية، ولم تكن هيونداي استثناء في ذلك. في الوقت الذي كنت فيه أنا وشونج جو-يونج متحمسين لهذه المشاريع، كان شونج إن-يونج[11] (الأخ الأصغر لشونج جو) معارضاً لها بقوة. كان شونج الأصغر يشك في نجاح المشروع، قائلاً: إن هيونداي تسعى لما هو أكبر من قدرتها. وكانت معارضته تلك تشتد كلما كبرت مشروعاتنا

في الشرق الأوسط. كان يخشى أن تفشل هيونداي في النهاية، مثل الشركات الكورية الأخرى التي كانت تتكبد خسائر مستمرة في الشرق الأوسط.

عندما قررنا الدخول في منافسة للفوز بعقد قيمته 150 مليون دولار أمريكي لبناء حوض لبناء وإصلاح السفن في البصرة بالعراق، رفض شونج الأصغر بشدة. كان وقتئذ رئيس قطاع العمليات في الخارج لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. وسرعان ما تصاعد الخلاف في الرأي وتحول إلى شقاق داخلي، وتشبث كل طرف برأيه. استمرت هذه المواجهة لفترة طويلة. وأخيراً، عندما تم استكمال مقترح المشروع، حث شونج الأكبر فريق العمل على السفر على الفور، فيما أمر شونج الأصغر الفريق بالبقاء مكانه. في نهاية الأمر فزنا بالعقد، وهزمنا جميع الشركات الدولية الشهيرة التي كانت تنافسنا على المشروع، ونجحنا في إنجاز المشروع قبل الوقت المحدد. وهذا كان ذروة نجاح شركات الإنشاءات الكورية في الخارج، حيث فاق العائد السنوي المجمع لشركات الإنشاءات الكورية في ذلك الوقت أكثر من 10 مليارات دولار.

وكان مشروع "ميناء الجبيل الصناعي" بمنزلة تتويج لإنجازاتنا، وشهادة على جدية الكوريين وعزيمتهم. كان مشروعاً تاريخياً، ليس لهيونداي فحسب، بل لمستقبل الاقتصاد الكوري أيضاً. فلقد كان نقطة تحول لنا. كنا نسعى دائماً لأن نكون مبدعين. إحدى الأفكار التي أذهلت العالم هي قيامنا بتصنيع الهيكل الحديدي لمرافق الميناء في حوض بناء السفن التابع للشركة بمدينة أولسان في كوريا (التي سميت فيما بعد شركة هيونداي للصناعات الثقيلة) ثم شحنه بحراً إلى شبه الجزيرة العربية.

كيف أصبحت رئيساً تنفيذياً؟

بعد إنجاز مشروع الجبيل، كانت المعنويات في هيونداي مرتفعة، وكانت هيونداي للهندسة والإنشاء في تقدم مستمر. كانت الشركة تنمو والدولة تزدهر، لقد كان وقت النمو الاستثنائي، وأصبح المستقبل واعداً ومفعماً بالأمل.

ومع ذلك، كانت هناك سحابة عبر هذه النشوة. لقد قرر شونج إن-يونج أن يستقيل من منصبه. رأى الأخَوَان أن هذا هو أفضل وقت للانفصال. لقد أتت العداوة بين الأخوين، التي اتضحت واشتدت خلال مشروع الجبيل، بمفعولها السلبي. ترك شونج الأصغر منصبه ليرأس شركة فرعية مستقلة. وهذا لم يكن تحولاً طفيفاً بين الموظفين، بل كان خلافاً على أعلى المستويات، وكان له انعكاساته في مختلف أنحاء الشركة. فقد أعلن كثير من الموظفين الموالين له اعتزامهم ترك هيونداي والانضمام له. وذاعت شائعات عن أن شو سونج-كون، الذي كان يرأس القطاع المحلي في هيونداي للهندسة والإنشاء، قد قدم استقالته. كان المزاج داخل الشركة متقلباً.

ذات مساء اتصل بي شونج جو-يونج، ودعاني إلى مكتبه. كان وجهه متجهماً. قال لي: "يبدو أننا سنضطر لإجراء تغييرات بين كبار الموظفين. أفكر في نقل شون وكيم ليصبحا تنفيذيين كباراً، وإرسال كيم ليصبح مدير الموقع. ما رأيك"؟ لم يكن يسألني عن رأيي، كان قد اتخذ قراره بالفعل. وأضاف: "على فكرة، هل سمعت أي شيء عن شو سونج-كون؟ هل تعلم فيمَ يفكر الرجل"؟

تظاهرت أنني لم أسمع أي شيء يستحق أن أنقله إليه؛ ذلك لأن شو كان متحفظاً حول ما ينوي فعله، ولم أكن لأقفز للنتائج. ورغم أن شونج كان على وشك أن يقول شيئاً آخر، إلا أنه قال: "لا تشغل بالك. أراك في الغد".

بعد مرور شهرين، عندما دنا موعد الإعلان عن القرارات الجديدة، عرفت ما كان ينوي شونج أن يقوله في تلك الليلة. كالعادة، طلب شونج أن يراني في مكتبه. عقب احتساء الشاي والتحدث في أمور الشركة، قال لي: "بعدما ترك شو الشركة، من الذي ينبغي أن أعينه مكانه"؟ أستطيع القول بأنه كان يتظاهر بأنه متردد، وهي عادة اعتاد أن يفعلها قبل أي إعلان هام: طلب مني أن أكون الرئيس المقبل لهيونداي للهندسة والإنشاء.

بحلول ذلك الوقت كنت قد تعودت على أن تتم ترقيتي مبكراً (ويرى بعضهم أنه قبل الموعد). ومع ذلك، في هذه المرة فوجئت حقاً. قلت له: "أيها الرئيس، أنا ليست لديّ الخبرة الكافية لتولي هذا المنصب الهام".

رد شونج: "لا يوجد شخص مناسب. نائب الرئيس كوون مهندس، ومن ثم فهو لا يعرف أي شيء عن الإدارة. ساي-يونج وسون-يونج (أخوا شونج الأصغر منه) يعملان في مجال السيارات والإسمنت، لذا فهما مستبعدان، بالنسبة لـ...". قاطعته قائلاً: "سيدي، هناك كثير من الناس الذين لديهم خبرة أكثر مني".

صاح متذمراً: "حسناً، إذن أعطني بدائل! أليست لديك طموحات؟ أنت شاب، ما هي مشكلتك"؟

كان شونج مصمماً. وكنت أعلم أنه لم يتخذ قراره هذا بين ليلة وضحاها. أتفهم أكثر من أي شخص آخر مدى صعوبة اتخاذ هذا القرار. ولهذا رفضت. الأمر لم يكن يتعلق بالتمتع بثقة مؤسس الشركة والقدرة على إنجاز المهمة. بل كان يتعلق بتولي قيادة شركة عالمية، وإحدى أكثر المجموعات التجارية الكورية ربحية وتأثيراً.

أضاف شونج: "انظر يا لي، ماذا تعني لك شركة إنشاءات؟ الإنشاءات هي صناعة معقدة. فهي تشمل جميع نواحي التجارة، ومن ثم مَن ينجح في الإنشاءات يمكن أن ينجح في أي شيء. لكن الأهم هو تعيين إدارة وأناس جيدين. أعترف بأنني أهملت هذا الجانب. تصورت أن كل ما أريده هو إنجاز المهام وجني الأموال. لكن هذا ليس كل شيء. الآن أدركت هذا".

في الآونة الأخيرة، حدثت نزاعات عمالية وإضرابات، ويبدو أن أعمال الشغب التي وقعت في مواقع الشركة في الخارج قد أثرت فيه. كان متواضعاً، وأدرك أنه قلل من أهمية اختيار أناس جيدين من حوله.

وأضاف: "لي ميونج-باك، أنا أعرفك. أنت تعرف كيف تدير الناس. أريدك أن تقبل هذا المنصب، إذا لم يكن من أجلي، فمن أجل الشركة. فكر في الأمر".

كانت هذه هي المرة الأولى التي طلب فيها شونج رأيي فيما يتعلق بترقيتي. لقد كان عرضاً مختلفاً عن أي ترقيات سابقة، كان يطلب مني تولي شيء مختلف تماماً عما تعودت عليه، وكان يدرك أن هذا القرار قد يؤثر في مستقبل المجموعة ذاتها. أحسست بجديته، وشعرت بمعاناته.

في اجتماع مجلس الإدارة، عقب بضعة أيام، تم تعييني رئيساً للقطاع المحلي لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. كنت حينئذ في الخامسة والثلاثين.

الضجة التي أثيرت عقب تعييني كانت أكثر مما توقعت. لقد مررت بمثل هذه الأمور من قبل، لاسيما عندما تم تعييني نائباً للرئيس، والآن بعدما أصبحت الرئيس والرئيس التنفيذي، أعرف ما الذي سيقوله الناس عني. بدأت تنتشر شتى أنواع الشائعات مرة أخرى. بعض الناس استبعد باستخفاف خبر التعيين، وانزعج بعضهم الآخر بوضوح. تحسر الموظفون القدامى على أنهم سيُضطرون للعمل تحت إمرة رجل أصغر منهم بسنوات كثيرة. وآخرون استشاطوا غضباً. وبعضهم ردد شائعات بأن الرئيس بارك شونج-هي هو الذي ضغط على الشركة لتعييني في هذا المنصب. رغم أن الشائعات ذاتها تتردد مرة أخرى، إلا أنها كانت أكثر حدة هذه المرة. كانت الصحافة تشعل الشائعات وتغذّيها، وانهالت عليّ طلبات لإجراء مقابلات مع الصحف.

شعرت بالإحراج ولم أعرف ماذا أفعل. كنت لا أستطيع أن أذهب إلى العمل. بعض مراسلي الصحف جاؤوا إلى بيتي لإجراء مقابلات معي. كنت غير قادر على التعامل مع الأمر بهدوء. فقررنا أنا وزوجتي الذهاب إلى بلدتي بوهانج، لقضاء بعض الوقت والابتعاد عن هذه الضجة.

كان تلك أول زيارة لي إلى بوهانج منذ خمسة عشر عاماً، أي منذ أن غادرت في عجلة من أمري دون حضور حفل تخرجي من المدرسة الثانوية. تذكرت حياتي حينئذ؛ العوز، وعدم اليقين، والألم، والأهم من كل ذلك الجوع. قررت عندئذ أن أنتهز الفرصة وأواجه التحدي. تعهدت بألا أكون مجرد رئيس تنفيذي محاط بالرفاهية وأوافق على كل ما يعرض عليّ. كنت عازماً على أن أقدم أفضل نموذج ممكن. لكنني لم أكن أدري ما الذي ينتظرني؛ فقد كان شيئاً أبعد من خيالي.

الفصل السابع

مليكتي

هذه الليلة، شعرت بالسعادة. عاهدت نفسي بأن أُسعِد هذه المرأة. وتعهدت أن أبذل قصارى جهدي لتكون أمي فخورة بي. وكنت ممتناً للثقة التي منحتها لي يون-أوك.

في الكلية، لم يكن لديّ وقت لممارسة أي أنشطة ترفيهية، وكانت دائرة أصدقائي ضيقة جداً. وكانت مواعدة الفتيات بالطبع شيئاً خارج نطاق استطاعتي. وحتى بعد الالتحاق بالعمل في هيونداي، لم يكن لدي كثير من الأموال، وبالتالي كان الزواج خارج التفكير.

لكن عندما أصبحت مسؤولاً تنفيذياً في سن الثامنة والعشرين، بدأ الناس يسألون إن كان لديّ عشيقة أم لا، وما إذا كنت أرغب في الزواج أم لا. أصبحت صيداً في سوق الزواج، وبدأت الخاطبات في الاتصال بي ليعرضن عليّ العرائس. أردن أن يقدمنني إلى فتيات من أسر ثرية وبنات سياسيين نافذين. حتى إن بعضهن سعين لتقديمي لممثلات مشهورات. بيد أنني لم أشعر أنني ثري أو ناجح، على العكس كنت خائفاً من هؤلاء الفتيات اللاتي عشن حياة مختلفة تماماً عن حياتي.

ذات مرة، اتصلت بي سيدة في أوائل العشرينيات بمكتبي، وطلبت التحدث معي. بدت لحوحة حتى إن سكرتيرتي أوصلتها بي مباشرة. عندما أجبت على الهاتف، كان أول ما سألتني عنه هو: "هل أنت لي ميونج-باك الحقيقي"؟

قلت: "نعم، بالطبع أنا".

بكت بصوت عالٍ، قائلة: "لقد خدعني رجل ادعى أنه لي ميونج-باك. أرغب في رؤيتك حتى أعرف الحقيقة".

شعرت بالقلق؛ إذا كان ما قالته صحيحاً فهذا يعني أن هناك شخصاً ما يدعي أنه أنا. وافقت على مقابلتها في المقهى.

كانت فتاة جذابة في أوائل العشرينيات. قالت لي: "التقيت برجل ادعى أنه أنت، لي ميونج-باك يعمل في هيونداي للهندسة والإنشاء. أعطيته كل ما معي، وحتى الأموال التي استلفتها من والديّ عندما قال لي إنه يحتاج إلى نقود بشكل عاجل لمشروعه. أنت لي ميونج-باك الحقيقي، صحيح؟".

قلت لها: "للأسف نعم، أنا لي ميونج-باك الحقيقي".

تنهدت، وقالت: "إذن أنت لا تعرف ذاك الرجل؟".

قلت لها: ما لم يطلب المنتحل إذناً من الشخص الذي انتحل شخصيته، كيف أعرف من يكون ذاك الرجل؟، وأضفت: "سيدتي، أتمنى أن أعرف من هو هذا الرجل. لكن للأسف لا أعرفه. هل يشبهني؟"، لم ترد.

التقيت زوجتي كيم يون-أوك عن طريق مدرس اللغة الإنجليزية، الذي كان مغرماً بي. وكان صديقاً للأخ الأكبر ليون-أوك. أكثر شيء أحببته فيها ليس كونها من أسرة ثرية، ولكن لأن والدها كان موظفاً عاماً يشتهر بالنزاهة. تخرجت يون-أوك من "جامعة إوها للفتيات" في عام 1970 – العام الذي تزوجنا فيه- واكتشفت لاحقاً أنها قد اختيرت

في وقت ما لتكون "ملكة مايو"* في الكلية. كانت جميلة والأهم من ذلك أنها إنسانة صالحة وطيبة القلب.

لم نتمكن من الخروج معاً كثيراً. يرجع هذا لأنني لم أكن أستطع الحضور في الموعد المحدد بسبب عملي. لدرجة أنه في بعض الأحيان، كنت اضطر للاتصال بالمقهى الذي يفترض أن نلتقي فيه، وأطلب منها أن تنتظرني في المطعم لتناول العشاء، ومع ذلك كنت أتأخر على موعد العشاء أيضاً. وينتهي بها الحال لتناول العشاء وحدها. لقد حدث هذا مرات عدة. وكانت تأتي أيام لا أستطيع الخروج معها مطلقاً، وفي تلك الأحوال كنت أطلب من سائقي أن يوصلها إلى منزلها.

أخيراً، عندما قررت الزواج منها، طلبت منها أن تأتي معي إلى ضريح أمي. لم أكن متأكداً إن كانت ستوافق على المجيء معي إلى هناك أم لا؛ لأنه عندما نصل إلى هناك سيكون الظلام قد حل على المكان. لم نكن خرجنا كثيراً، ولم نكن قد تحدثنا عن تحديد موعد للخطوبة. ولحسن الحظ، وافقت.

عندما وصلنا إلى ضريح أمي حنيت رأسي. وصليت، ثم قلت لها: "أمي، أنا ابنك الأصغر لي ميونج-باك. أنا بخير. أعمل في هيونداي، وسبق أن عملت أيضاً في تايلاند. أبي بخير. أريد أن أقدم لك زوجة ابنك الأصغر. آملاً أن تحبيها. لولا دخولي السجن لربما كنت تعيشين معي اليوم، ولكانت هي من تعتني بك وتقوم على رعايتك". جلست أمام ضريح أمي لفترة طويلة.

---

* ترجع هذه التسمية إلى أن بعض الجامعات تنظم حفلاً مع حلول فصل الصيف في بداية شهر مايو، يتم فيه اختيار أجمل فتاة في الكلية/ الجامعة ومنحها لقب "ملكة مايو" (May Queen). (المترجم)

في تلك الليلة، شعرت بالسعادة. عاهدت نفسي بأن أُسعِد هذه المرأة. وتعهدت بأن أبذل قصارى جهدي لتكون أمي فخورة بي. وكنت ممتناً للثقة التي منحتها لي يون-أوك. ورغم أنها لم تلتق بأمي مطلقاً، إلا أنها كانت دائماً، منذ ذلك اليوم، على وعي بحضور أمي في حياتي. بعدما تزوجنا، أصبحت يون-أوك مسيحية متدينة جداً، كما كانت أمي تماماً.

بعدما تزوجنا بفترة طويلة اعترفت لي يون-أوك بأنه عندما رأتني صديقاتها لأول مرة، اندهشن وقلن لها: "يون-أوك! ما الذي دهاك؟ لماذا تتزوجين رجلاً بهذا الشكل؟!"، لقد دُهشت صديقاتها عندما رأين أن يون-أوك، التي اختيرت من قبل كواحدة من أجمل فتيات الكلية، تتزوج رجلاً مثلي. تفهمتُ امتعاضهن. لقد عانيت من عقدة "الوجه القبيح" منذ كنت طفلاً. حتى إن أسرتي أقرت بأنني لم أكن طفلاً وسيماً.

عندما كنت محاسباً شاباً في تايلاند، شُغِفتُ حُباً بفتاة صينية تدعى شين لينج. كانت ابنة تاجر صيني يسكن بالقرب من مكتبنا، وكان يسمح لي بالدخول إلى منزله وإحضار المياه من البئر. السبب الوحيد الذي جعله يسمح لي بالدخول هو أنه شعر بأنني شخص أمين وجدير بالثقة.

بعدما رأيت شين لينج من بعيد ووقعت في هواها على الفور، كنت أذهب وأحضر الماء طوال الوقت. لم أكن أتحدث الصينية، ولم تكن هي تتحدث الكورية، لذا كنا نتواصل باستخدام الإنجليزية "المكسرة" وإشارات اليد. لكن سرعان ما أصبحنا أصدقاء، وكنا نتواعد قرب أحد المقاهي، إلى أن اكتشف أبوها الأمر ومنعنا من رؤية بعضنا. (وبالطبع ألغى السماح لي بإحضار الماء). كنت أقول لشين لينج أنني قبيح جداً، ولا أناسبها. قلت لها بشكل جاد كم أتمنى أن أتمكن من إجراء عملية لتصبح عيناي واسعتين. كانت تنزعج متى تحدثت أمامها عن عقدتي هذه، قائلة لي إن عينَيّ ممتازتان، وإنني رجل وسيم. كانت هي أول شخص يقول لي إنني وسيم.

مقارنة بالرجال غير المتزوجين لم أكن جذاباً من حيث خلفيتي الاجتماعية أيضاً. فبعدما وافقت يون-أوك على الزواج مني، قالت لي إنني خدعتها في أمرين: الأول تعليمي، والثاني الوضع الاجتماعي لأسرتي. فيما يتعلق بالأول، قالت لي إنها لم تتخيل أن يكون أحد خريجي جامعة كوريا قد تخرج من مدرسة ثانوية ليلية. وعن أسرتي، قالت إنها تعلم أن أسرتي ليست ثرية، لكنها لم تتصور أنها "فقيرة لهذه الدرجة".

لم يستطع أبي أن يقدم لي أي مساعدة مالية عند زواجنا. ومع ذلك، بفضل الهدايا التي جاءتنا في صورة نقود يوم زفافنا، استطعنا أن نجد شقة صغيرة. كان لدينا الحد الأدنى من الأثاث والأجهزة المنزلية. استأجرنا الشقة بعقد شهري. وفرشت هيونداي الشقة بالسجاد كهدية لنا. رغم أن السجاد لم يكن مناسباً للمكان إلا أننا لم نشتكِ. وكان مرتبي هو مصدر دخلنا الوحيد.

كل ستة أشهر، كان صاحب الشقة يرفع قيمة الإيجار، لذلك اضطررنا للانتقال ثماني مرات خلال ثلاثة أعوام فقط. حتى المرة الثانية كنا نقوم بتفريغ الحقائب والصناديق، لكن بعد ذلك قررنا أن نفرغ ما هو ضروري فقط. بحلول المرة السابعة، لم نخرج سوى الملاعق وعيدان الأكل (الخشبية). أتذكر أنني نسيت في إحدى المرات أننا انتقلنا من الشقة، حيث عدت إلى الشقة السابقة بعد الانتهاء من عملي.

أول شقة اشتريناها كانت شقة صغيرة بنتها "مؤسسة الإسكان الوطني". لم تكن هناك مبالغ إضافية على الشقة (يتم إضافة هذه المبالغ على الشقق عندما تصبح الشقق رائجة. هذه هي الطريقة التي يتم التعامل بها مع الشقق والعقارات والفيلات في كوريا. في هذه الحالة، كانت الشقة رخيصة، ولم يكن هناك مبلغ إضافي)، حيث دفعنا المقدم فقط. وسددنا الباقي على أقساط على مدار خمسة عشر عاماً. بعد سنوات، انتقلنا إلى شقة هيونداي التي وفرتها لنا الشركة.

في أحد الأيام، قيل إن هناك شائعة في المنطقة تقول بأن: "لي ميونج-باك يعيش مع عشيقة شابة". عندما سمعتها لأول مرة، تجاهلت الأمر. لكن بعدما استمرت الشائعة لأسابيع، شعرت بأنه يجب أن أتبين الأمر. طلبت من المدير الإداري أن يبحث الموضوع.

اتضح أنه نظراً لأنني أذهب إلى عملي مبكراً وأعود في وقت متأخر من الليل، وكثيراً ما أكون خارج الدولة، فنادراً ما يرى جيراني رئيس هيونداي شخصياً. وكان يفترض كثير منهم أنه لابد من أن يكون شخصاً في منتصف الخمسينيات من العمر على الأقل، وأن تكون زوجته في منتصف الأربعينيات أو ما شابه ذلك. لذا، عندما اكتشف بعضهم أن زوجتي في التاسعة والعشرين فقط، كان من الصعب أن يصدقوا ذلك. ومتى ذهبت زوجتي إلى الخارج ممسكة بيد ابنتي، كان يقول الناس: "هل هي حقاً زوجة لي"؟ وهذا قاد بعضهم إلى التكهن بأنها ليست زوجتي الحقيقية، ولكن عشيقتي. وأخيراً توقفت الشائعات عندما علم الناس عمري الحقيقي، ورأوا صوري في الصحف.

مرة أخرى، "زُج" بشخصيتي مع امرأة من واقع الخيال على التلفاز. كان يتم إذاعة مسلسل تلفزيوني اسمه "الطموح" يعتمد بشكل غير دقيق على حياتي. وكانت شخصيتي وفقاً لهذا المسلسل هي رجل متزوج لايزال يلتقي بعشيقته التي تعرّف عليها منذ أيام الجامعة. وهذا قاد كثيراً من الناس للخلط بين الخيال والواقع. وكثيراً ما كان مشاهدو هذا المسلسل يقابلون زوجتي ويسألونها لماذا تسمح لزوجها بأن يلتقي بعشيقته القديمة. فكانت زوجتي تؤكد لهم أن الأمر غير صحيح، وتشرح لهم أنه مجرد مسلسل تلفزيوني.

وصل الأمر إلى أن زوجتي نفسها باتت مرتبكة. عندما وصلت إلى البيت في إحدى الليالي سألتني ببرود: أين كنت؟ لم أفهم لماذا تسألني فجأة مثل هذا السؤال. قلت لها: "أين تعتقدين أنني كنت؟ لقد كنت في العمل بالطبع". لاحقاً اكتشفت السبب؛ كانت حلقة

المسلسل في تلك الليلة تصور شخصيتي وهو عائد للبيت عقب رؤية عشيقته في فندق. وبالصدفة المحضة، عدت إلى البيت في الوقت ذاته بالضبط الذي عاد فيه بطل المسلسل إلى البيت، وظلت يون-أوك مرتبكة للحظات.

"عشيقة الجامعة" في المسلسل لم تكن خيالية تماماً. كانت مبنية على شخصية حقيقية، لكن آخر مرة رأيتها فيها كانت قبل زواجي بسنوات. كانت فتاة قابلتها عقب عدم قبولي في الخدمة العسكرية. ذهبنا إلى الكنيسة معاً. ونظراً لعدم وجود نقود معي فكانت تشتري لي النودلز أو تذاكر السينما متى التقينا. (ولاحقاً، اكتشفت أنها ابنة أحد كبار الشخصيات العامة).

في أيام الأحد، كانت عادة ما تأتي إلى منزلي، وتطلب مني الذهاب إلى السينما. رغم أنها كانت تستطيع دفع أجرة التاكسي إلا أنها كانت دائماً تستقل الحافلة وتتناول النودلز الرخيصة، من أجلي. توقعت أن أخرج معها عندما نظمت الكلية حفلة يخرج فيها كل طالب مع طالبة، ولمّا لم تكن لدي نية في حضور الحفلة لذا لم أطلب أن نخرج معاً، فغضبت مني لفترة.

في عيد ميلادها، طلبت مني أن أخرج معها لتناول العشاء. كانت محاولة منها لإعادة العلاقة. وافقت، وذهبنا إلى مطعم ياباني راقٍ وسط المدينة. صعدنا إلى غرفة خاصة في الدور العلوي. افترضت أن هذا هو المطعم الذي تذهب إليه هي وأسرتها كثيراً. أما بالنسبة لي فكان كل شيء غير مألوف، لاسيما قائمة الطعام. لم أسمع في حياتي عن شيء اسمه "سوكياكي" (Sukiyaki)، لكن هذا ما طلبته هي. أحضر النادل طبقاً صغيراً فيه بيض نيئ ووضعه أمامي. نظرت إليه ثم التهمته. أحضر النادل طبقاً آخر ووضعه أمامي، فالتهمته دونما تفكير (فلطالما كنت أحب البيض). عندما أدركت أنني لا أعرف كيف

أتناول السوكياكي، شرحت لي من خلال مزج البيض في الطبق، وأوضحت لي أنه كان يفترض بي أن أغمس الطعام في الطبق.

رغم أنني شعرت بالإحراج لكن ما ضايقني أكثر هو الفاتورة. ظللت قلقاً كيف سأدفعها. كنت عصبياً طوال الأكل. عندما انتهينا، انتظرتني في الخارج. نظرت في الفاتورة، لم يكن معي نقود كافية. أعطيت لأمين الصندوق الساعة التي أرتديها كرهن أو ضمان (كان هذا أمراً معتاداً في المطاعم والبارات الرخيصة قرب الكليات، حيث كان هناك طلاب آخرون مثلي ممن ليس لديهم نقود). رمقني أمين الصندوق بابتسامة ساخرة وأعاد إلي الساعة التي كانت مليئة بالخربشات، وخضراء من جرّاء الصدأ.

لما يئست، ذهبت إليها وقلت لها الحقيقة، ووعدتها بأن أدفع لها لاحقاً إذا ما دفعت هي الفاتورة الآن. كانت سعيدة للغاية، لكن بعد هذا شعرت بأنني غير مرتاح لمقابلتها. أرسلت إليها النقود عبر صديق مشترك.

عندما دخلت السجن عقب قيادة المظاهرات الطلابية إبان حركة 3 يونيو، كانت تغادر منزلها مبكراً في الصباح، وتأتي لزيارتي في السجن. عندما علم أبوها أنها تذهب لرؤية أحد قادة الطلبة الذين سجنوا بسبب التحريض على التمرد، استشاط غضباً. وسرعان ما أرغمها على قبول الخطوبة من أحد الأشخاص ومنعها من رؤيتي. وبعدما خرجت من السجن، بحثت عنها بين من ينتظرونني في الخارج، إلا أنها لم تكن من بينهم. ولاحقاً، التقيت بها صدفة في أحد المقاهي. وبمجرد رؤيتي أجهشتْ بالبكاء: "لقد خُطبت لأنني لم أستطع عصيان أبي. لكن إذا وافقت فسوف أهرب معك". لم أستطع القيام بما عرضته علي. ولم نلتقِ مرة أخرى بعد ذلك.

أخذت يون-أوك على عاتقها رعاية أطفالنا الأربعة، والاهتمام بهم. نادراً ما رآني أطفالي، بناتي الثلاث والابن الأصغر، خلال فترة نموهم. ولم أكن موجوداً لأقف بجانبها

عندما أنجبتهم. عندما أصبحت رئيساً لهيونداي للهندسة والإنشاء، أقمت في الخارج معظم الوقت، أو كنت مشغولاً في عملي بالمكتب. لم تذهب أسرتنا في إجازة أسرية مطلقاً. ذهبت ذات مرة أنا وزوجتي إلى بلدتي، لكنها كانت زيارة لنأخذ وقتاً للتفكير في أمور تتعلق بالعمل، ومرة أخرى ذهبنا إلى منتجع في إحدى الجزر، لكنها كانت زيارة لنتدبر الخطوات التالية عقب ترك هيونداي. وهكذا كانت كلتا الإجازتين بمنزلة استراحة لي، لكنهما لم تكونا إجازة حقيقية لأسرتي.

ومع ذلك، يرى جميع أبنائي أنني أب جيد مراعٍ لهم. لذا فإن معلميهم، الذين لم يروني مطلقاً، يستغربون الأمر؛ ذلك أنني لم أحضر مطلقاً اجتماعات أولياء الأمور، أو أحضر مناسبات دراسية، أو أقم بتوصيلهم إلى المدرسة. لم أشترِ لهم أي هدايا مطلقاً عندما كنت أذهب في رحلات عمل (أعطيتهم حقائب مستلزمات التجميل التي تقدمها شركات الطيران لركاب درجة رجال الأعمال. وكانوا يعتقدون أنها هدايا إلى أن عرفوا أنها مجانية).

السر في وصفهم لي بأني أب لطيف ومراعٍ لمشاعرهم، هو معرفة مواعيد أطفالي في جميع الأوقات. فقبل الذهاب في رحلة طويلة إلى الخارج، كنت أطلب من زوجتي جداول تفصيلية لجميع أبنائي. تشمل القائمة جميع التفاصيل الهامة؛ على سبيل المثال: مواعيد الامتحانات، والرحلات المدرسية، وأسماء أصدقائهم ووظائف آبائهم،...إلخ. وكنت أتصل بهم من الخارج، وأسأل عن أدائهم في الامتحانات، وكنت أسألهم عن امتحانات محددة لأنني كنت أعرف أي الامتحانات قد أجروها. كانوا يذهلون من أن أباهم يعرف كل شيء. كنت أسألهم عن أصدقائهم أيضاً. لكنني كنت أسألهم فقط عن أصدقائهم الذين أعرف أنهم جيدون، وما إذا كان آباء أصدقائهم بخير.

لم أوجه أبنائي مطلقاً لنوعية الأصدقاء الذين يجب أن يصادقوهم، كنت فقط أسألهم باستمرار عن الأصدقاء الجيدين، وأبدي اهتماماً بهم. ومع مرور الوقت، عرف

أبنائي أنني مهتم فقط بأصدقائهم الجيدين، وانتهى بهم الأمر إلى مصادقة أمثال هؤلاء فقط. ولم أطلب من أبنائي قط أن يصاحبوا أطفالاً من أسر ثرية أو نافذة. مثلي مثل جميع الآباء، كنت أرغب أن يصادقوا أطفالاً صادقين، وجادين، ومن أسر محترمة.

فيما يتعلق بتربية الأطفال، لم أطلب قط من يون-أوك أن تفعل هذا أو ذاك. كنت أعلم مدى المسؤولية والجهد الذي تبذله زوجتي في تربية أربعة أطفال بمفردها. كنت أعلم أنه لا يحق لي أن أُملي عليها طريقة تربية أطفالنا. كانت مهمتي الوحيدة هي دعم زوجتي، وأن أكون أباً مهتماً ومراعياً لأطفاله قدر الاستطاعة. أنا ممتن لتفهم أطفالي جميعاً عدم قدرتي على الوجود إلى جانبهم كل الوقت. والأهم هو أنني ممتن ليون-أوك - زوجتي ومليكتي لتحمُّلها هذا كله.

تزوجت من يون-أوك في 19 ديسمبر 1970، وكان تاريخ ميلادي هو 19 ديسمبر. لذا، فقد عرضت عليها أن نتزوج في هذا اليوم، حتى لا أنسى مطلقاً ذكرى عيد زواجنا. لقد كانت فكرة ذكية. وبالفعل لم أنس قط أن أرسل إليها زهوراً وبطاقة معايدة بخط يدي في أعياد زواجنا.

الفصل الثامن

حقبة جديدة

الآن أصبحت جاهزاً حقاً للانهماك بحماسة في وظيفتي الجديدة. ولا يسعني فعل شيء حيال الشائعات سوى إثبات خطئها.

رئيس تنفيذي

إذا كان الرأي العام قد فوجئ بتعييني رئيساً تنفيذياً لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء، فإن مجتمع الأعمال الكوري قد قابل هذه الأخبار بالقلق. ورغم أن كثيراً منهم يعرفون قدراتي، فإنهم كانوا يرون أن الشركة أكبر من أن أستطيع إدارتها. رأى بعضهم أن شونج جو-يونج قد جانبه الصواب هذه المرة، وأن تعييني في هذا المنصب لن يكون فقط بداية لتباطؤ الشركة، بل لانهيارها الأكيد.

عقب تعييني رئيساً تنفيذياً للشركة، تلقيت دعوة لإلقاء كلمة أمام ندوة تستضيفها الجمعية الوطنية لإدارة الموارد البشرية. وتم كذلك دعوة المسؤولين عن إدارة الموارد البشرية في الشركات الخاصة؛ فتعيين رئيس تنفيذي لم يتجاوز الخامسة والثلاثين أثار فضول كثير من المشاركين في الندوة وانتباههم ، وكانوا حريصين على سماع ما سأقوله في كلمتي. من جانبي، رأيت أنها فرصة لشرح أسباب صعودي "المفاجئ"، وعرض فلسفتي ورؤيتي للمستقبل.

بدأت بقولي: "أنا على دراية تامة بأنكم اندهشتم من تعييني كرئيس للشركة. فأنا في الخامسة الثلاثين كما تعرفون. أعلم أنه مازال أمامي الكثير مما ينبغي تعلمه. لكنني كرّست

حياتي لإنجاح هذه الشركة، وأنا فخور بأنني استطعت أن أشارك في تنمية وطني. بالنسبة لتعييني في منصب رئيس شركة هيونداي للهندسة والإنشاء، أؤكد لكم أن قرار السيد شونج جو-يونج لم يتخذ بشكل ارتجالي أو سريع".

نظرت إلى الحضور، وأضفت: "لقد كان قراراً عكس طبيعة الأوقات المتغيرة التي نعيشها اليوم. فاقتصادنا كان يعتمد على المعونة الأجنبية والمساعدات الخارجية، كان يقتصر على التنمية فقط. أما الآن، فنحن نعيش في حقبة جديدة، حقبة تستدعي الابتكار وريادة الأعمال. العالم يتحرك باتجاه العولمة، وتحسين نوعية الحياة، ويجب أن نكون مستعدين لذلك. وأول شيء ينبغي أن نفعله هو تعيين متخصصين. وإذا أردنا تغيير طريقة أداء الأعمال، فيجب علينا أولاً أن نضع الأشخاص المناسبين في الأماكن المناسبة. لم يعد المؤسس أو الرئيس التنفيذي هو الشخص الوحيد الذي يتخذ القرارات الضرورية في الوقت المناسب وينفذها. نحن بحاجة إلى مؤسسات متخصصة تتمتع بدرجة عالية من التنظيم تستطيع أن تتكيف بكفاءة مع الاتجاهات الحالية وتتنبأ بالمستقبل".

اختتمت ملاحظاتي قائلاً: "أعتقد أن تلك هي الأسباب التي جعلت السيد شونج يعينني رئيساً لهيونداي للهندسة والإنشاء. وكما قلت، أنا على دراية تامة بالمخاوف المتعلقة بتعييني، والشائعات التي تدور حولي والتي تقول إنه سوف يتم إقصائي من منصبي قريباً أو أن الشركة ستتراجع. حسناً، أعتزم أن أثبت خطأ كل هذا. أعتزم إثبات أن الشائعات التي لا أساس لها هي مجرد شائعات لا أساس لها". صفق الحضور وشعرت بارتياح لإزاحة هذا الأمر عن صدري. والآن أصبحت جاهزاً حقاً للانهماك بحماس في وظيفتي الجديدة. ولا يسعني فعل شيء حيال الشائعات سوى إثبات خطئها.

المنافسة

بالتزامن مع تعييني كأصغر رئيس لهيونداي للهندسة والإنشاء، تفوقت مجموعة هيونداي على شركة سامسونج، التي تعد المجموعة التجارية الأولى في كوريا.[12] لقد كان

هذا إنجازاً ضخماً، لأن سامسونج قد تربعت على عرش الصناعة الكورية لسنوات كثيرة. وحتى ذلك الوقت، لم يكن متصوراً أن تتراجع سامسونج للمرتبة الثانية. لكن مشروعاتنا في الشرق الأوسط هي التي غيرت المشهد التجاري ومكانتنا فيه. كانت هيونداي قد رسخت مكانتها في الشرق الأوسط، بينما لم تستطع سامسونج الدخول إليه. نتيجة لذلك، تفوقت هيونداي على سامسونج. لقد كان أمراً مهيناً لسامسونج ونصراً كبيراً لهيونداي.

ومع ذلك، فأن تصبح هيونداي تحتل المرتبة الأولى وسامسونج تتراجع إلى المرتبة الثانية لم يكن مجرد تبديل للمواقع. فقد كانت الدولة تترنح في أعقاب أول حظر نفطي تقوم به الدول العربية، وللتغلب على هذا الوضع الصعب، خرجت هيونداي وجلبت العائدات التي ساعدت الدولة على النجاة من العاصفة. في إحدى المراحل خلال ذروة الأزمة، تراجعت احتياطيات النقد الأجنبي في كوريا إلى أقل من 30 مليون دولار أمريكي. وكانت سامسونج غائبة بشكل واضح خلال المحنة. وهكذا، أخذت المنافسة بين هيونداي وسامسونج مغزىً جديداً، وأصبحت أكثر حدة. أصبحت هيونداي بالنسبة لسامسونج، عدواً مخيفاً. بل إن المنافسة في بعض الأوقات أخذت منحىً شخصياً. وفي محاولة من سامسونج لإضعاف النجاحات المتتالية لهيونداي، أعلنت الحرب على هيونداي باستخدام صحيفتها اليومية جونج-أنج إلبو (*Joong-ang Ilbo*).[13] شنت سامسونج حملة انتقادات، وردت هيونداي. وأصبح الأمر عراكاً علنياً محرجاً بين أكبر مجموعتين تجاريتين في كوريا. كان الأمر يتعلق بسوء استخدام السلطة، وبالمسؤولية المؤسسية، وأخلاقيات العمل، وبالطبع الأنانية الشخصية.

في عام 1980، نشرت الصحيفة على صدر صفحتها الأولى خبراً تحت عنوان: "هيونداي تنفذ إنشاءات رديئة الجودة: نفق مطار جيمبو الدولي يعج بالأخطاء". وبعد فترة قصيرة جداً نشرت خبراً آخر يقول: "القصة الكاملة وراء العمل الرديء لهيونداي في خزانات النفط في مجمع أونسان الصناعي". كلا الخبرين كان عبارة عن هجوم سافر

ومتحيز ضد هيونداي، ويصورانها على أنها شركة من الدرجة الثانية، وسيئة، وتفتقر إلى الخبرة والنزاهة. قدمنا شكوى رسمية إلى الصحيفة، ولم نتلق رداً. لقد حُرمنا أي فرصة لشرح موقفنا، وتفنيد ادعاءاتهم.

ومن ثم، قمنا بالرد على سامسونج من خلال شن حملة صحفية مكثفة. أثارت حملتنا شكوكاً بشأن نزاهة الناشر هونج جين-كي: ماذا فعل عندما كان وزيراً في الحكومة خلال فترة الرئيس ري سينجمان، وعلاقاته بسامسونج ومؤسسها لي بيونج-شول، وكذلك تصرفاته المثيرة للشكوك والمشبوهة كرجل أعمال. نشرت الحملة الصحفية في جميع الصحف الرئيسة تقريباً باستثناء صحيفة جونج-أنج إلبو. في المقابل، انتقمت سامسونج بكامل قوتها. فقد وزعت مذكرة على جميع موظفيها بعنوان: "لماذا تتصارع سامسونج مع هيونداي"؟ وشنت حملة علاقات عامة ضدنا.

قمنا بالرد عليهم، لكن في هذه المرة شاركت أنا وشونج جو-يونج، وسونج يون-جاي رئيس مكتب الإدارة الاستراتيجية فقط. ومُنع أي شخص آخر من الانخراط في هذا الأمر، الذي تحول إلى صراع مشين. وفي الوقت الذي قمنا فيه بشن حملات صحفية حرصنا على توضيح موقفنا: لن نتوقف إلا إذا قدم لي بيونج-شول اعتذاراً رسمياً وعلنياً. لكننا كنا نعرف أنه لن يستسلم بسهولة، لقد أصبحت الآن حرباً بين عملاقين.

ولّد صراعنا هذا جدلاً شعبياً، لدرجة أن المجلس الوطني لأمن الدولة تدخل (أنشئ هذا المجلس بهدف ضمان الاستقرار الاجتماعي من خلال مراقبة الأنشطة المناهضة للدولة). استدعاني كوون جون-دال، رئيس المجلس الوطني، واقترح أن نجد حلاً ودياً وننهي هذه المشاهد الهزلية العلنية. وأكد لي أن سامسونج لن تقوم بمهاجمة هيونداي مجدداً. قلت له: "لماذا تقول لي إن سامسونج لن تفتري على هيونداي مجدداً؟ نحن نريد من لي بيونج-شول أن يعتذر. لا نريد من الحكومة أن تعتذر لنا". رد كوون: "طالما أن أحداً ما تحمل المسؤولية واعتذر، فقد انتهى الأمر. لماذا تطالب لي بيونج- شول بالاعتذار"؟

رددت عليه: "لأنه لو أن جميع العاملين في سامسونج وافقوا على عدم الافتراء على هيونداي، فبإمكان لي بيونج-شول أن يتجاوزهم. أنت تعرف هذا، ونحن نعرف هذا". لا يستطيع أحد في سامسونج أن يتحمل المسؤولية سوى لي بيونج-شول نفسه. ولهذا نطلب اعتذاراً منه".

أصبح كوون عصبياً وعلا صوته: "توقفوا! لقد تصارعتم بما فيه الكفاية. الاستمرار في الصراع ليس في مصلحة أي منكم".

جاء دوري لرفع صوتي: "لا، استمع لي. فكر فيما يعني هذا بالنسبة للدولة. إذا تركنا الأمر يمر هكذا، ما هي الرسالة التي تبعث بها للناس؟ وما هو دور الصحافة؟ لا يمكنك ترك الصحافة تتصرف هكذا! لا يمكن أن تدع شركة مثل سامسونج تستخدم صحفها لمهاجمة منافسيها وتسوية خلافاتها وتحقيق الأرباح. انظر، المقالات التي نشرت عن هيونداي غير صحيحة ومبالغ فيها، ولا تستحق أن تنشر في صدر الصفحات الأولى. فكر أيضاً في مستقبل الصحافة الكورية. ما رأيك فيما يقوله الصحفيون بشأن هذا؟".

استمررت في التنفيس عن غضبي. وفيما كنت أسعى لإقناعه برأيي، ضغط زميلي الذي كان يرافقني-سونج يون-جاي رئيس مكتب الإدارة الاستراتيجية - على قدمي أسفل المكتب، في إشارة إلى أنه ينبغي أن أتوقف. في تلك الفترة، كان المجلس الوطني أحد أكثر الأجهزة التي يخشاها الناس، وعندما يتم استدعاء شخص ما، فيجب عليه أن يحرص على الإجابة عن أسئلتهم بود، ويحاول أن يكون مطيعاً خانعاً قدر الإمكان. لذا عندما نفّست عن غضبي، راح زميلي يكرر الضغط على قدمي لكي أتوقف، لقد كان هذا مؤلماً. توجهت إلى سونج، وقلت له: "توقف عن الضغط على قدمي! ماذا دهاك؟ سأقول ما يجب أن يُقال". وواصلت: "إذا لم يوافق لي بيونج-شول على الالتقاء بشونج جو-يونج والاعتذار، فسوف نستمر في شن الحملات كما هو مخطط لها".

قال كوون: "انظر، لي بيونج-شول ليس موجوداً في كوريا، فكيف تتوقع أن يلتقي بشونج ويعتذر؟".

اندهشت: "ماذا تعني؟ نحن نعلم أنه في كوريا". فقال: "إنه في اليابان. لقد استقل رحلة الظهر".

نظرت إلى ساعتي، لم يكن الوقت وقت الظهيرة بعد: "ليس بعد! كيف يكون في اليابان ولم يحن الوقت بعد؟".

قال كوون: "إنه في اليابان. انظر، ليس هذا هو المهم. لا نريد أن يستمر هذا الأمر. لذا ضع نهاية لهذا الأمر. أنا أعني ما أقول. أثق في أنك ستتخذ القرار السليم وتتصرف بمسؤولية".

قلت له: "هذا الأمر يعود إليهم".

عند هذا الحد غادرنا المجلس وعدنا إلى مكتبنا. بمجرد عودتنا، كان لي كون-هي (ابن لي بيونج-شول، والرئيس الحالي لسامسونج) على الهاتف يريد التحدث معي. قال لي كون-هي: "السيد كيم ديوك-بو من شركة إذاعة دونجيانج سيأتي لزيارتك. سأكون ممتناً إذا تحدثت معه، وقمت بتسوية هذا الموضوع".

قلت له: "أنا لا أعرف من يكون كيم ديوك-بو، وهذا لا يهمني".

رد قائلاً: "إنه يمثل مصالح سامسونج، وله صلاحيات لاتخاذ القرارات اللازمة".

أصبح من الواضح أنه لا جدوى في الإصرار على الحصول على اعتذار من لي بيونج-شول. واكتشفنا أنه في اليابان بالفعل. ولا نستطيع إرغامه على العودة. وعليه، قبلنا عرضهم للالتقاء معنا على مضض.

في الساعة الخامسة من صبيحة اليوم التالي، ذهبنا إلى فندق شوسون في وسط العاصمة، سيول. كنا نريد أن يظل الاجتماع سراً. كان كيم ديوك-بو، وهونج جين-كي، ناشر صحيفة جونج-أنج إلبو، يمثلان سامسونج. ومن جانبنا، كنت أنا وشونج جو-يونج فقط.

بمجرد أن جلس شونج، بدأ في الغليان. كان غضبه موجهاً بشكل رئيسي إلى هونج جين. أوضح طبيعة مشروعات الإنشاءات، وشرح أن مشروعات بمثل هذا الحجم لابد من أن يكون فيها عيوب، وأن مثل هذه الأخطاء أمر شائع، ودائماً ما تكون قابلة للإصلاح. كان شونج يعتقد أنه من العيب جداً أن يقوم صحفيون لا يعرفون شيئاً عن الإنشاءات بكتابة مقالات تتهم هيونداي بالإهمال، كان هذا بالنسبة له أمراً مُهيناً.

عندما واصل شونج الحديث، قاطعه هونج جين قائلاً: "سيد شونج أنا لست خبيراً بالتفاصيل الفنية لقطاع الإنشاءات، لذا أرى أن شرحك قد لا يكون ضرورياً في هذا المقام. إضافة إلى أننا لم نأتِ هنا للحديث عن الإنشاءات، أليس كذلك"؟

صار الأمر محرجاً، ومكث الجميع دون أن يتفوه أحد بكلمة. بعد فترة، قررت الحديث. لم يقل شونج أي شيء، وهذه تعد إشارة منه إليّ بأن استمر. "أولاً، كثير من الناس ينتقدون امتلاك شركات كبرى للصحف وإدارتها. لكنني أختلف مع ذلك. في الواقع، أعتقد أنه أمر جيد. إذا كانت شركة مثل سامسونج تمتلك صحيفة، فإن هناك فرصاً كبيرة لأن تطوّر فهماً أفضل لإدارة الأعمال. المشكلة هي أن الصحيفة التي تمتلكونها تسيء لمجتمع الأعمال، وتؤذيه من خلال نشر مقالات كاذبة ومضللة. إنها تسيء لسمعتنا لأسباب غير صحيحة ونعاني من جراء ذلك. والأمر الأكثر إزعاجاً، هو أن صحيفتكم قد تحولت إلى بوق دعاية لسامسونج. وهذا عارٌ على أي مؤسسة صحفية شهيرة! لقد تحدث

السيد شونج للتو عن طبيعة قطاع الإنشاءات والصعوبات التي تواجهه، ويجب أن أضيف هنا، أننا نستطيع تقديم دلائل مقنعة تفنّد ادعاءاتكم، إذا ما أُعطينا فرصة عادلة. إذا وافقتم، أنتم كناشر للصحيفة، على نشر الأخبار وأنتم تعلمون أن المقالات تحتوي على حقائق مشكوك في صحتها، فإنكم بذلك تخونون المهنة كلها وتضحّون بالنزاهة الصحفية. ولهذا السبب وحده، أعتقد أنه ينبغي عليك أن تعتذر يا سيد هونج".

بمجرد أن انتهيت من كلامي هذا، اعتدل هونج في جلسته وانحنى لي بأقصى درجات الاحترام. فوجئت بذلك. ثم قال لي: "سيد لي، لقد سمعت عنك الكثير. وأنا سعيد بأننا التقينا اليوم. ما قلته كان صحيحاً تماماً. كناشر، يجب أن أشكرك على تنويرك لي. شكراً".

كنت أخشى أن يأخذ شونج ما قاله هونج جين-كي على محمل الخطأ؛ فربما يشعر بالإهانة. لذا فقد قلت له: إن السبب في حديثي عن النزاهة الصحفية، هو أن السيد شونج قد أوضح النواحي الفنية.

أقر هونج بأنه كان بالإمكان معالجة الأمور بطريقة مختلفة، وانحنى مرة ثانية، مما أربكني. عقب ذلك، قال كيم ديوك-بو: "الدولة تواجه تحديات كثيرة. ومن الأهمية بمكان أن تنهض كلتا الشركتين وتعملان معاً حتى نستطيع مساعدة وطننا. فالحكومة والشعب غير سعيدين وهما يروننا نتصارع بهذه الطريقة. دعونا نكف عن هذا ونمضي قدماً".

ظل شونج صامتاً. لم يكن هناك ما يتحدث عنه. قمت أنا وشونج بمصافحتهما وغادرنا.

وهكذا انتهت العداوة بين هيونداي وسامسونج. تصالحت مجموعتان تجاريتان رائدتان في كوريا وعادتا إلى عملهما. ورغم أن شونج جو-يونج ولي بيونج-شول، وهما

قطبان مهمان في عالم الأعمال الكورية، لم يصبحا صديقين بالضبط، لكنهما لم يكونا أعداءً أيضاً. كانا يلتقيان في بعض المناسبات للحديث عن العمل والأمور الأخرى. ومع ذلك لم يختفِ شعور المنافسة بينهما. كل عام، كانت الشركتان تنتظران الإعلانات السنوية التي تتعلق بأداء الشركات وعائداتها ثم تقارنها بنفسها. بعد فترة، بدأت هيونداي صناعة أشباه الموصلات والإلكترونيات، فيما استثمرت سامسونج في الإنشاءات وبناء السفن. (بدأت سامسونج أيضاً قطاع السيارات، وصنعت خط إنتاجها "إس إم"، الذي باعته لاحقاً إلى شركة نيسان-رينو). استمرت المنافسة بين المجموعتين، وقادت في بعض الأحيان إلى نزاعات علنية بشعة. لكن المنافسة بوجه عام حفزّت على الابتكار، وقادت إلى النمو الإيجابي.

ابن المؤسس والرئيس التنفيذي الموظف

في مطلع عام 1980 تم تعيين شونج مونج-بيل، الذي كان رئيساً لفرع الشركة في لندن، والابن الأكبر لشونج جو-يونج، مديراً تنفيذياً للقطاع الخارجي في شركة هيونداي للهندسة والإنشاء، وهذا المنصب يخضع لإشرافي. لقد كنا مزيجاً غريباً؛ واحد هو الابن الأكبر لمؤسس الشركة والوريث المفترض للعرش، والآخر موظف[14] رُقي فأصبح الرئيس التنفيذي. ونظراً لأنه كانت توجد فروع كثيرة لهيونداي، فكان من السهل منع حدوث مثل هذا الاتحاد غير المريح. كان بالإمكان إعطاء شونج مونج-بيل مسؤولية شركة فرعية أصغر. أحسست بأن ثمة شيئاً آخر في ذهن شونج جو-يونج لكنني لم أسأل عنه.

ومهما كانت نوايا شونج جو-يونج، فأنا متأكد من أن مونج-بيل واجه وقتاً عصيباً. في ذلك الوقت، كان إخوته الأصغر منه يتولون مسؤولية شركات أخرى. وكان هو "مجرد" مدير تنفيذي. واكتشفت لاحقاً أن مديري الإدارة الوسطى كانوا يواجهون

أوقاتاً عصيبة، كونهم محصورين بيني وبين مونج-بيل. لم أندهش ولكنني تضايقت من أنهم ينتظرون فترة طويلة حتى يستطيعوا أن يوصلوا شكواهم.

عندما قال لي أحد المديرين بحذر عن هذا الموقف، قال لي إنما يفعل ذلك انطلاقاً من ولائه للشركة. شعرت على الفور أنه غير مرتاح جداً حتى وهو يتحدث عن الموضوع. تخيلت مدى صعوبة قيامه بنقل هذا الأمر إليّ. شرح المدير أنه منذ تعيين مونج-بيل مديراً تنفيذياً، وهم يعانون أشد العناء لأنه يحول دون وصول المذكرات التي تحتاج إلى موافقتي، وأنه يشكك في القرارات التي كنت قد وافقت عليها بالفعل. عندما كان يُبَلَّغ مونج-بيل بقراراتي، كان يتجاهلها أو يأمر المديرين بتنفيذ قراراته هو. كان هذا السلوك يسبب كثيراً من الارتباك بين المديرين، ويثبط معنوياتهم، ويبطئ سير العمل. كما كان تحدياً مباشراً لسلطتي، التي لم أكن لأتنازل عنها. شكرت المدير، وقلت له، إنني لن أنقل ما جرى بيننا لأي شخص، بما في ذلك مونج-بيل.

في اليوم التالي، طلبت من مونج-بيل أن يأتي إلى مكتبي. ورغم أنه حضر إلا أنه جاء على مهله فقد كان واضحاً أنه غير سعيد بأن أقول له ما يجب أن يفعله. بمجرد أن جلس، دخلت في الموضوع مباشرة. قلت له: "سيد شونج، كل ما أقوله لك ليست أموراً شخصية، بل تتعلق بشؤون العمل بين الرئيس ومديره التنفيذي، وآمل أن تتفهم هذا بوضوح". جلسنا في مواجهة بعضنا، ومضيت قائلاً: "اكتشفت مؤخراً، وهذا أثار استيائي، أنك كنت تشكك في قراراتي، ومن ثم تتسبب في إرباك كبير بين الموظفين. أستطيع أن أتخيل بسهولة أن الموظفين، لاسيما المديرين سيحاولون إرضاء كلينا، أنا وأنت في الوقت ذاته، وهذا في رأيي غير ضروري وخطأ. ولا يمكن الاستمرار في هذا. هذه ليست طريقة لإدارة شركة كبيرة كشركتنا. أعلم أنك متهيئ للترقي لمناصب أكبر وأكثر أهمية. يوماً ما ستصبح رئيس مجلس إدارة مجموعة هيونداي، وقبل ذلك ستتولى على

الأرجح منصب رئيس إدارة إحدى الشركات الفرعية. لكنك الآن تعمل تحت إشرافي. من واجبك أن تكون صادقاً، أن تقدم لي نصائح جيدة، وفي النهاية تتبع أي قرارات أتخذها كرئيس. إذا لم تكن مستعداً لذلك، فأقترح عليك أن ترفع الأمر إلى شونج جو-يونج وتطلب منه أن ينقلك إلى شركة أخرى".

استمع مونج-بيل بإنصات. واصلت حديثي: "أنا أصغر منك لكن لديّ خبرة أكثر منك بكثير. انظر إلى عدد السنوات والجهد الذي بذلته في الشركة. أنا أحد الأعضاء المؤسسين الذين ينتمون إلى جيل أبيك، وليس جيلك. وعندما تتولى رئاسة مجلس الإدارة يوماً ما، سأكون من بين الذين يتقاعدون مع أبيك وجيله. لذا، آمل أن تمنحني الاحترام الذي أستحقه وتتفهم من أين أتيت. ولك الحرية المطلقة في الخطوات التي ستقرر السير فيها من الآن فصاعداً".

قال مونج-بيل: "شكراً، أتفهم ذلك".

بعد فترة من الوقت، استدعيت المدير الذي أخبرني بالموقف الصعب الذين يعاني منه هو وباقي المديرين الآخرين، وسألته كيف تسير الأمور. قال، إن الجميع مذهولون من حجم التغير الذي طرأ على مونج-بيل. وسألني ما الذي حدث بيننا. قلت له: "لم يحدث شيء".

بعد الفترة التي قضاها مونج-بيل في هيونداي للهندسة والإنشاء، تمت ترقيته ليرأس مجلس إدارة شركة إنشيون للحديد. وسرعان ما أصبح مونج-بيل رجل أعمال متألقاً. الشيء المحزن أنه توفي نتيجة حادث سيارة وهو في طريق عودته إلى سيول بعد تفقد أحد مصانع الشركة في مدينة أولسان. اكتشفنا أنه كان يريد العودة بالليل، حتى يتمكن من متابعة الأنشطة التجارية الأخرى في الصباح الباكر. لقد كانت خسارة فادحة لهيونداي، وخاصة

لشونج جو-يونج. وصل هذا الخبر المأساوي إلى شونج أثناء وجوده في رحلة عمل في الولايات المتحدة الأمريكية. لم يستطع حضور جنازة ابنه الأكبر، لقد انكسر القائد الذي لا يجزع. وفي ظل غيابه، كُلِّفت بتمثيل شونج جو-يونج، وتوليت مسؤولية ترتيبات الجنازة.

الظلال

لا تستطيع الشركة تحقيق الفوز طوال الوقت. وكما يقولون في كوريا: "الأشجار الكبيرة تلقي بظلال كبيرة". في 6 يوليو 1978 تم انتخاب الرئيس بارك شونج-هي لفترة رئاسية ثالثة بموجب دستور يوشين (Yushin).[15] ولكن بدلاً من أن يتصدر هذا الحادث المذلّ الأخبار، فقد كان عنوان آخر على الصفحة الأولى في كل الصحف الرئيسة: "القبض على شقق هيونداي وهي تمنح الملاك المرتقبين امتيازات خاصة". كانت هذه "فضيحة شقق هيونداي" التي هزت المجتمع الكوري. وقد أصبحت رمزاً للعلاقة التي كانت بين مجموعات الشركات وبين كل من الحكومة والمصالح الخاصة، والتي أضحى الناس العاديون يبغضونها.

عادة لا يُعدُّ مثل هذا الوضع فضائحياً بما يكفي لإعطائه منزلة الأخبار التي تنشر في الصفحة الأولى (وقد تم تشويه الحقائق بدرجة كبيرة). ولكن المزاج العام فيما يتعلق بإعادة انتخاب الرئيس بارك كان عدائياً بشكل مفرط. كان الناس يتأججون غضباً، وكان الكثيرون قد ملوا أسلوبه الدكتاتوري المتزايد في الحكم وصاروا يرغبون في التغيير. وهكذا عندما اندلعت فضيحة هيونداي وجدت الحكومة الانحراف المثالي. وقد طُلب من الصحافة إذكاء اللهب، وسريعاً ما حوّل الناس غضبهم وإحباطهم إلى رجال الأعمال "الجشعين الفاسدين".

تأكدت الحكومة من استمرار الغضب الجماهيري، وبدأت فوراً التحقيقات في الحادثة، ووجهت الاتهامات إلى عشرات الناس. وواجه المسؤولون ذوو المكانة الرفيعة

والتنفيذيون المصرفيون إما الاتهامات أو السجن. وتعرض العديد من الصحفيين البارزين إلى التوبيخ علانية، واضطُر الكثيرون إلى ترك وظائفهم. وقد ذُكر مشاهير الفنانين في التحقيق، وتلطخت سمعتهم بعد أن غاصوا في وحل الفضيحة. أما بالنسبة إلى هيونداي فقد سُجن شونج مونج-كو،[16] ابن شونج جو-يونج، وكان وقتها رئيس الشركة الكورية للتنمية الحضرية إلى جانب واحد من شركائه. وسرعان ما أمرت الحكومة بإغلاق الشركة الكورية للتنمية الحضرية.

كانت جذور الحادثة ترجع إلى عام 1976 عندما كنتُ أدير مصنع المعدات والماكينات التابع لهيونداي. واليوم، يمتد مجمع شقق هيونداي على الجانب الجنوبي من نهر هان، الذي يعبر سيول من الغرب إلى الشرق. ويُعدّ المجمع اليوم واحداً من المناطق العقارية الممتازة في سيول، وفيه الكثير من الشقق الفاخرة، والملكيات المشتركة، والفيلات. ولكن عندما بدأت هيونداي في تطوير هذه المنطقة لأول مرة لم تكن إلا أرضاً جرداء تذروها الرياح، وتوجد فيها بعض قطع الأرض التي تنمو فيها الخضراوات. اشترت هيونداي هذه الأرض، وبداية من سبعينيات القرن العشرين شرعت في بناء شقق هناك. وكانت الشقق حتى ذلك الوقت تُعدّ مشاريع للإسكان الشعبي، ووسيلة تخفف بها الحكومة النقص في عدد المساكن. كان الكوريون دائماً من سكان المنازل التقليدية، ومن ثم لم تكن الشقق تجذبهم. علاوة على ذلك، كانت هذه الشقق بسيطة وفجة، ولم تكن فيها تقريباً وسائل الراحة الحديثة، وكانت تُعدّ أشياء مجردة وتخلو من المسحة الشخصية. وكانت تشبه علب ثقاب عملاقة مكومة فوق بعضها بعضاً. وكان الناس يرونها قبيحة، وكانت فعلاً كذلك.

غير أنه بناءً على فكرتي، حاولت هيونداي أن تغير ذلك الفهم ببناء شقق حديثة ومريحة وجذابة جمالياً. وتقرر أن يشرف فرع هيونداي-الشركة الكورية للتنمية الحضرية-

على العملية، وكانت شركة هيونداي للهندسة والإنشاء مسؤولة عن أعمال البناء. واعتقدت أن تلك النزعة ستكون في المستقبل. وسعينا إلى جذب ملاك المنازل المرتقبين للاستثمار في هذه الشقق بتشييد منازل مرغوبة. وكنا نثق بأننا سننجح، وأن الناس سوف يقدرون هذه الثقافة الجديدة.

كنا مخطئين؛ فعندما بدأنا الإعلان عن شققنا وسط المشترين المحتملين كان معدل تقديم الطلبات كئيباً. لم يُبدِ أي شخص اهتماماً. واليوم يُشكل شراء منزل عملية مرهقة مع التحقق من الخلفية المالية، ومتطلبات تستدعي الضمانات، وما إلى ذلك. غير أنه في ذلك الوقت كانت العملية سهلة تماماً. برغم ذلك لم يتحقق الازدهار قط. كذلك كانت الشقق هي المباني الوحيدة التي تقف على ما كان يبدو أرضاً جرداء؛ إذ كان الموقع يعدّ فظيعاً وقبيح المنظر. كان الناس يقولون: "ما هذا؟ كيف تتوقعون أن نعيش هناك"؟

ومع تقلص الطلبات حتى توقفت تقريباً، كان ينبغي على الشركة أن تفعل شيئاً لجذب المشترين. وهكذا غيّرنا مشروع الدفع للسماح بتأجيل عمليات الدفع. ولما لم يسفر ذلك عن تأثير كبير، عرضنا حوافز استثنائية لكي نجعل الوحدات سهلة المنال بقدر أكبر ومقبولة، ولكن مع ذلك لم يظهر المشترون المرتقبون.

بعدها غيّرنا خططنا، وبدأنا في مغازلة أكثر الأفراد ثراءً، وتشجيعهم على الاستثمار. وبدأ هؤلاء الناس الذين يملكون أموالاً يمكنهم الاستغناء عنها في إبداء اهتمامهم. وقد اتصل بنا الكثيرون بحثاً عن شروط مواتية. في البداية رفضت مع شونج مثل هذه الاتصالات، ولكن بعدها أدركنا أنه لن يكون شيئاً سيئاً أن تستثمر شخصيات شهيرة وبارزة في الشقق. وإذا سكنت مثل هذه الشخصيات في شققنا، فسوف يزيد ذلك قيمة الممتلكات، ويسلط الضوء على أنموذجنا الجديد للحياة الحديثة. وتقدمنا باستراتيجيتنا الجديدة خطوة إلى الأمام بالوصول إلى المسؤولين في الخدمة العامة والصحفيين الذين كنا

نعرفهم عبر أعمالنا التجارية، وتشجيعهم على الاستثمار. وقد سئل أيضاً الفنانون المقربون من شونج عما إذا كانوا مهتمين بهذا المشروع أم لا. وكان كل ذلك قانونياً بشكل مثالي، ولم تكن هناك أية مشكلات. فقط عندما بدأ ازدهار الشقق بعد سنة أو اثنتين بدأت المتاعب.

ومع بروز بناء الشقق في مختلف أنحاء سيول، بدأ المستثمرون والمشترون يدركون أن الشقق استثمارات جذابة. وبدأ الكلام ينتشر عن أن الشقق لم تكن استثمارات جيدة فقط، بل إن العيش فيها كان أكثر راحة من المنازل التقليدية. انفجر الطلب، وأُضيفت الأقساط إلى الثمن الأصلي.

بعد ذلك حدث شيء لم يكن متوقعاً: بدأ الناس يتشككون في نزاهة مبيعات شقق هيونداي، التي تمت قبل سنة. وبدأ الناس يقولون إنها كانت "ممارسة غير منصفة"، واتهمونا بعدم الأخلاقية. وفجأة أضحت جهودنا الترويجية "امتيازات خاصة". وكانت الحكومة أكثر من مستعدة لإذكاء النار، وكانت هذه هي الطريقة التي تحوّل بها الأمر إلى فضيحة.

بعد أن انفجرت الفضيحة، استدعى وزير التشييد شين هيونج-شيك، شونج إلى مكتبه، وأمر شونج أن يحضرني معه. كانت علاقتي مع شين هيونج-شيك مضطربة، ويرجع ذلك إلى 1976 عندما تفوقت شركة هيونداي للهندسة والإنشاء على شركة أولسان للإنشاءات، وهي شركة تشييد صغيرة تعوزها الخبرة، لتفوز بعقد بناء مساكن في الجبيل بالمملكة العربية السعودية.

عندما بدأت الشركات الكورية الدخول في سوق الشرق الأوسط لأول مرة، كان كيم جاي-كيو (وهو الشخص نفسه الذي أطلق النار على الرئيس بارك شونج-هي وأرداه قتيلاً) وزيراً للتشييد. وكان يخشى أن يأتي السماح لعدد كبير من الشركات

الكورية بالمشاركة في سوق الشرق الأوسط بنتائج عكسية، ومن ثم أصدر أوامر بتقييد عدد شركات الإنشاءات التي تتقدم إلى مناقصات لمشاريع الإنشاءات فيما وراء البحار. لذا مُنحت عشر شركات مختارة حق المشاركة في المناقصة بمشاريع الإنشاءات فيما وراء البحار. عندما أصبح كيم جاي-كيو رئيساً للاستخبارات، عُين شين هيونج-شيك وزيراً جديداً للتشييد. كان شين سياسياً له نفوذ كبير، وكان يستمتع بالتباهي بهذا النفوذ. وكان أول شيء فعله، هو زيادة عدد الشركات المسموح لها بالتقديم في المناقصات إلى 30 شركة.

والآن لا يهم إذا زيد العدد إلى 300 شركة، طالما كانت كلها تملك المهارات الضرورية والقدرة على تولي مشاريع فيما وراء البحار. كان المزيد من الشركات الكورية يعني المزيد من الإيرادات، وكان هذا أمراً جيداً للجميع. ومن سوء الطالع، كان الكثير من شركات الإنشاءات في المجموعة الموسعة أبعد ما يكون عن القدرة على بناء المصانع والمحطات وسط الصحراء العربية، وكانت أولسان واحدة منهن.

وخلال الاجتماع الذي عُقد في وزارة التشييد، حيث اجتمع ممثلو الشركات العاملة ما وراء البحار، أثرتُ هذا الموضوع. وكان شين هيونج-شيك يدير الاجتماع. وعندما أخذت دوري في الحديث قلت "أولاً أرجو ألا تعتقدوا أنني أحاول أن أحول دون زملائي والقيام بالأعمال فيما وراء البحار. ما أريد ذكره، هو أن بعض الشركات التي حصلت على رخصة بالذهاب إلى الخارج لا تملك ما يتطلبه هذا الأمر. ومع كل احترامي، فإن بعض هذه الشركات غير قادرة على الفوز بعقود هنا في كوريا"! وكنت صادقاً. "والآن إذا كان علينا إرسال مثل هذه الشركات إلى الخارج، والسماح لها بالمشاركة في عملية المناقصة، فإنني أخشى أن نقوِّض جهودنا الخاصة، ونلحق العار ببلادنا ونظهر بمظهر البلهاء".

تجهم الوزير شين في وجهي وقال بغضب: "السيد لي: إن الشرق الأوسط يمر بفترة ازدهار هائلة. والحكومة تؤمن بأنه من مصلحة البلاد الاستفادة تماماً من هذه الفرصة الذهبية، وذلك بالسماح لأكبر عدد ممكن من الشركات بالذهاب إلى الخارج والفوز بالعقود". ثم أضاف مهدداً، "توخَّ الحرص فيما تقول يا سيد لي، أعتقد أنك أصبحت متغطرساً بعض الشيء بسبب أنك محظوظ قليلاً".لم يزعجني ما قاله، ولكنني شعرت بالحاجة إلى أن أوضح موقفي. وأكدت مرة أخرى أن قصدي لم يكن تقييد الشركات فيما يتعلق باكتساب تلك الحقوق.

وقفت لكي أنصرف، وطلبت من المدير العام في وزارة التشييد تسجيل كل شيء قلته في الاجتماع. "اكتب كل شيء قلته اليوم؛ لأن ذلك سوف يسبب لك صداعاً هائلاً عندما تبدأ الدول برفع شكاوى ضدك وضد هذه المسماة شركات تشييد. تذكر ذلك".

وقد ثبت أن قلقي كان صحيحاً. عندما كانت شركة هيونداي تستعد لتسليم مناقصتها لمشروع الإسكان في الجبيل بالمملكة العربية السعودية، قررت أولسان أن تنافس ضدنا. كان المشروع بنظام تسليم المفتاح، وقد مُنح لهيونداي، وجاءت أولسان في المرتبة الثانية. ولكن وزارة التشييد قررت أن أسعار هيونداي كانت منخفضة جداً، وخشيت أن يتسبب ذلك في اتهامات بالإغراق dumping. وبهذا المنطق حاولت الوزارة أن تفرض قيوداً. لم يكن أمامي خيار، ما خلا إثبات أن كل شيء قد تم حسب الأصول، وأن أسعارنا كانت كافية. وإذا خسرت هيونداي العقد بسبب الاتهامات بالإغراق، فستكون أولسان، التي حلت في المرتبة الثانية، هي الفائزة.

وكان بإمكاني القول بأن الوزير "شين" له نزعة محابية لهذه الشركة، أولسان. ولم تكن لدي فكرة عن السبب في ذلك على كل حال. وعندما كنت أفكر فيما سأفعله بعد ذلك

صُدمت عندما سنحت لي فرصة لمراجعة وثائق مناقصة أولسان. لقد عرضت أولسان إنجازات هيونداي، وكأنها هي من حققها. واحتوت القائمة على محطة كوري للطاقة النووية، ومشروع سد نهر سويانج، وكان الاثنان مشروعين ضخمين نفذتهما هيونداي، ونالت عنهما الكثير من الإشادة. وكان من السخف أن تتجرأ أولسان على تزوير المستندات الخاصة بهما. ذهبت فوراً إلى الوزير شين واعترضت، ولكن إجابته كانت أكثر ترويعاً حتى. "سيد لي، لقد قُضي الأمر سلفاً، فدعنا لا نثير الكثير من الهرج. إذا ثابرت على إثارة هذه القضية فسوف ينعكس ذلك سلبياً علينا جميعاً. انسَ هذا الأمر".

بينما كانت وزارة التشييد الكورية تعتم على الحقائق، كانت الحكومة السعودية قد استأجرت مستشارين أجانب من البنك الدولي للتعمير والتنمية للنظر في المسألة. وعندما كان الخبراء من البنك الدولي يفحصون المستندات لاحظوا أن الكثير من مشاريع هيونداي وأولسان تتداخل، بل إن بعضها كان متطابقاً. كان البنك الدولي يعرف هيونداي بما أننا نفذنا الكثير من المشاريع معاً في جنوب شرقي آسيا. وفي عاقبة الأمر، تم استبعاد أولسان لتزوير المستندات القانونية، وأُخرجت من المناقصة كلية. بعدها اتهم الوزير شين هيونداي بأنها أطلعت السعوديين على أمر شركة أولسان. واعتقد أنني كنت من قام بذلك. التقى شين بشونج وهدده. "تخلص من لي ميونج-باك أو أرسله إلى فرع آخر. فمادمت الوزير المسؤول عن التشييد لا تفكر مجرد التفكير في الإبقاء عليه كرئيس. أؤكد لك أنه إذا ظل لي ميونج-باك رئيساً فسوف تدفع هيونداي الثمن". عندما أطلعني شونج على هذه الحادثة الصغيرة كان يضحك. من الواضح أن غضب الوزير شين لم يؤثر في شونج.

وهكذا عندما التقيت مع شونج بالوزير شين إثر فضيحة شقق هيونداي كان جالساً على مكتبه ويبدو عليه الهياج الشديد. حالما جلسنا جلجل بقائمة مما أخطأنا في عمله، وبالكيفية التي ارتكبنا بها هذه الأخطاء. وأدركت أنني كنت مخطئاً في السابق فيما يتعلق

بمزاج شين؛ فلم يكن هائجاً، بل كان مستمتعاً. ثم وجه لنا إنذاراً أخيراً: "فكِّكوا الشركة الكورية للتنمية الحضرية طوعاً. افعلوا ذلك اليوم. أتوقع منكم إعلان قراركم بعقد مؤتمر صحفي عند الخامسة بعد ظهر اليوم". ثم طلب من أحد موظفيه إحضار بيان جاهز كان قد تلطف بكتابته وسلمه لشونج.

وبيباننا في إحدى يديه، سأل شونج، "سيدي الوزير: هل هذه أوامر صادرة منك أم من الرئيس"؟ أشار شونج بسبابته اليمنى إلى السقف، وقال: "هذه رغبة الرئيس. تأكد من تنفيذها". وعندما قمنا لكي ننصرف، قال لي الوزير شين، "يا سيد لي ما رأيك في كل ذلك"؟

كنت أعرف أن شين أراد أن أكون هناك لكي يستطيع إطلاعي على الأخبار في وجهي. أجبته قائلاً، "لقد اتخذت القرار سلفاً، وقَبل به رئيسي بالفعل. لماذا ترغب في معرفة رأيي؟ رأيي لا يعني شيئاً تماماً. وإلى جانب ذلك، أنا غير مسؤول عن الشركة الكورية للتنمية الحضرية".

تكلف شين ابتسامة، وهو يقول "هذا على وجه الدقة السبب في أنني وجهت إليك السؤال، بما أنه مهما كان رأيك فلن يغير أي شيء". كان يستمتع بذلك تماماً.

قلت: "حسناً بما أنك سألت دعني أخبرك بما أشعر به حيال كل ذلك. أنا ضد تفكيك الشركة. الشركة كيان قانوني. وإذا أخطأت شركة، عندها ينبغي محاسبة الشخص المسؤول لا الشركة برمتها. إذا كان يجب علينا التخلص من شركة بسبب أي خطأ، فإنني أخشى حينها ألا يكون لدينا الكثير من الشركات العاملة". كان شونج يقف بالقرب مني وقد شبك يديه وراء ظهره. واصلت قائلاً: "ألقِ نظرة على تلك الشركات الأجنبية التي يرجع تاريخها إلى مئة عام، إلى مائتي عام. لقد ظلت في العمل كل هذا الوقت لأنها تتقيد

بالقوانين. لقد سُمح لها بارتكاب أخطاء، وبتحمل المسؤولية والتحسن. كنت أعتقد أننا نعيش في اقتصاد السوق الحرة. ولكن الحكومة ما فتئت تفعل هذه الأشياء. لا أعتقد أنه سيكون في وسع أي شركة أن تبقى عشر سنوات".

وحتى قبل أن أكمل حديثي قال شين: "أيها الشاب أنت لا تعرف ما تتحدث عنه. الناس من شاكلتك سوف يضحون بالسمكة الكبيرة من أجل أشياء صغيرة". زفرت وقلت: "سيدي الوزير لم يكن في نيتي أن أقول أي شيء. ولكن فقط لأنك سألتني عن رأيي. ومثلما قلت، لقد اتخذت قرارك سلفاً وقَبل رئيسي بذلك. ماذا سوف أخسر؟ ليس لدي سمكة كبيرة أو أشياء صغيرة لكي أخسرها".

وقف الوزير شين فجأة، وقال: "أتوقع أن تعقدوا ذلك المؤتمر الصحفي في الوزارة عند الخامسة مساءَ اليوم". ثم طلب منا الانصراف.

عند دخولنا في السيارة قلت لشونج، إن هناك شيئاً خطأ، فالأمر لا يبدو وكأنه قد جاء مباشرة من الرئيس. واقترحت عليه أن نذهب لمقابلة سكرتير الرئيس للمراجعة والتفتيش، كيم يونج-جوون (الذي أصبح لاحقاً رئيس مجلس المراجعة والتفتيش). استطعنا مقابلته في البيت الأزرق؛ مكتب الرئيس. بداية اعتقد كيم يونج-جوون أن المسألة قد أقفلت. ولكن عند مواصلتنا الحديث أومأ برأسه، وقال إن الأمر يستحق النظر فيه. وأكد لنا أنه سوف ينظر في الأمر بتفحص. ووعد بأن يعلمنا إذا كانت هناك أي تطورات جديدة.

عدنا إلى مكتبنا، وبدأنا على مضض الإعداد للمؤتمر الصحفي. بعد ساعة هاتفنا كيم يونج-جوون لكي يخبرنا بأن الرئيس قد أُبلغ بالمسألة، وأن توجيهات الرئيس تقتضي عدم تفكيك الشركة. وأخبرني كيم يونج-جوون أن حجتي قد نجحت. وقال لي إنه من الممكن أيضاً إطلاع وزارة التشييد على قرار الرئيس.

كان الوزير شين هو من هاتفني. كان يرغب في رؤيتي فوراً، وهكذا ذهبت إلى مكتبه. عندما دخلت كان شين يبدو محطماً، فقد زال صلفه. كان مذهولاً وسألني عما حدث. قلت له كل شيء. كان الوزير شين مستسلماً وقال: "كان يجب ألا تفعل ذلك". ولكن الأمر كان قد قُضي. وعندما اتضح أن شونج مونج-كو، الذي كان قد سُجن بسبب الفضيحة غير مذنب، أُطلق سراحه.

في النهاية لم نوجِّه اللوم إلى أي أحد، ما عدا الازدهار غير المتوقع الذي أثار هذه الدراما. ولكن كان من الصعب ابتلاع تهمة التزوير التي وجهتها إلينا الحكومة لأي سبب من الأسباب. وبقيت الفضيحة جرحاً دائماً بالنسبة إلى الشركة.

الفصل التاسع

قواعد اللعبة

لا أحد، لا أحد على الإطلاق يعرف أنك معنا هنا. وتذكّر: حتى تخبرنا بما نرغب في معرفته، فإنك لن تغادر هذه الغرفة.

الاجتماع الأخير مع الرئيس بارك شونج-هي

كانت "علاقتي" مع رئيس الجمهورية بارك شونج-هي، إذا توخيت الصدق، مبالغاً فيها. وأحد الأسباب في ذلك كان صعودي السريع في هيونداي. كانت ترقياتي في هيونداي دائماً ما تتسبب في الإثارة التي كانت تقود الكثير من الناس إلى التكهن. وعندما كانوا لا يجدون تفسيراً مقنعاً لنجاحي، كان الناس يبدؤون بالقول: إن الرئيس كان يساندني. وكان هذا فيما يبدو يرضي كل شخص، وكان يبدو بالنسبة إلى الكثير من الناس الإجابة المعقولة الوحيدة، ومن ثم فقد استمرت الشائعات. إلى جانب ذلك، مَن كان سوف يتحقق من مثل هذه الشائعة؟

وهناك سبب آخر لكثرة الشائعات التي كانت تربطني بالرئيس يتعلق بمظهرينا. فخلال أوائل العشرين من عمري كان أصدقائي ينادونني باسم "بارك الصغير" بما أنني قد أشبهه كثيراً. وكلما ناداني أصدقائي بهذا الاسم كنت أقول: "يا شباب أنا أطول منه، فتوقفوا عن مناداتي باسم بارك الصغير". ومع تقدمي في السن أصبحت مشهوراً بسبب الساعات الطويلة التي كنت أقضيها في العمل كما كان يفعل الرئيس بارك. كان الناس يرون أننا متشابهان، ومن ثم فقد استمرت الشائعات التي كانت تقول إن بارك يساندني.

ولكن بارك شونج-هي كان الشخص المسؤول عن المدة التي قضيتها في السجن، وكان هو (أو سياساته) من جعل حصولي على وظيفة بعد تخرجي أمراً صعباً. ومن ثم بدا من قبيل المفارقة أن يفترض الناس أنه يدعمني.

كانت آخر مرة شاهدت فيها الرئيس بارك شونج-هي، على وجه الدقة، قبل ستة أيام من اغتياله.[17] في ذلك اليوم طُلب مني الحضور إلى مكتب الرئيس. كان ذلك غير متوقع كلية، ولم أعرف السبب في أن يُطلب مني ذلك. كل ما أُعلمت به أن الاجتماع مقرر في الرابعة بعد الظهر. وطُلب مني الحضور إلى المركز الثقافي في سيجونج (والذي يقع على بعد عشر دقائق من مكتب الرئيس) عند العاشرة صباحاً. وقد تبيّن لي أنني لم أكن الوحيد الذي تم استدعاؤه. كان نحو 20 شخصاً قد تجمعوا في مركز سيجونج. وقد لاحظت ناشري الصحف، وقادة مدنيين من بين أناس آخرين. وكنت الشخص الوحيد من قطاع الأعمال. ومن ثم فقد تخيلت أننا كنا هناك لتمثيل قطاعات مختلفة من المجتمع.

كانت فكرة الاجتماع قد جاءت من تشا تشي-تشول، رئيس جهاز الأمن السيئ السمعة للرئيس بارك.[18]

كان الغرض من الاجتماع طمأنة الرئيس ومواساته من قبل مختلف المجالات، وذكر أشياء جيدة للرئيس بشأن الحالة الراهنة. بعبارة موجزة، كانت محاولة صبيانية من جانب تشا تشي-تشول للفوز بنقاط عند الرئيس. وعندما اجتمعنا جميعاً وزع موظفون من مكتب الرئيس مظاريف مختومة على بعض منا. فتحت مظروفي وكان يحتوي على "نقاط للحديث"، كان المطلوب مني أن أتلوها كلمة كلمة أمام الرئيس. وكانت نقاط حديثي تشمل أنني كنت في السابق ناشطاً طلابياً، وأن على الرئيس ألا يقلق حيال ما يجري وسط الطلاب. (في ذلك الوقت كان الطلاب منهمكين في احتجاجات شديدة ضد الرئيس

بارك) وكانت نقاط الحديث الخاصة بي تنتهي بقول: إن هؤلاء الطلاب غير "الناضجين" كانوا أصغر كثيراً من أن يدركوا ما يفعلونه، وأنهم سوف يفهمون قريباً.

أما الناشرون والقادة المدنيون الذين تلقوا مظاريف، فقد كانوا مشغولين بحفظ نقاط الحديث الخاصة بهم. كانوا يمرون بوقت عصيب بما أن الأوراق كانت طويلة جداً. وبدأ يساورني قلق كبير. فأولاً، كنت قلقاً لأنني لم أكن أؤمن بأي شيء مكتوب على ورقتي. وثانياً، إذا قلت ما كان يدور حقيقة في ذهني، فإنني سوف أخاطر بوضع شركتي في موضع الخطر. كنت عالقاً.

تناولنا جميعاً الغداء، ومن ثم فقد تسللت خارجاً ووجدت هاتفاً عمومياً. اتصلت بأحد أصدقائي وطلبت نصيحته. فقال إنه سيكون من الأفضل ألا أقول أي شيء تماماً. وأضاف أنني لو قلت أي شيء يسيء إليهم أو حتى يقلقهم بقدر ضئيل، فإن شركتي – وكذلك شخصي- سوف تدخل في متاعب. وما قاله أفزعني: "ميونج-باك، هؤلاء الرجال مجانين". بعد الغداء استمر الآخرون في حفظ أوراقهم. وكان ترتيب المتحدثين قد تقرر أيضاً. سوف يتحدث الناشر أولاً، يتبعه القائد المدني، ثم يأتي بعد ذلك دوري. وحالما استقر كل ذلك، تم دفعنا إلى حافلة، وأُخذنا إلى مكتب الرئيس.

لاحظت أن الرئيس كان يبدو كمن فقد كثيراً من الوزن. كان يبدو هزيلاً مرهقاً. وكان وجهه يفضح أفكاره الداخلية؛ فقد كان يبدو حزيناً ومشتتاً. أُخذنا إلى غرفة الاجتماعات. وكان تشا تشي-تشول يقف خلف الرئيس، ويحدق فينا. كان يشير بعينيه، ويطلب من المتحدثين أن يتكلموا وفقاً للترتيب المعدّ مسبقاً. تحدث الناشر أولاً كما هو متفق عليه. كنت أتصبب عرقاً، وكان فمي جافاً. حتى ذلك الوقت لم أكن أعرف ما سوف أفعله. وكنت قد قررت ألا أتلو ما كانوا قد أعطوني له. ولكن مرة أخرى لم أكن أعرف أي شيء آخر أقوله ولا يسيء إلى الرئيس (ولا إلى رئيس جهاز أمنه تشا)، ويكون في الوقت نفسه له قيمة بالنسبة إليه.

وعندما كان الناشر يتحدث أظهر تشا تشي-تشول المزيد والمزيد من التهديد. كان شعره الأسود يلمع تحت الثريا. كانت عيناه مندفعتين ولا تستقران قط. تحدث الناشر بدون توقف، وجاء الآن دور القائد المدني. كان رجلاً عجوزاً. وحالما بدأ صار شاحباً وبدأ في التأتأة. وتحدث كتلميذ في الصف الأول يقرأ من كتاب مدرسي. وكان مجهداً وهو يحاول أن يتذكر ما كان قد حفظه. بدأ على نحو جيد، ولكنه علق بعد أن نطق بجملة واحدة. مرت دقيقة ثم ثلاث دقائق. كان الرجل قد تجمد كلية من الخوف وبدأ يرتجف. لم يكن في وضع يسمح له بالارتجال. وكان الأمر يبدو وكأن حواسه قد توقفت عن العمل. تحول لون تشا تشي-تشول إلى الشحوب.

بعد هنيهة كسر الرئيس بارك الصمت، قائلاً له: "هل نسيت ما كان من المفترض أن تقوله"؟ وتنفّس بقيتنا، التي كانت ما تزال مجمدة، الصعداء ونجحت في إصدار ضحكة مكتومة. بعدها قال الرئيس بارك، "لماذا لا نتوقف الآن"؟ كان يعرف طوال الوقت أنه كان قد طُلب منا أن نقرأ أياً كان ما أعطونا إياه. وعند ذلك نهض الرئيس من مقعده وخرج من الغرفة بهدوء. وأنا أراقب مغادرته، شعرت بالارتياح والحزن معاً.

بعد أيام قليلة تم اغتيال الرئيس بارك. جالت بذهني الكثير من الأفكار يومها، ولكن الشيء الوحيد الذي برز كان أهمية أن يحيط بك أناس صالحون. فكرت بحزن في أنه لو كان للرئيس بارك أناس جيدون ولائقون من حوله لما كانت حياته سوف تنتهي قط بمثل هذه الطريقة.

أوقات مضطربة

منذ أن أصبحت رئيساً لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء في عام 1977 في سن الخامسة والثلاثين، تعرضت حياتي للرياح السياسية المتقلبة، والتي غالباً ما تكون خطيرة.

بعد سنتين من تعييني رئيساً لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء تم اغتيال الرئيس بارك شونج-هي، وفي السنة التالية تسلم السلطة في البلاد جنرال آخر من الجيش هو: شون دو-هوان، وبعد أشهر أصبح الرئيس التالي. وفي وقت لاحق، استمرت الجمهوريتان الخامسة والسادسة[19] في المناخ السياسي الخانق الذي تخلل البلاد بأسرها. وفي عاقبة الأمر، ازدهرت كوريا أخيراً في شكل ديمقراطية حقيقية مع انتخاب أول رئيس مدني لها عن طريق انتخابات ديمقراطية، ولكن المسار كان مشحوناً بالأخطار عند كل منعطف.

لقد قُدمت تضحيات جسيمة على طول الطريق، وبالنسبة إلي، كرئيس لواحدة من أكبر مجموعات الشركات الكورية، كانت الحياة دائماً محفوفة بالمخاطر. ففي إثر اغتيال الرئيس بارك، بدأ "ربيع سيول"، ولكنه كان أبعد ما يكون من الربيع الممتع الذي كنا نتوق إليه.

وخلال هذا الوقت زارني اثنان من الغرباء في مكتبي بوسط سيول. دخلا كالبرق بلا سابق إنذار، وقالا: "تعال معنا"، لم يقدما أي تفسيرات. وعندما سألتهما، أجابا ببساطة: "سوف تعرف حالاً. نود فقط الحديث معك في الخارج".

تبعتهما إلى ردهة الطابق الأول، وحالما وصلنا إلى هناك أمسك كل واحد منهما بواحدة من ذراعي. قلت لهما يمكنني أن أنادي سائقي، فردّا: "لا نحتاج إلى سيارتك، فلدينا سيارتنا الخاصة". كانت السيارة نوعاً رتيباً من سيارات الصالون. أمراني بالجلوس على المقعد الخلفي، وجلسا إلى جانبيّ. سألتهما عن وجهتنا ولم أحصل على أي إجابة. سألت مرة أخرى، فأجاب واحد منهما: "نحن ذاهبون إلى مركز الشرطة في جونجنو".

وبمجرد دخولنا في مركز الشرطة في جونجنو، شرعا في معاملتي بطريقة خشنة. ومن دون أن ينبسا بكلمة، رمياني في زنزانة انفرادية. كانت تتم معاملتي كمجرم، فقد مُنعت من الاتصال بمكتبي أو عائلتي.

تركاني في الزنزانة لمدة ساعتين أو ثلاث، وأعطياني صحناً من الحساء الكوري. جاء ضابط شرطة متعاطف يبدو أنه من مركز جونجنو، وأخبرني بصوت خافت أن الرجلين سوف يأخذاني إلى مكان آخر لاستجوابي. ونصحني بالتخلص من كل المستندات التي في مكتبي. وبينما وقف مراقباً اتصلت سريعاً بمساعدي وقلت له: "لا أعرف مع أي وكالة يعملون، ولكنني هنا لبعض الاستجواب". وبينما كنت منتظراً تخيلت أن الحادثة لن تدوم طويلاً. كنت أعرف أنني لم ارتكب أي خطأ. ربما لا يستطيعون حبسي إلى أجل غير مسمى، أو هكذا اعتقدت.

بعد قليل تم دفعي مرة أخرى في المقعد الخلفي لسيارة صالون سوداء أخرى، وأُخذت إلى موقع مختلف. وفي طريقنا إلى أعلى نامسان (وهو جبل يقع في وسط سيول)، توقفت السيارة وطُلب مني الخروج منها. وتم نقلي إلى سيارة صالون أخرى. ووقّع الأشخاص الذين أحضروني بعض الأوراق، وسلموني لمجموعة مختلفة من الرجال. ولم تكن تبدو على الرجال الاحترافية.

أُخذت إلى القبو في مكتب فرع نامسان التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الكورية (تم هدم أجزاء منه لاحقاً، وتستخدم شركات خاصة المباني المتبقية الآن). كان المكان يعطيك الشعور بأنك في سجن. وهنا كان يتم استجواب الكثير من الرجال والنساء لتظاهرهم ضد الدولة، ولنقدهم الرئيس، وللتواطؤ مع الأعداء؛ ومعظمهم تكون التهم قد لفقت ضدهم. وكان كثير ممن يأتون إلى هنا يتعرضون للضرب، والسجن، والتعذيب الشديد، وبعضهم كان يموت أو يصاب بعاهات جسدية ونفسية دائمة. لم يكن أي أحد ينجو؛ الناشطون الديمقراطيون، والسياسيون المعارضون، والفنانون، والكتّاب، والطلاب، وحتى القساوسة كان يتم القبض عليهم واستجوابهم.

دخل العملاء وبدؤوا يوجهون لي أسئلة عن المساهمات السياسية التي قدمها شونج جو-يونج لكل من كيم (كيم داي-جونج، وكيم يونج-سام، وكيم جونج-بيل) الذين

كانوا قادة المعارضة وقتها. وطلبوا مني أن أعترف بأنني أعلم أن شونج جو-يونج كان يقدم مساهمات لكل واحد من هؤلاء. وأصبح واضحاً أن هدفهم كان إلقاء القبض على ثلاثتهم، وإيداعهم السجن، بما أنهم كانوا يُعدون الزعماء الذين يقفون وراء سلسلة المظاهرات التي تجري وقتها. كان هذا هو جوهر ربيع سيول.

اعتدلت في جلستي وقلت: "أنا لم أقابل قط أيَّ كيم من الثلاثة في حياتي. لماذا تسألونني عنهم"؟

نظر واحد منهم إلي بوجه خاو تماماً من التعبير. كان يرتدي قميصاً دون ربطة عنق. كانت الغرفة التي لا نوافذ لها صغيرة، وكانت هناك طاولة خشبية في وسط الغرفة وفوقها ضوء مصباح وحيد يرمي بظله. كان المصباح مائلاً نحوي، وكانت الحرارة فوق الاحتمال. "حسناً، لقد درسنا أنشطتك ولم نستطع أن نجد أي شيء يوحي بأنك قد قدمت لهم أي أموال سياسية. ولكننا نعرف أن رئيسك شونج جو-يونج كان يمدهم بالأموال. لدينا استخبارات موثوقة، ولكن لدينا مشكلة طفيفة. إننا نعرف أن الرجل العجوز يقوم بشيء لا نوافق عليه، ولكن حتى نحن لا نستطيع أن نطلب من رجل عجوز أن يأتي إلينا من أجل الاستجواب. إلا أننا نعتقد أنك تعرف كم كان شونج جو-يونج يعطيهم، ومتى. هذا ما نود معرفته. ودعني أذكرك يا صديقي. لا أحد، لا أحد على الإطلاق يعرف أنك معنا هنا. وتذكر: حتى تخبرنا بما نرغب في معرفته، فإنك لن تغادر هذه الغرفة".

شعرت بقشعريرة، ولكنني لم أستطع الاعتراف بشيء لم أكن أعرف أي شيء عنه. "لم أسمع قط أن شونج جو-يونج يعطي أموالاً سياسية لأي كيم من الثلاثة. إنني أعرف الرجل؛ إنه لن يفعل شيئاً مثل ذلك أبداً. أعتقد أنكم ارتكبتم خطأ".

بعدها تحدثت مع محقق مختلف قال لي"آمل أن تكون مدركاً للمكان الذي أنت فيه الآن. لقد قال لك زميلي سلفاً بأنك إذا لم تخبرنا بكل ما تعرفه، فإنك لن تغادر هذه

الغرفة". كان هذا المحقق يتحدث ببطء. ولم تتغير إجابتي. لاحظت أنهم ترددوا لبرهة. قال واحد منهم: "حسناً، دعنا نبرم صفقة إذن". "دعنا نفترض أنك لم تشاهد شونج جو-يونج يعطي أي كيم من الثلاثة أي أموال. دعنا نفترض أنك لا تعرف أي شيء ولم تسمع قط بأي شيء. ولكن احتمالية أن يكون شونج يعطيهم أموالاً ما تزال موجودة. كل ما نريد منك أن تفعله هو الاعتراف بذلك. نحن كلنا نعرف أن شونج ربما يكون قد أعطاهم أموالاً. لقد فعل ذلك من قبل، ومن ثم فحتى الصبيان يعرفون أنه ربما ما يزال يفعل ذلك الآن. وإذا كان الثلاثة لا يحصلون على أي أموال من أشخاص مثل شونج، فكيف تعتقد أنهم قادرون على التبختر بهذه الطريقة؟ إذن اعترف فقط أن الاحتمالية موجودة. هذا كل ما نطلبه منك". بعدها نظر الرجل إلي، وقال: "إذا كنت لا تستطيع حتى فعل ذلك إذن سوف نأخذك إلى غرفة أخرى". كان واضحاً أن ما كان يعنيه ضمناً هو التعذيب.

كانت هذه حيلة ذكية؛ محاولة إرغامي على الاعتراف باحتمالية أن يكون شونج يقدم أموالاً سياسية للثلاثة كيم. لم يكونوا مهتمين بالحقائق، فكل ما كان يرغبون به هو ذريعة لممارسة الضغط على الرئيس الذي كان على رأس واحدة من أكبر مجموعات الأعمال في كوريا، ولاعتقال وحبس السياسيين المعارضين القياديين الثلاثة. كانوا يريدون إجهاض ربيع سيول. وكانت فكرة أن الدولة يمكن أن تكون بمثل هذه الجرأة – والتهور– مفزعة. قلت: "لا أعرف أي شيء عن السياسة، ولا أعرف ما كان يدور بين شونج وبين والرئيس بارك، ولكنني أعرف أن شونج لم يعطِ قط أموالاً سياسية لأي كيم من الثلاثة، وكذلك لم تفعل ذلك أي شركة فرعية من شركات مجموعة هيونداي".

أصبح الرجال نافدي الصبر الآن. كنت أفكر سريعاً وبشدة. كان من السهل أن أقول: "أنا رئيس شركة هيونداي للهندسة والإنشاء، ربما كان شونج ورئيس آخر لإحدى الشركات الفرعية قد أعطى هؤلاء الرجال بعض المال، فمن يعرف؟ ولكنني لا أعرف

أي شيء عن ذلك". غير أنني إذا كنت قد فعلت ذلك، فقد كان من الواضح أن أولئك الرجال كانوا سوف يسحبون أشخاصاً ما إلى الداخل ويستجوبونهم، ومن يدري ما كان سوف يحدث وقتها. بعض منهم ربما كان سوف يختلق قصصاً أو يشوه الحقيقة التي كانت سوف تقود إلى المزيد من الأكاذيب. ومن ثم فقد شعرت بأن عليّ أن أنهي الأمر فوراً.

ولكن حينها كان الوقت قد حان لكي يفعلوا الشيء الذي يفعلونه على أفضل وجه؛ وهو كسر إرادة المرء عبر القوة والخوف. "يا ابن الكلبة! كل ما عليك فعله أن تخبرنا بما تعرفه، وأما بالنسبة إلى ما لا تعرفه ينبغي عليك فقط أن تقول إنه دائماً ممكن. هل من الصعب فهم ذلك؟ هل تعتقد أننا جماعة من البلهاء"؟ تناوبوا عليّ. لم يعذبونني، ولكن كان هناك من الخوف ما يفزع أي شخص.

تضرعت إليهم: "انظروا، أنا في وضع يمكّنني من معرفة إذا كانت مثل هذه الأشياء قد حدثت حقيقة أم لا. ولكنني أقول لكم إنه لا شونج جو-يونج ولا أيٌّ من الفروع أعطى أموالاً لأي منهم".

استمر التحقيق ساعات، وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل. دلف المحققون إلى خارج الغرفة لكي يدخنوا ثم عادوا، وهذه المرة حاولوا تملقي. وبالفعل ابتسم أحدهم في وجهي، وكان ذلك مخيفاً. "اسمعني أيها الرئيس لي. شونج جو-يونج رجل مسن، وحتى إذا وجدنا شيئاً ضده، فليس هناك الكثير الذي نستطيع عمله له. ولكنك مختلف. إذا حدث لك شيء هنا، فلن يعرف ذلك أحد". وواصل الرجل قائلاً: "وكل شخص عنده شيء يخفيه، أليس كذلك؟ إذا اختلسنا النظر في حياتك لنرى كيف تدير أعمالك، فأنا متأكد من أننا سنجد بعض الأمور المثيرة للاهتمام. فمادمت معنا هنا، أقترح أن تتعاون معنا؛ لأنك إن لم تفعل ذلك فسوف تصبح الأمور وقتها أكثر تعقيداً".

دخل عميل آخر، وقال: "إننا لا نفتعل شيئاً لكي نبعد شونج أو نـؤذي هيونـداي. كل ما نحاول عمله هو أن نكتشف المكان الذي يحصل منه هؤلاء السياسيون الملاعين على مصروفهم. نحن لا نطلب منك التجسس على رئيسك أو أصـدقائك، ونحـن متأكـدون تماماً من أننا لا نطلب منك خيانة أي شخص كذلك. فقط، اعترف بأن هناك احـتمالاً بـأن يكون شونج أو هيونداي قد منحا أموالاً لهؤلاء السياسيين. هذا كـل مـا نطلبـه. لا تجعـل الأمر أكثر مشقة على نفسك". كان يلوح بورقة تبدو وكأنها إفادة جاهزة لكي أوقع عليها.

كنت متعباً، ولكنني قلت لهم: "رجـاءً، سـوف أقـول ذلـك مـرة أخـرى: لم تمـنح هيونداي قط أي أموال سياسية لأي كيم من الثلاثة، ولا توجد أي احتمالية بأن تكون قـد فعلت ذلك".

كان الجميع قد بدؤوا يشعرون بالتعب. دلـف المحققـون مـرة أخـرى إلى الخـارج، واختفوا لمدة طويلة. وعندما عادوا، أخبروني بإصلاح ربطة العنق. سُمح لي بالـذهاب إلى الحمام. كنت غير مهندم تماماً حينها.

خرجنا جميعاً بعد ذلك. دفعوني في المقعد الخلفي لسيارة. وكان بإمكـاني أن أعـرف أن الصبح قد أطل.

وصلنا إلى فندق باسيفيك في وسط سيول، وهو عـلى بعـد أميـال قليلـة، ودخلنـا إلى صالة كبيرة ملحقة بها غرفة اجتماعات مجاورة. لاحظت رجلاً كان يجلس هنـاك، وكـان فـيما يبدو أعلى مرتبة من المحققين. قال هذا الرجل: "آمل ألا تكون قد تعرضت إلى الكثـير جـداً من المتاعب في الليلة الماضية. وآمل ألا يكون الـشباب قـد تعـاملوا معـك بكثـير جـداً مـن الخشونة، وألا يكونوا قد سببوا لك الكثير جـداً مـن الكـدر". كـان صـوته رتيبـاً وجافـاً. لم يكشف وجهه عن شيء، وكان رنين صوته أجوفَ. كنت أعلم أن هذا سوف يكون حاجزي

الأخير. جمعت ما تبقى من إرادتي بحيث لا أفقد تركيزي. استمعت بانتباه. "جاء رجال أعمال آخرون إلى هذه الغرفة، وكانوا فائقي التعاون. آمل أن تفعل الشيء نفسه. سيد لي، إذا لم تتعاون، فأنا متأكد من أنك تستطيع أن تتخيل أن الأمور سوف تغدو صعبة بالنسبة إليك. لقد بات سراً معلناً أن هيونداي كانت تقدم أموالاً سياسية للكثير من السياسيين المعارضين، بمن في ذلك الثلاثة كيم. ومثلما قلت، لقد اعترف رجال أعمال آخرون سلفاً، ومن ثم فإننا نملك المعلومات الضرورية والدليل لإثبات ذلك. إن ما نحتاج إليه هو تأكيد نهائي من الجناة أنفسهم، وهذا هو ما نقوم به الآن. إذن أرجوك أن تخبرنا".

كان صوتي أجشّ من التعب. "لقد أخبرك رجالك أن ذلك غير صحيح. لم يكن في وسع هيونداي أن تعطي أموالاً لأولئك السياسيين. كان في وسع شونج جو-يونج أن يوفر المال لسياسيي الحزب الحاكم، ولكنه ما كان ليعطي أموالاً لقادة المعارضة".

"كيف تكون متأكداً إلى هذه الدرجة"؟

"أنا مسؤول رفيع الدرجة في الشركة بما يكفي لمعرفة مثل هذه الأشياء".

انزعج ذلك الرجل، فرفع صوته قائلاً: "إذا كنت لا تعرف شيئاً، فقل فقط إنك لا تعرف. لا تتظاهر بالخجل وتحاول التعليق بطريقة ذكية عن السبب في أننا نجري هذا التحقيق، أتفهم ذلك"؟

قلت بهدوء: "ليست لدي أية فكرة عن السبب في إجرائكم هذا التحقيق؛ إنني فقط أقول لكم ما أعرفه كحقيقة".

تمتم الرجل لنفسه، قائلاً: "هذا الشاب لا أمل فيه..."، وبدا وكأنه قد حسم أمره. "حسناً. إذا كنت سوف تتصرف كذلك، فقط تأكد من أنك تضع حروف اسمك الأولى

على هذه الأوراق". كانت الأوراق سجلاً لكل شيء قلته. غمست إبهامي الأيمن في الحبر الأحمر وختمت على الأوراق. وعندما كنت أمسح الحبر بمنديل ورق، قال الرجل، "شكراً لأنك تجشمت كل هذه الصعاب". عاد إلى طبيعته الهادئة والجافة. كان الأمر لا يبدو وكأنه كان يعني ما يقوله، ولكنني لم أكن مهتماً بذلك. خرجنا من الفندق، وسريعاً تم إنزالي في الشارع بالقرب من مكتبي.

كما توقعت، كان المكتب في حالة ذعر تام. كنت مفقوداً لأكثر من يوم، ولم يكن لدى أي شخص أدنى فكرة عن مكاني. سألني المساعدون بقلق عن المكان الذي كنت فيه، وما إذا كان مكروه قد ألمَّ بي. لم أخبر أي شخص بما حدث. ولم يكن ذلك لأن العملاء قد جعلوني أقطع وعداً بالتزام الصمت، ولكن لأنني كنت أعلم بما سوف يحدث إذا علم الناس بذلك. سوف يسبب ذلك فقط الكثير من القلق، وكنت أعرف أنه ليس في استطاعة أي شخص أن يفعل أي شيء حيال ذلك.

وحتى بالنسبة إلى شونج، تأكدت من توخي الإيجاز، وقلت له إن بعض الناس قد سألوني عن تبرعاته السياسية. وأخبرت شونج بما قلته للعملاء. استمع شونج وأومأ برأسه ببساطة. لم يوجه لي أي أسئلة.

خلال الأيام المبكرة من الجمهورية الخامسة، لم تكن العلاقة بين هيونداي والحكومة ودية. في الحقيقة، كانت علاقة شك متبادل. كانت كراهية الحكومة لهيونداي واضحة. وكانت تكتيكاتها محسوبة ووحشية. استطاعت هيونداي أن تطور علاقة عمل مع الحكومة لاحقاً، ولكنها كانت علاقة هشة وغير مستقرة. إلا أنه عندما اقتربت الجمهورية الخامسة من نهايتها أضحت العلاقة فظة مرة أخرى، وغرست في شونج جو-يونج كراهية عميقة للحكومة، وتوقاً يائساً إلى نيل السلطة في الوقت نفسه. واستمرت منازعاتنا الغاضبة مع الحكومة.

دموع من دم

كانت الجمهورية الخامسة تأمل في تحقيق إعادة اصطفاف في قطاع الأعمال برمته. وكان الأمر كذلك حتى تستطيع أن تحصل على ما كانت في أمسّ الحاجة إليه؛ الشرعية. وكانت أيضاً تحتاج إلى شيء تدّعي أنه من صنعها. كان الاستياء قد بلغ درجة عالية. وكانت مطالب الناس بالإصلاح السياسي والاجتماعي قد أضحت أكثر اتقاداً. وكانت الحكومة تحتاج إلى فعل شيء لتعكس المد.

كانت المشكلة الوحيدة تتمثل في أن الحكومة لم تكن تملك خطة جيدة. في الحقيقة، كانت خطتها لدمج الصناعات المتشابهة واحدة من أسوأ سياساتها، فقد كانت محاولة لهز الأعمال الكبيرة حتى تحصل الحكومة على ما تريد. كانت الخطة مضللة، ومتصورة على نحو سيئ. ولكن كانت الحكومة مصممة، وينطبق عليها المثل: إن الرجل الغبي الذي يعمل بجد هو الأكثر خطراً.

كان العلماء الكوريون الذين درسوا في الخارج، وأولئك الذين يعملون في الدوائر الحكومية الاقتصادية يقولون إن قطاع الصناعة الكوري، وخاصة الصناعات الثقيلة والصناعات الكيماوية، مكتظ بالشركات التي تتنافس على السوق نفسها. وكانت الحكومة ترى أن الاستثمارات الزائدة تمثل عقبة، وأكدت أن هذه القطاعات في حاجة إلى الدمج. لم يكن التخلص من المنافسة هو الحل، وكون أن الدولة أمرت الشركات بالالتزام بذلك كان شيئاً شنيعاً.

على سبيل المثال، يستطيع المرء أن يقول إن صناعة السيارات الكورية اليوم فيها الكثير من الشركات. والبروفيسور أو المسؤول الحكومي الذي ينادي بدمج صناعة السيارات، والذي يقول إن هناك الكثير جداً من أصحاب المصانع، سيكون مثاراً

للضحك. كلنا نعرف أن المنافسة تلهب الابتكار والريادة، وبعدها يقود هذان إلى النمو والوظائف. ونعرف أيضاً أن السماح بالمنافسة والتقيد بالقوانين الراسخة شيء حيوي بالنسبة إلى النمو. وهذا هو الفرق بين الاقتصاد المتقدم، والاقتصاد النامي.

غير أنه خلال ثمانينيات القرن العشرين كان مَن يُسمون بالخبراء وأساتذة الاقتصاد والمسؤولين الحكوميين من الدرجة الرفيعة في كوريا يصرون على أنه لتعزيز المنافسة، فإننا نحتاج إلى شركة واحدة فقط في كل صناعة كبرى: السيارات، والصناعات الثقيلة، والمصانع الكيماوية، وما إلى ذلك. كانت هذه فكرة سخيفة. كان من الممكن أن يكون للسياسة أصداء عبر الاقتصاد لعقود، ولكن لم يبدِ الجيش اهتماماً، فقد كانت تقيده بصورة يائسة المكاسب القصيرة الأجل وعمليات الإصلاحات السريعة. وكانت الحكومة مصممة على المضي قدماً في الخطة.

كانت خطة الحكومة قد أُعدت بحيث تبدو مفصلة ومتطورة نظرياً، ولكن جوهر الخطة كان ببساطة دمج صناعة السيارات والصناعات الثقيلة. وعلى وجه التحديد، كانت الخطة ترمي إلى دمج هيونداي للسيارات، ودايو للسيارات، وآسيا للسيارات في مجموعة واحدة. وكان الجزء الآخر من الخطة هو خلق كيان واحد بالجمع بين حوض سفن أكوبو لشركة دايو، والصناعات الثقيلة لهيونداي، وشركة يانج-هاينج التابعة لهيونداي (والتي أعيدت تسميتها في وقت لاحق لتصبح شركة الصناعات الثقيلة الكورية).

بالنسبة إلى هيونداي، والتي كانت تستثمر باستمرار في كل من صناعة السيارات والصناعات الثقيلة لعقود، كان من المؤلم أن تجبر على اختيار صناعة واحدة. وعلى نحو خاص، كانت هيونداي تعمل على تطوير قسمها الناشئ في صناعة السيارات، وكانت على شفا تحقيق وجوه تقدم كبرى. وقد تصورنا أن هيونداي للسيارات ستصبح قادرة على

المنافسة في السوق العالمية إذا مُنحت فقط مزيداً من الوقت؛ فقد كانت قد وجدت لها سلفاً موطئ قدم في أسواق جديدة وراء البحار، وكانت إمكانيات النمو لا تصدق. وكان إجبارنا على التخلي عن ذلك الآن غير وارد. وكانت منشآت محطة الطاقة في الوضع نفسه. وقتها كانت هيونداي قد أفلحت في جمع معرفة فنية وخبرة قيّمتين في بناء محطات الطاقة، بما في ذلك محطات الطاقة النووية. وإذا كان يجب على هيونداي أن تخسر الأفضلية في هذا المجال، فكان ذلك سوف يعني التخلي للأبد عن فرصة المشاركة في السوق الضخمة لمحطات الطاقة الحرارية والنووية. وكل من صناعة السيارات وصناعة محطات الطاقة تُعدّ أصولاً تحظى بقصب السبق، وثمينة بالنسبة إلينا.

كانت خطة الحكومة العسكرية تبدو كمصيدة لتوقع مجموعة هيونداي في الشباك، وتمنعنا من تحقيق أي تقدم إضافي في مجال الأعمال. كان ذلك جنوناً. على أي حال، كانت الحكومة قد حسمت أمرها سلفاً، وكان الشيء الوحيد الذي تبقى هو أن نحدد اختيارنا.

عقدنا العديد من الاجتماعات الداخلية، وناقشنا ما ينبغي عمله. وفي النهاية اتخذ شونج القرار النهائي. لقد اختار الاحتفاظ بشركة هيونداي للسيارات. كان قرار شونج يقوم على توقعه أن صناعة السيارات لها إمكانيات بلا حدود؛ وصناعة محطات الطاقة كانت جذابة أيضاً، ولكن الإنتاج كان متقطعاً. وفي الوقت نفسه، اعتقد شونج أن هيونداي تستطيع دائماً أن تدخل في سوق محطات الطاقة في وقت لاحق. وكان منطقه يتلخص في أن خبرة هيونداي سوف تغدو لا تقدر بثمن عندما تقرر البلاد بشكل حتمي البدء في بناء محطات طاقة حرارية و/ أو نووية. كان يراهن على أنه سوف تتم دعوة هيونداي للمشاركة مرة أخرى. كان قرار شونج مبنياً عل التنبؤ.

بعد سلسلة من الاجتماعات المفصلة وسط المسؤولين التنفيذيين في هيونداي، تم تعييني لتمثيل هيونداي لدى الحكومة. كانت وظيفتي تتلخص في إطلاع الحكومة، والتفاوض معها إذا كان ذلك ممكناً. كان نظرائي اثنين من ضباط الجيش ينتمون إلى المجلس الوطني لأمن الدولة (وهو المجلس نفسه الذي استدعاني خلال المنازعة العلنية بين هيونداي وسامسونج وصحيفة جونج-أنج إلبو). كان هذا هو المجلس الذي ينفذ أوامر دمج القطاع الصناعي. وقد يبدو غريباً إيكال مسؤولية مثل هذا المشروع المهم للضباط العسكريين. ولكن وقتها كان الجيش مسؤولاً عن كل شيء عملياً. لم يكن في وسعنا عمل أي شيء.

جلسنا في مقاعدنا. كنت أجلس قبالة الضابطين. سألني أحدهما: ماذا ترغب صناعات هيونداي في الاحتفاظ به؟ ولكن قبل أن أجيب عن هذا السؤال، كنت في حاجة إلى أن أشرح ما يشعر به الكثيرون منا فيما يتعلق بهذه السياسة الجديدة. بدأت قائلاً: "حقيقة لا أستطيع أن أفهم السبب في أن يطلب منا الاختيار. بالنسبة إليكم، قد يبدو الأمر وكأنما هناك استثمارات زائدة في الصناعات الثقيلة. ولكن صدقاني، قريباً جداً سوف يأتي وقت لا يكون لدينا فيه ما يكفي من هذه الشركات".

واستطردت قائلاً: "لنقل إننا دمجنا هذه الشركات في شركة واحدة، كما تقترحون. ما سيحدث هو أن الشركات سوف تخسر كل الحوافز لكي تبدع، وسوف تخرج المنافسة بالطبع من الشباك. حالما يحدث ذلك في اقتصاد سوق يمكنك أن تراهن بمنزلك على أن الصناعة لن تنمو أبداً".

لم يقل الضابطان أي شيء. كتب أحدهما على عَجَل بعض الملاحظات، بينما كان الآخر يعبث بقلمه. كلاهما كان يحاول إظهار الصرامة.

واصلت قائلاً: "إن الأمر لا يتلخص فقط في أن هيونداي لا تريد التخلي عن صناعة السيارات أو الصناعات الثقيلة. كل ما أود أن أقوله، هو أن خطتكم لدمج الصناعة خاطئة بكل وضوح، وهي سيئة بالنسبة إلى مستقبل البلاد".

عندما فرغت من الحديث إليهما قال أحدهما: "حسناً، شكراً على محاضرتك القصيرة. للأسف، ليس هناك حاجة إلى المناظرة أو سوق أي حجج ضدها. لقد تقرر الأمر سلفاً. كل ما عليك فعله هو أن تخبرنا بما تريد هيونداي الاحتفاظ به: السيارات أم الصناعات الثقيلة".

لم يحرز اجتماعنا الأول أي تقدم، وقد انتهى بعد نصف ساعة. وغادرت دون أن أخبرهم بقرارنا.

اجتمعنا مرة أخرى في اليوم التالي، ولكننا لم نحرز تقدماً أيضاً. كنت قد أضحيت متشككاً بشكل متزايد في أن المجلس الوطني كان قد حسم أمره سلفاً فيما يتعلق بكيفية تقسيم الصناعة. وبدأت أشعر بأن المجلس كان يتآمر مع منافسينا. وكان حدسي يتلخص في أن المجلس ومنافسينا كان يريدون أن تأخذ هيونداي منشآت محطة الطاقة. كانوا يحاولون إغواءنا بفعل ذلك. كانوا يحتاجون إلى موافقة هيونداي، وكان ذلك ما يحاولون الحصول عليه مني.

خلال الاجتماع الثالث ظهرت أخيراً ألوانهم الحقيقية. "الرئيس لي، إننا نعرف أن هيونداي كانت تستثمر بكثافة في الصناعات الثقيلة لمدة ليست قصيرة من الوقت، وأن مجموعتكم قد بُنيت حول شركة هيونداي للهندسة والإنشاء. على هذا النحو، نعتقد أن شركتكم يجب أن تختار صناعة منشآت محطات الطاقة. أعتقد أن هذا هو القرار الصحيح بالنسبة إلى شركتك، وإلى ضمان نجاح سياستنا".

كنت أتوقع أن شيئاً مثل هذا قد يحدث، ومن ثم لم أُفاجأ. حالما أنهى كلامه أخبرتهم بأن "هيونداي سوف تختار صناعة السيارات".

نظر كلا الضابطين إليّ ثم إلى بعضهما بعضاً. كان من الواضح أنهما بوغتا بما قلته والطريقة التي تحدثت بها. بعدها حاولا إجباري على القبول بمقترحهما. وأخذا يشرحان منطقهما بقدر كبير من التفصيل. أخبرتهما مرة أخرى أن هيونداي تعتقد أن الخطة نفسها مختلة بشكل خطير، ولكن إن كان لا غنى عنها، فإن هيونداي سوف تختار صناعة السيارات. وقلت لهما، إنه لا يوجد أي مجال للتنازل. واستمرا في محاولة إقناعي ولكنني كنت حازماً.

سرعان ما شرعا في تهديدي، ولما كنت ما أزال ثابتاً، أخذا بمهاجمتي على المستوى الشخصي. سألني أحدهما عن المكان الذي أسكن فيه. قلت ببساطة "جانج-نام" (منطقة تقع إلى الجنوب من نهر هان اشتهرت بأنها حي موسر).

بعدها سألاني، "هل تسكن في شقة"؟

قلت، "لا، في الحقيقة أسكن في منزل كبير جداً".

سخر أحدهما قائلاً: "أحقاً؟ أنا أسكن في منزل حقير على قمة تل، وهو في مساحة خزانتك. بينما شاكلتك من الناس يعيشون في منازل فاخرة، ويستمتعون بالغذاء الجيد، ويعيشون حياة خالية من الهموم، فإن أمثالنا من الناس يفكرون في مستقبل هذه البلاد. لقد اتخذت الحكومة قراراً من أجل البلاد. ألا تعتقد أن أقل ما يمكن أن تفعله هو أن تتعاون"؟ نظر إلي باحتقار. ورددت عليه بقوة: "أيها الضابطان دعاني أقل لكما شيئاً. عندما كنتما تدرسان في الأكاديمية العسكرية، وبالمناسبة كانت الدولة تتولى الصرف عليها، ذهبت أنا إلى الجامعة، ولكنني كنت أجمع القمامة كل صباح حتى أتمكن من دفع رسوم تعليمي. وعندما

أرسلكما والداكما إلى المدرسة الثانوية كدت أنا أن أفشل في الالتحاق بالمدرسة الثانوية لأننا كنا لا نملك مالاً. عندما كنتما لا تقلقان بشأن طعامكما، لم أكن أنا قط أتناول ما يكفيني من الطعام، وكدت أموت من الجوع مع أختي الصغرى مرات كثيرة".

وواصلت الكلام، "بعد تخرجي من الجامعة، حصلت على وظيفة وكنت أعمل في النهار والليل. سافرت إلى ما وراء البحار، وكان عليّ تحمل الكثير من المتاعب. لا أعرف ما إذا كنتما تدركان ذلك، ولكن في عام 1974 كانت هذه البلاد على شفا الإفلاس. هل تعرفان ما الذي أنقذها؟ فعل ذلك أمثالي من الرجال الذين سافروا إلى ما وراء البحار لكي يعودوا بالعملة الصعبة التي حصلوا عليها بمشقة وهم يعملون ويتصبب عرقهم مثل الكلاب في الصحارى والأدغال. وعندما تخرجتما من الأكاديمية وبدأتما العمل، هل كانت هناك أي حرب؟ أنا أعرف كيف هي الأشياء هناك في الخارج. هناك الأدغال، هناك الحرب. كنت أعمل 18 ساعة في اليوم لكي أبقى على قيد الحياة. لم أكن أنام قط أكثر من خمس ساعات في اليوم طوال حياتي".

قاطعني أحد الضابطين قائلاً: "لقد اشتركنا في الحرب أيضاً. حرب فيتنام".

كتمت ابتسامة مريرة وواصلت: "أيها السيدان، مجرد أنكما ضابطان لا يعني أنكما وطنيان. وبطريقة مشابهة، لا تظنا أن مجرد كوني رجل أعمال فإنني وغد. يمكن -وينبغي- انتقاد الشركات إذا ما ارتكبت أخطاء، إلا أن الاستخفاف بالدور الإيجابي للأعمال خطأ". نظرت إلى الضابط الذي أخبرني بأنه يسكن في شقة حقيرة على رأس التل. "قلتَ إنك تعيش في شقة حقيرة على رأس تل. أتعرف؟ لقد كنت أسكن في كوخ على رأس تل، ولكنني أراهن على أن شقتك فاخرة مقارنة بالكوخ الذي كنت أعيش فيه. ودعني أسألك. ما الخطأ في أن يعيش رئيس شركة هيونداي للهندسة والإنشاء في منزل كبير؟ لقد بنت لي الشركة هذا المنزل، بحيث أكون قادراً على الترفيه عن الضيوف الأجانب".

اكتفى الضابط الذي يعيش في رأس التل بمجرد النظر إليّ. قلت: "إذا كان سكني في مثل هذا المنزل خطأً، فهل ينبغي حينها أن أخفض مستوى معيشتي، وأسكن بجوارك في شقة متهدمة على رأس تل؟ هل هذا ما تريدونه؟ إذا كنتُ في مكانك، فسوف أستهدف رفع المستوى بحيث يستطيع الضباط من أمثالك، وموظفو الخدمة العامة والآخرون العيش في شقق كبيرة ومريحة! هذا يجب أن يكون هدف السياسيين. لا تحاول جذب الناس الذين عملوا بكد لكي يحسنوا حياتهم إلى أسفل. لا تتعالَ عليهم".

قال أحد الضابطين بخجل: "لم يكن هذا ما نعنيه. فقط يبدو أن بعض رجال الأعمال لا يهتمون إلا بجمع المال لمصلحتهم الخاصة". وبذلك انتهى اجتماعنا بدون أي نتائج مرة أخرى.

بعد عودتي جلست مع شونج في محاولة لرسم استراتيجية. ولكن مع مضي الوقت أدركت أنني أندفع نحو حافة الهاوية، فقد كانوا هم من يمسكون بكل الأوراق.

ذات يوم جاء واحد من الذين أعرف أنهم يعملون في الحكومة لمقابلتي. كان مسؤولاً يساعد في جهود الجيش في "الإصلاح". قال لي إن استمراري في المقاومة لا طائل من ورائه. وقد ذكّرني بلطف بأن البلاد في حالة طوارئ، وأنه من المستحسن بالنسبة إليّ أن أقبل بهدوء اقتراحهم. وحذرني أيضاً من أن هذا الأمر يمكن أن يقرر بقاء مجموعة هيونداي نفسها على قيد الحياة. بعد أن تركني، لم أكن متأكداً تماماً مما إذا كان قلقاً حقيقة بشأني وشأن الشركة، أم أن رجال الجيش أرسلوه لكي يحاول إقناعي. على الرغم من ذلك، ذهبت إلى شونج وأخبرته بالاجتماع وما قاله الرجل. وأخبرت شونج أيضاً بأنه يبدو أن الوقت قد حان لكي نتخذ قرارنا النهائي.

سألته، "ماذا يجب أن نفعل"؟ لم يقل شونج أي شيء. كان قلقاً جداً فيما يبدو. منذ اغتيال الرئيس بارك شونج-هي ومجيء الحكومة العسكرية إلى السلطة كان على شونج أن

يتحمل الكثير من الضربات. لم يكن التصميم والرزانة دائماً كافيين لمجابهة تلك العواصف التي كانت غالباً قاسية ولا تعرف الرحمة.

"اذهب وحاول مرة أخرى. إذا كان المد ضدنا، إذن لن يكون هناك ما نستطيع فعله خلافاً للموافقة". وبعد أن قال ذلك، منحني شونج ختمه الشخصي الذي كان يستخدم للتوقيع بالأحرف الأولى على المستندات والعقود المهمة (المستندات التي تكتب حروفها الأولى بالأختام الشخصية تُعدّ مستندات قانونية).

سألته: "سيدي الرئيس، ماذا تريد مني أن أفعل بهذا؟".

هز شونج كتفيه قائلاً: "لا ينبغي أن تلوم نفسك. فقط عليك أن تجاري التيار".

عبّرت عن احتجاجي قائلاً: "سيدي الرئيس، إذا كنت تريد استخدام هذا الختم، فإنني أعتقد أنه ينبغي أن تذهب إلى هناك وتفعل ذلك بنفسك. هناك آخرون يمكنهم أن يمثلوا الشركة".

قال شونج: "اسمعني، أنت الشخص الذي يتعامل مع هؤلاء الناس، ومن ثم ينبغي أن تكون أنت من يُنهي المسألة".

نهضت ووضعت الختم الشخصي لشونج في جيبي، واتجهت إلى المجلس الوطني لأمن الدولة لاجتماع نهائي. وفي الاجتماع، كالعادة، تناظرنا مرة إثر أخرى. كان كل ما بحوزتي، على أي حال، هو اعتراضاتي المبدئية والمنطقية للقرار نفسه. وحاولت أيضاً مساعدة نظرائي العسكريين في فهم طبيعة صناعة السيارات، وما كانت تعنيه بالنسبة إلى مستقبل البلاد. لم يكن لديّ أي شيء لأخسره. إلى جانب ذلك، لم أكن أرغب في تسليم ما كان يعني الكثير جداً بالنسبة إليّ وإلى الشركة بسهولة شديدة. أصبحت منزعجاً بدرجة كبيرة بعد أن أدركت أن النهاية قد دنت. كنت أكره أن أراهم يبتهجون.

ناشدتهم قائلاً: "أيها الضباط، صناعة السيارات واحدة من أكثر الصناعات الموجودة تعقيداً. وإذا جمعتموها كلها في صناعة واحدة، فمن المؤكد أن المنافسة سوف تتراجع، مما يؤثر سلبياً في النمو والصادرات. سوف تضحي فقط عبئاً عليكم وعلى الشعب. انظروا إلى الهند. في الهند شركة واحدة فقط للسيارات مملوكة بالكامل للدولة. هل رأيتم سياراتها أبداً؟ لم تستثمر الهند في البحوث، وهكذا على مدى السنوات تحولت الصناعة إلى حفرة شفط عملاقة، حيث تدفقت الأموال إليها بدون أي نوع من المخرجات. سيارات الهند أداؤها كئيب، وموديلاتها عتيقة بصورة ميئوس منها. ولكنها مكلفة، وبما أن الشركة لا تنتج كثيراً من السيارات، فإن المشترين ينبغي عليهم الانتظار شهوراً حتى يتم التسليم. وهذا لأنه لا توجد منافسة في الهند. ما لم تروا بأنفسكم، فلن يكون في استطاعتكم أبداً أن تقدروا تماماً خطورة الوضع".

وشددت على أن "صناعة السيارات الخاصة بنا تبدو وكأن فيها الكثير جداً من الشركات، ولكن ثقوا بي حالما يسترد الاقتصاد نشاطه ويبدأ الناس في الشراء مرة أخرى، وتغدو صناعاتنا أقوى، فسوف تسهم كلها في النمو الكلي. يجب أن تعيدوا التفكير في دمج صناعة السيارات".

قال أحد الضباط ساخراً: "سيد لي، أرجوك. جنِّبنا دروسك في الاقتصاد. إن سياستنا تقوم على تقارير موضوعية أعدها علماء نالوا درجاتهم العلمية في الخارج، ويعرفون أكثر منك في الاقتصاد. إذن هذا القدر يكفي من المحاضرات".

تجاهلت تعليقه الساخر وقلت: "لا أعرف على أي أساس يؤيد من يُسمون بالعلماء الدمج، ولكن دعوني أقل لكم، إن الناس من أمثالي لهم قدر من المعرفة عن الذي يجري في عالم الأعمال الحقيقي أكثر بكثير مما لدى هؤلاء العلماء. نحن نعرف ما ينجح وما لا ينجح".

ثم استطردت: "كذلك، لم أسمع قط عن التخلص من المنافسة في اقتصاد السوق كطريقة لتحقيق الربح. إن احتكار الصناعات سوف يقود فقط إلى الركود. بالطبع، ربما يبدو في البداية وكأنما كل شيء يعمل جيداً ويصبح الجميع سعداء. ولكن الشركات تزدهر حقيقة في العالم التنافسي، فإمكانياتها تصبح بلا حدود! وعلى هذا النحو تجعل الشركات الاقتصاد اقتصاداً صحياً وتنافسياً. إذا حاولت فرض الدمج على الصناعات، فسوف تعاني البلاد. لن نستطيع أبداً المنافسة في السوق العالمية. وعندما يحل ذلك اليوم، فسوف تندمون على قراركم وتعرفون مدى غبائه".

كان الضباط قد تلقوا ما يكفي من محاضرتي. ولم أشعر أنا أيضاً بالرغبة في الحديث بعد ذلك. كنتُ أهدر وقتي. وواصلوا الإصرار على أن أختار. قالوا لي: "سيد لي، لم نأتِ إلى هنا لكي نستمع إلى محاضراتك. فقط أخبرنا ماذا تريد. لقد انتهى الوقت. افعل ما يحلو لك، فهذا الأمر يعود إليك".

كانت مناقشتنا وقتها قد استمرت لساعات. كان الوقت متأخراً في المساء بالفعل. عندها فكرت في أنه مهما أطلت البقاء، فلن أستطيع تغيير أي شيء. كان المزاج قد أضحى أكثر توتراً.

أخرجت ختم شونج الشخصي، ووضعته على الطاولة. "حسناً، هذا هو ختم شونج الشخصي. سوف أقبل بأي شيء تقررونه". لم أكن لأستخدم ذلك الختم بأي حال من الأحوال بيدي.

جاء ضابط صغير وأخذ الختم. وعندما كان على وشك استخدام الختم، صرخ أحد الضباط فجأة: "قف! لا تختم"! لقد أدرك أنه إذا استخدم أحد رجالهم الختم وليس أنا، فسوف أدعي دائماً أنه قد تم إكراهي، وأنني لم استخدم الختم بنفسي أبداً. بعدها أمر الضابط ضابطه الصغير قائلاً: "ضع الختم". ثم حدَّق في وجهي بنفور.

قلت: "هل يمكنني العودة الآن؟".

أخرج الضابط زفرة: "ماذا؟... اخرج سريعاً من هنا!".

سألته: "هل سوف تحتاجون إلى هذا الختم؟ هل أتركه هنا؟".

رد الضابط بغضب: "لا، خذ هذا الختم عديم الفائدة معك، عليه اللعنة".

عندما خرجت من المجلس الوطني لأمن الدولة كان الظلام قد حل سلفاً. وعندما عدت إلى المكتب كان مكتب شونج فقط مُضاء. دخلت المكتب ونظر شونج إلي: "ماذا حدث؟ هل ختمت الأوراق"؟

قلت: "لا".

فوجئ شونج: "حقاً؟ ماذا حدث؟".

قلت: "سوف أطلعك على ذلك بالتفصيل غداً"، شعرت بالتعب فجأة.

نظر شونج في وجهي مرة أخرى: "انتبه، عيناك تنزفان".

"صه، عيناي على ما يرام".

"لا، اذهب وانظر في المرآة. إنهما داميتان".

ذهبت إلى الحمام ونظرت في المرآة. كانت عيني اليمنى مليئة بسائل أحمر. أخرجت منديلي ومسحت السائل الأحمر، وصار لون المنديل أسود أقرب إلى الحمرة؛ "دموع من دم". لأول مرة في حياتي جربت ما كنت قد قرأته في الروايات الرخيصة. لم أعتقد قط أنه من الممكن أن يستطيع البشر أن يذرفوا دموعاً من دم. والآن عرفت أن هذا حقيقة.

أثمرت المواجهات مع المجلس الوطني نتائج في النهاية. عقب مناقشاتنا لم يستطع المجلس الوطني أن يصل بعملية دمج صناعة السيارات إلى النهاية بما أن هيونداي لم توافق قط. وانتهى الأمر بتحويل القضية إلى وزارة الصناعة حيث أصبحت المناقشات علنية. جاء بعدها دور شونج جو-يونج. تقدم وجادل بقوة ضد الدمج مستخدماً نفوذه الكبير لكي يفوز بالجمهور. وفي النهاية تم تجنب صناعة السيارات.

من سوء الطالع لم تلقَ صناعة محطات الطاقة المصير نفسه. ظلت تداعيات ذلك القرار المصيري قائمة لسنوات كثيرة بعد ذلك. وهذه المسألة كان من الممكن أن يكون لها أثر هائل على الاقتصاد الكوري ومستقبل البلاد، وقد حدث ذلك.

وعلى مستوى أكثر خصوصية، استمرت العلاقة المضطربة بين هيونداي والجمهورية الخامسة. وفي هذه المرة كان الأمر يتعلق برئاسة شونج جو-يونج لاتحاد الصناعات الكورية.

رئيس اتحاد الصناعات الكورية

لم تتوقف إدارة الرئيس شون دو-هوان، الحديثة التعيين عن مسعاها لاكتساب الشرعية. كانت أضمن وأسرع طريقة لتحقيق ذلك هي مهاجمة الأعمال. وتمثلت إحدى الوسائل لإرسال إشارة قوية إلى مجتمع الأعمال في تغيير رئيس اتحاد الصناعات الكورية. كان ذلك سوف يبعث رسالة أيضاً إلى الجمهور، فحواها أن الحكومة تتحكم في كل الشؤون.

يمثل اتحاد الصناعات الكورية مصالح مجموعات الشركات الكبرى في كوريا. وينتخب الأعضاء الرئيس، والاتحاد منظمة خاصة. ويتم تمويل الاتحاد بالمساهمات التي يقدمها أعضاؤه. ويُعدّ رئيس اتحاد الصناعات الكورية واجهة مجتمع الأعمال الكوري، ويحمل المنصب معه الكثير من الرمزية والهيبة. والآن أرادت إدارة الرئيس شون أن يتنحى شونج جو-يونج عن رئاسة اتحاد الصناعات الكورية.

خلال الجمهورية الخامسة، كان اتحاد الصناعات الكورية تحت رعاية وزارة الصناعة. وكان هذا يعني أنه من مسؤولية وزير الصناعة الإشراف على نشاطات الاتحاد، وتقديم مختلف التوصيات. وذات يوم أرسل الوزير، سيو سيوك-جَن، رسالة طلب فيها أن أقابله بصورة عاجلة. أخبرني الوزير سيو بأن الرئيس شون يرغب في أن يقدم شونج جو-يونج استقالته من رئاسة اتحاد الصناعات الكورية، على أن تكون الاستقالة سارية المفعول فوراً. وقال لي الوزير سيو، إننا سوف نمهله أربعة أيام. كان من المتوقع أن يستقيل شونج في ظرف أربعة أيام بطريقة سوف تبدو طبيعية. لم تكن هناك أي فرصة للتأخير بما أن تلك كانت أوامر الرئيس.

احتججت وقلت، إن مثل هذه القضية يجب أن يتعامل معها اتحاد الصناعات الكورية وليس أنا. غير أن الوزير سيو شرح لي أن السبب في استدعائي هو أنهم شعروا أنني الشخص الوحيد الذي يتصف بالصراحة والقادر على إطلاع شونج بما ينبغي أن يفعله. سألت: لماذا ترغب الإدارة في التخلص من شونج؟ فلم أتلقَّ إجابة واضحة.

كانت هناك شائعات عن أنه قد تقرر سلفاً أن يصبح بارك تاي-جون، رئيس شركة بوسكو POSCO (شركة بوهانج للصلب)، الرئيس التالي لاتحاد الصناعات الكورية، ومن ثم فقد سألت الوزير سيو في وجهه: "من هو الرئيس التالي"؟ لم يجب الوزير. استطردت قائلاً: "كما تعرف، سيدي الوزير، فإن اتحاد الصناعات الكورية منظمة خاصة. وإذا قررت الحكومة تغيير الرئيس نتيجة لنزوة، فإن ذلك سوف يبعث رسالة خاطئة للشعب؛ أي نوع من الحكومات الجديدة تحاولون أن تكونوا؟".

كنت فظاً عادة، ولكنني في هذه المرة تجاوزت الحد قليلاً. كان رد فعلي مسيئاً للوزير سيو؛ كانت تلك الأيام المبكرة للحكومة العسكرية، كما كانت على نحو خاص الأيام المبكرة للرئيس نفسه. كرر الوزير فقط أن الأمر جاء من أعلى سلطة، وأنني يجب أن أذهب وأخبر شونج جو-يونج بالأمر.

أخبرت شونج بالفعل، ولكنني قلت له أيضاً، إنه يجب أن يقاوم لأطول مدة يستطيعها. وقلت له إن منطقي يتلخص في أنه سيكون من الحكمة أن يحتفظ بالأمر سراً ولا يطلع أي شخص عليه؛ يجب أن ننتظر ونرى ما سوف يحدث. وأشرت أيضاً إلى أنه على الرغم من أنهم قالوا إن تلك هي رغبة الرئيس، فربما لم يكن الأمر كذلك. ربما كان شخص آخر غير الرئيس قد استخدم اسم الرئيس. وإذا كانت تلك هي رغبة الرئيس، فيجب أن نعرف الشخص الذي يقدم الاستشارات للرئيس. كان شونج يساوره القلق من أنه إذا لم يلبِّ رغبة الرئيس، فمن الممكن استهداف هيونداي مرة أخرى. وكان ذلك يعني جولة أخرى من المواجهات مع الحكومة العسكرية، وهذا احتمال لم يكن جذاباً لكل منا. إلى جانب ذلك، لقد تولى شونج رئاسة اتحاد الصناعات الكورية على مضض. لقد كانت وظيفة رفضها في البداية. في عام 1977 طلب رئيس اتحاد الصناعات الكورية من شونج ذلك عدة مرات قبل أن يقبل شونج، ولكنه حالما تولى الرئاسة، فقد انطلق بكل قوته وحماسه المعتادين. لم تكن لديه أية مخاوف بشأن ترك رئاسة اتحاد الصناعات الكورية.

في اليوم التالي استدعاني الوزير سيو مرة أخرى، وسألني عما قاله شونج. كان يتوقع تماماً سماع أن شونج ينوي التنحي في الأيام الثلاثة التالية. غير أنني قلت له، إن شونج فيما يبدو يفكر بعمق ويتأمل فيما يجب فعله. وقلت له إن شونج لم يقل أي شيء. انزعج الوزير سيو. واستمر يردد أن هذه رغبة الرئيس.

بمجرد عودتي كررت لشونج أن عليه الثبات. كان من الخطأ التنحي بينما لم تقدم لنا الحكومة سبباً وجيهاً. إضافة إلى ذلك، كنا نخشى أن يصبح تنحي شونج الآن عاراً شخصياً لشونج، وضربة قاسية لهيونداي؛ إذ إن هذا سيجعل الأمر يبدو وكأنما هيونداي قد نزلت إلى مرتبة الجبان الضعيف الشخصية والعاجز.

وافق شونج على ذلك قائلاً: "أنت محق تماماً. أنا لن ألملم أوراقي. سوف أترك المنصب عندما تنتهي فترة رئاستي. لن يرغموني على ترك المنصب بأي طريقة كانت". لم تكن هذه المرة الأولى التي يناطح فيها شونج الحكومة العسكرية الجديدة. كان يبدو كمن يتلذذ بالفرصة التي يجعلهم فيها يتصببون عرقاً، وكان غاضباً. وأنا واقف أمامه، بدأ في تنظيف مكتبه، وتمزيق المذكرات الشخصية، وقفل الأوراق الحساسة في الأدراج. كان يعرف ما يستطيع الجيش فعله. كان يعرف أنهم سيجدون ذريعة أخرى لحبسه. وقال مازحاً: "إذا وضعوني في السجن فهذا شيء جيد. سوف أجد وقتاً لدراسة اللغة الإنجليزية أخيراً".

في اليوم الرابع استدعاني سيو للمرة الأخيرة. كان وقتها عصبياً بصور واضحة. كان يريد إجابة. قلت له "سيدي الوزير، مازال الرئيس شونج يجد صعوبة في اتخاذ قراره، لقد أصبح حذراً جداً". تمعنت في وجه الوزير، وواصلت قائلاً: "إذا كان الرئيس شونج سوف يقدم استقالته طوعاً، فسوف يتعجب مجتمع الأعمال والشعب، ويتساءلون: لماذا؟ وخاصة أنه تبقت له سنة واحدة حتى نهاية فترة رئاسته. من الطبيعي أن يعتقد كل شخص أن الحكومة الجديدة قد أرغمته على ترك المنصب. ولن يبدو شيئاً جيداً في حق الحكومة التدخل في المسائل الشخصية لمنظمة خاصة مثل اتحاد الصناعات الكورية. ولن ينعكس ذلك بشكل جيد على شونج، ومجتمع الأعمال، أو الحكومة. لماذا لا تدعه يكمل فترة رئاسته؟ إنها فقط سنة أخرى. ربما تستطيع تقديم هذا الاقتراح للرئيس".

أصبح لون الوزير سيو شاحباً؛ لم تكن تلك الإجابة التي كان يأمل فيها. كان من الحمق أن أتقدم باقتراح يتطلب منه التشكيك في قرار الرئيس. سألني، "هل تدرك ممن جاء هذا الأمر، سيد لي؟".

في ذلك الوقت كان شونج يحضر اجتماعاً مع نائب رئيس الوزراء نام ديوك-وو الذي كان ينقل إلى شونج الرسالة نفسها التي كان الوزير سيو ينقلها إليّ. سرعان ما بدأت

الشائعات تدور. كان بعضهم يقول إن الرئيس التالي لاتحاد الصناعات الكورية قد تم اختياره سلفاً. وبدأت أسماء محددة في الظهور. ومع انتشار الشائعات دخلنا في وضع حرج. وقلت لشونج: إنه ما من خيار أمامنا سوى المزيد من الثبات.

من حسن الطالع لاحت لشونج فرصة للتعبير عن موقفه بشكل مباشر للرئيس. شرع شونج في كتابة رسالة، وقمت شخصياً بتسليمها للرجل الذي كان يُعدّ واحداً من سواعد الرئيس اليمنى (كان رجلاً عسكرياً، ولكن عُرفت عنه العقلانية). وعندما سلمته الرسالة، شرحت له عدم الإنصاف في قرار الحكومة. ولاحظت أنه أومأ موافقاً. وأدركت أن الأمر برمته ربما لا يكون مصدره المباشر مكتب الرئيس. قال الرجل، "يبدو أن هناك شيئاً غير صحيح".

في عاقبة الأمر استطاع شونج أن يكمل فترة رئاسته. وقد تحسنت علاقته مع الحكومة بشكل ملحوظ خلال هذه المدة. وفي نهاية فترته الرئاسية أعاد أعضاء اتحاد الصناعات الكورية انتخابه، وبذلك صار أطول رؤساء اتحاد الصناعات الكورية بقاءً في الخدمة في تاريخ المنظمة.

إذا كنتَ رجل أعمال، وخاصة رئيساً لشركة كبيرة خلال الجمهورية الخامسة، فإنك تكون عرضة لكثير من الأخطار. كنتُ مكشوفاً بشكل دائم للتهديدات والإساءات. كانوا يأخذونني للاستجواب ويحرمونني من حقوقي الأساسية وامتيازاتي. كانت الحكومة تتقدم بطلبات فظيعة. وتنفذ سياسات تقوم على نظريات مريبة، ولا تتردد في تقويض شركة استغرقت سنوات من العمل الشاق لكي تصل إلى ما وصلت إليه. على سبيل المثال، عندما فازت هيونداي بعقد بناء منشآت تخزين الغاز الطبيعي المسال إثر سياسة الحكومة الجديدة لتنويع واردات الطاقة، أقمنا مشروعاً مشتركاً مع شركة فرنسية اسمها "تكنيجاز" Technigaz ودخلنا في المناقصة. (وبما أن منشآت تخزين الغاز الطبيعي المسال تتطلب

النقل والتخزين في درجات حرارة منخفضة بشكل كبير، فقد طلبت الحكومة من الشركات الكورية أن تدخل في المناقصة بالاشتراك مع شركات أجنبية تمتلك التكنولوجيا الضرورية). في النهاية فازت شركتا هيونداي وتكنيجاز بالعقد بعد أن هزمت شركة كورية اسمها هانيانج كانت قد شكلت تحالفاً مع الشركة اليابانية، ماروبيني Marubeni. وفيما بعد ألغت الحكومة العقد كلية مشيرة إلى أسباب فنية.

وعلى الرغم من شكاوانا المتكررة واجتماعاتنا مع كبار المسؤولين، فقد مُنح العقد في النهاية إلى هانيانج التي كانت قد شكلت مشروعاً مشتركاً مع الشريك الفرنسي نفسه؛ تكنيجاز. كانت الحكومة هي الجهة التي عقدت الزيجة التي جمعت بين هانيانج وتكنيجاز.

جاءتنا تكنيجاز للاعتذار. كان يمكننا أن نثير قضية مع تكنيجاز، ونطالب بتعويض وفقاً لفقرة في العقد الأصلي المبرم معها تمنع كلا الطرفين من التراجع عن الصفقة. إلا أننا قررنا أن تكنيجاز لم تكن الطرف الملوم، بل حكومتنا التي قررت وضع نهاية لمناقصتنا.

كان هذا مثالاً آخر للتخلي عن قواعد اللعبة والفطرة السليمة المجردة. كانت هذه هي الطريقة التي تُصرّف بها الأعمال في ظل الحكومة العسكرية خلال ثمانينيات القرن العشرين في كوريا. كان هذا عالماً شجاعاً (وخطيراً) جديداً. كنتُ رجل أعمال، وكلنا كنا نحتاج إلى الشجاعة لكي نبقى على قيد الحياة.

الفصل العاشر

الطاقة النووية

مع الهموم العامة المتصاعدة بشأن سلامة محطات الطاقة النووية، دخلت الحكومة الكورية في مأزق. كانت تعرف أن هيونداي هي الشركة الوحيدة القادرة على الوفاء بمتطلبات السلامة الجديدة، إلا أنها برغم ذلك ما كانت ترغب في إعطاء المشروع لهيونداي.

جاء إعلان عبر مكبرات الصوت: "رجاءً ليأتِ الرئيس لي ميونج-باك من شركة هيونداي للهندسة والإنشاء إلى المكتب الواقع في منطقة الصعود إلى الطائرة".

كنت في ردهة مطار شانجي الدولي في سنغافورة أنتظر رحلتي إلى تايلاند عند الساعة الحادية عشرة مساءً. ركضت سريعاً إلى المكتب (كان ذلك قبل ابتكار الهواتف المحمولة وأجهزة النداء). كان شونج يتصل بي من سيول. عندما أخذت سماعة الهاتف، صرخ شونج: "لي، من الأفضل أن تعود إلى سيول فوراً. لقد تم إلغاء عقدنا الخاص بمشروع محطة الطاقة النووية تماماً".

أذهلني ذلك: "كيف يمكن ذلك؟".

قال شونج: "هذه هي الحقيقة. لقد عقد نائب رئيس الوزراء مؤتمراً صحفياً قبل قليل، وأعلن ذلك. هذا هراء! على أي حال عُد فوراً، فأنا أحتاج إليك هنا".

كان ذلك في ديسمبر 1987، قريباً من نهاية الجمهورية الخامسة. كانت البلاد في قبضة حمى الانتخابات الرئاسية القادمة. وخلال هذا الوقت، أعلنت شركة الطاقة

الكهربائية الكورية "كيبكو" (KEPCO) عن مناقصة لتشييد الوحدتين 3 و4 من محطة يونجوانج للطاقة النووية. كانت هناك ست شركات في كوريا لها خبرة في بناء محطات الطاقة آنذاك. ومن بين الشركات الست، كانت شركتا هيونداي ودونج-آه للإنشاءات Dong-a لهما خبرة في بناء محطات الطاقة النووية؛ أما الأربع المتبقيات فقد بنت محطات حرارية فقط.

يتضمن تشييد محطات الطاقة النووية بناء مفاعل نووي ينتج الطاقة عبر الانصهار النووي، ومنشأة محطة الطاقة التي تستخدم الطاقة الحرارية التي يولدها المفاعل لإنتاج الكهرباء. وكان المفاعلان النوويان في كوري وولسونج قد بنتهما هيونداي؛ وأكملت دونج-آه منشأة محطة الطاقة. وفيما بعد بنت هيونداي كل المفاعلات، وكذلك منشآت الطاقة في محطة يونجوانج، ومن ثم أصبحت هيونداي أول شركة في كوريا تبني وحدها محطة طاقة نووية بكاملها.

لم يكن سعي هيونداي لبناء مفاعلات نووية سهلاً. في أوائل سبعينيات القرن العشرين بدأت هيونداي كمتعاقد فرعي ثانوي لشركة وستنجهاوس الأمريكية Westinghouse. كان قرار الاستثمار في الطاقة النووية قراراً ذكياً، ولكن في الوقت نفسه لم تكن كوريا تعرف أي شيء عن الطاقة النووية، أو كيف تبني محطة للطاقة النووية. ومن الطبيعي كان علينا أن نتعلم من الآخرين، وغدت شركة وستنجهاوس شريكنا. في البداية كان كل ما نفعله هو تجميع الأجزاء، ونفعل ما يُطلب منا. ولكن طوال الوقت كنا نتعلم دروساً قيّمة.

بحلول أواخر سبعينيات القرن العشرين، برزت كوريا كسوق جذابة لشركات الطاقة النووية الأخرى. ووصل شبه الاحتكار الذي كانت تتمتع به وستنجهاوس، والعلاقة الأحادية الجانب بينها وبين هيونداي، إلى نهايته. وعندما أصبحت هيونداي شريكاً مشتركاً جذاباً للشركات الأجنبية الراغبة في الفوز بالعقود في كوريا، بدأت

وستنجهاوس تتعامل معنا بالمزيد من الاحترام. وأذكر أنني سافرت في أوائل سبعينيات القرن العشرين إلى مدينة بيتسبيرج لألتقي مسؤولين تنفيذيّين في وستنجهاوس، وكان نظيري مديراً على الرغم من أنني كنت رئيساً. وفيما بعد كان يقابلني نائب الرئيس ويتعامل معي بسخاء، ولم أكن أمانع في ذلك إطلاقاً.

وفي أثناء واحدة من مواجهاتي هذه مع المسؤولين التنفيذيّين في وستنجهاوس هؤلاء، حاولت أن أفوز بأكبر قدر أستطيعه من الامتيازات. ولم يكن ذلك سهلاً. وذات مرة جاء النائب الأول للرئيس نفسه إلى سيول، وبدأنا مفاوضاتنا فيما يتعلق بتجديد الشروط المحددة لشراكتنا (مثلاً، كم من نقل التكنولوجيا يمكن أن نحصل عليه من وستنجهاوس). كنا حينها نطالب بأن يتم التعامل معنا بقدر أكبر كشريك مساوٍ. بالطبع، كانت وستنجهاوس ترى خلافاً لذلك.

وعندما جلسنا في مكتبي في سيول، بدأنا ما تحول إلى مفاوضات ماراثونية دامت أربع عشرة ساعة. وكانت المفاوضات بهذا الطول، لأن النائب الأول لرئيس وستنجهاوس كان يذهب لاستشارة رئيسه في الوطن. على أي حال، بما أنه كان يعلم أن عملاء استخباراتنا كانوا يسترقون السمع على المحادثات الدولية -خاصة محادثاته- فقد كان يطلب بطريقة ذكية من مكتب طوكيو أن ينقل رسالة على مراحل ويسأل عن التعليمات. وقد استمر النائب الأول للرئيس في طلب المزيد من القهوة، والتي بدا أنها تنعشه، وهكذا قلت لسكرتيرتي أن توقف إحضار القهوة، وأن تحضر الشاي بدلاً من ذلك (وبدا أن هذا كان يوهن طاقته بدرجة كبيرة، ويفي بالغرض في النهاية).

كان النائب الأول لرئيس وستنجهاوس يدرك أيضاً أن هناك حظراً للتجول في كل البلاد يبدأ عند منتصف الليل وينتهي عند الرابعة صباحاً. كان يعرف أنني سوف أتقيد بحظر التجول هذا، ولكن هذا لا ينطبق عليه.[20] وعندما أدركت أنه كان يستخدم هذا

ضدي معتقداً أنني سوف أتنازل، لكي أستطيع أن أنهي المفاوضات قبل منتصف الليل وأذهب إلى منزلي. أمرت سكرتيرتي بأن تحضر سريراً عسكرياً من النوع الذي يطوى في مكتبي. وعندما أدرك النائب الأول للرئيس بدهشة أنني على استعداد للمبيت في المكتب إذا لزم الأمر، استسلم في النهاية ووقّع. وفي النهاية، اتفقنا قبل عشر دقائق من بدء حظر التجول. وكانت هذه هي الطريقة التي استطعنا بها أن نقتني تكنولوجيا قيّمة ومعرفة فنية حاسمة بالنسبة إلى بناء محطات الطاقة النووية الخاصة بنا فيما بعد.

حالما انتهينا من المفاوضات، ركبت سيارتي سريعاً، وحاول سائقي أن يسبق بدء حظر التجول والذي كان سوف يبدأ بعد دقائق. ومن سوء الطالع أنه عندما اقتربنا من أحد الجسور عبر نهر هان، لاحظت أن الشرطة المحلية والحراس العسكريين قد أقاموا حواجزهم سلفاً، فتم إيقافنا عند نقطة التفتيش.

خرجت من السيارة، وذهبت إلى الرجل الذي كان يبدو أنه المسؤول. "اسمي لي ميونج-باك، وأنا رئيس هيونداي للهندسة والإنشاء". ثم واصلت قائلاً: "كنت في اجتماع مهم مع أجنبي منذ الصباح أتفاوض من أجل المصالح الوطنية. لقد انتهت المفاوضات للتو، وسوف أكون شاكراً إذا تركتني أذهب إلى منزلي حتى أنال قسطاً من الراحة".

سألني الرجل: "كم يبعد منزلك؟ كم تستغرق من الوقت حتى تصل إلى هناك؟".

أجبته قائلاً: "أسكن في أبكوجونج، ومن ثم سوف يستغرق ذلك نحو خمس دقائق من هنا، وربما أقل".

قال الرجل: "اذهب إذن. ولكن إذا ألقى عليك القبض أي شخص آخر يجب ألا تقول لهم إنني سمحت لك بالمرور".

شكرته وذهبت إلى البيت لكي أنام تلك الليلة.

عندما يتعلق الأمر ببناء محطات الطاقة النووية، فإن امتلاك القدرات والخبرة الفعلية لها أهمية قصوى لأسباب تتعلق بالسلامة. وهكذا عندما بدأت شركة الطاقة الكهربائية الكورية عملية المناقصة لبناء المفاعلين النوويين 3 و4 في محطة يونجوانج، كان اختيار الشركة التي تملك الخبرة شيئاً حاسم الأهمية. وكان واضحاً لكل شخص أن هيونداي كانت المرشح الوحيد القادر على أن يتولى المشروع. وهكذا، فإن الوضع المثالي سيكون أن توقع الحكومة عقداً خاصاً مع هيونداي. إلا أن مشروعاً بمثل هذه الضخامة يتضمن كمية استثنائية من المال، وحتى يتم منع أي تهم بالمحاباة أو التزوير، فإن القانون يمنع الحكومة من الدخول في عقد خاص مع شركة.

علاوة على ذلك، لم تكن الحكومة راغبة في أن تعطي مثل هذا المشروع لهيونداي. وكان شونج قد دخل في خلاف آخر مع الحكومة في الشهر الماضي تناطح فيه الاثنان مرة أخرى على إدارة شركة "فار إيست بتروليوم" (Far East Petroleum). وقررت الحكومة أن تمارس نفوذها مما تسبب في صدع، واندلعت مسألة فوضوية أخرى بين الاثنين. وبعدها وقعت الحادثة النووية في محطة "ثري مايل آيلاند" الأمريكية (Three Mile Island). أثارت أخبار الحادثة المأساوية قلقاً في كل أنحاء العالم بشأن سلامة محطات الطاقة النووية. وقد سببت مشاهد الذوبان الجزئي لقلب المفاعل ذعراً واسع الانتشار. وتسببت صور النفايات المشعة وهي تُقذف إلى الخارج وتلوُّث البيئة في الكثير من الخوف وسط الناس. وبدأ الناشطون المناوئون للطاقة النووية يدعون إلى قفل كل المفاعلات النووية في العالم. وقد أثيرت أسئلة عن سلامة هذه المحطات. وفوراً بدأ إقصاء الشركات التي لم تكن لها خبرة سابقة في بناء المفاعلات النووية – بموجب القانون– من تشييد كل المشاريع المستقبلية. وبسبب معايير السلامة المرتفعة، كان على شركة بروان آند روت (Brown & Root- B&R) – وهي واحدة من شركات الإنشاءات القائدة في العالم– أن تتخلى عن مشروع لبناء محطة طاقة نووية كانت تنفذه في تكساس. لقد فشلت شركة بروان

آند روت في اجتياز اختبار جديد لمعايير السلامة أجرته مفوضية الرقابة النووية الأمريكية، واضطرت إلى أن تسلم المشروع إلى شركة بكتل (Bechtel)، وتحملت جراء ذلك خسائر تبلغ نحو مليار دولار أمريكي.

ومع المخاوف العامة المتصاعدة بشأن سلامة محطات الطاقة النووية، دخلت الحكومة الكورية في مأزق. كانت تعرف أن هيونداي هي الشركة الوحيدة القادرة على الوفاء بمعايير السلامة الجديدة. إلا أنها مع ذلك لم تكن ترغب في إعطاء المشروع لهيونداي. وهكذا فقد أُمرت شركة الطاقة الكهربائية الكورية بفتح باب المناقصة، مع إضافة متطلبات جديدة. وتم الإعلان عن المناقصة في الصحف. تم فحص المتقدمين للجولة الأولى، وكانت هيونداي الشركة الوحيدة التي اجتازت الفحص. وأعلنت شركة الطاقة الكهربائية الكورية عن جولة ثانية من المناقصة، ولم تتغير النتيجة.

ووفقاً للقانون، إذا اجتازت شركة الجولة الثانية من المناقصة، فتكون قد تأهلت للدخول في عقد خاص حصري. وخلال تلك الأيام كان يجب على كل شركة تفوز بمشروع طلبته الحكومة أن تقدم أموالاً سياسية؛ إلا أنه بسبب طبيعة هذا المشروع الخاص والاهتمام الشديد الذي ولّده في الوطن والخارج، لم يتوفر للسياسة مجال لكي تناور. وبالنسبة إلى أولئك الذين اعتادوا الحصول على مكافآت ضخمة كلما تم منح مشروع مثل هذا، فقد كان فوز هيونداي بالمناقصة كابوساً قد تحقق.

بعد أن تأكدتُ من أن مناقصتنا قد تأمنت، سافرت إلى سنغافورة. كان الغرض من رحلتي هو متابعة مشروعاتنا المتعددة في جنوب شرقي آسيا. وبينما كنت في الخارج حدث ما لا يمكن تصوره. اجتمع نائب رئيس الوزراء، ورئيس وكالة الاستخبارات المركزية الكورية، ومسؤولون رفيعو المستوى آخرون، وبدؤوا يزعمون أن مناقصة هيونداي كانت مليئة بالثغرات والمخالفات. وفيما بعد ذهب نائب رئيس الوزراء إلى مقر التلفزيون

الوطني ليعقد مؤتمراً صحفياً يعلن فيه إلغاء العقد قائلاً، إن الحكومة كانت تنوي إعادة فتح عملية المناقصة.

وبعد التحدث مع شونج في سنغافورة، وضعت سماعة الهاتف لحظة لأفكر في خطوتي التالية. كنت أعلم أن إلغاء زيارتي لتايلاند في اللحظة الأخيرة سوف يكون كسراً للبروتوكول، ومن ثم قررت المضي قدماً في خططي الأصلية. كنت أعلم أيضاً أن الحكومة لا تستطيع البدء في عملية مناقصة جديدة في يوم أو يومين. كانت الحكومة تحتاج إلى الكثير جداً من الوقت.

وصلت بانكوك في الثانية صباحاً، وبعد أن سجلت اسمي في استقبال الفندق ذهبت للنوم. أيقظني شونج في السادسة صباحاً قائلاً: "مازلت أعتقد أنه من الأفضل أن ترجع فوراً".

بعد أن استيقظت تماماً، وقلت له: "سيدي الرئيس علينا نحن الاثنان الإعداد لمعركة طويلة. عملي هنا يمكن الفراغ منه في يومين. وبعد أن أنهي كل شيء هنا سوف آخذ الطائرة عائداً. لا تقلق".

كان شونج مهتاجاً، "ماذا تقصد بلا تقلق؟".

شرحت له بهدوء، "فكر في الأمر. مشروع مثل هذا لا يمكن أن تقرر فيه حفنة من السياسيين. إن الحكومة ارتكبت خطأً كبيراً. لدينا فرصة جيدة إذا عرضنا عليهم حجة تقوم على صحة عقدنا. سوف أتحمل المسؤولية الكاملة".

بدا شونج مطمئناً بقدر ضئيل بما أنني كنت واثقاً جداً. "حسناً. لا أعرف فيما تفكر، ولكن عد إلى هنا بأسرع ما يمكنك". ووضع سماعة الهاتف.

بعد أن فرغت من عملي في تايلاند في يومين، عدت إلى الطائرة وتوجهت إلى سيول. وحالما هبطت الطائرة، ذهبت مباشرة إلى العمل. كان المساعدون قد أعدوا سلفاً سلسلة من الاجتماعات التي كنت قد طلبتها. أولاً، قابلت نائب رئيس الوزراء السيد شونج إن-يونج، وبعد ذلك رئيس الشركة الكورية للطاقة الكهربائية السيد بارك جونج-كي. وبعد ذلك ذهبت لمقابلة وزير الطاقة السيد شوي شانج-راك. أخبرتهم، إنه من قبيل الأشياء المحرجة والشائنة أن تقدّم الحكومة على إلغاء عقد لأسباب سياسية خالصة. وقد شددت بالنسبة إلى كل واحد منهم على أن هذا المشروع ينبغي ألا يتدخل فيه السياسيون، فقد كان فائق الأهمية. لم يتزحزح أي منهم عن موقفه. كانوا قد أصدروا تصريحاً بالفعل، ولم يكن أي منهم على استعداد للذهاب إلى الرئيس لكي يقول أي شيء بخلاف ذلك.

غير أن بارك جونج-كي غيَّر رأيه. لقد فهم أن بناء محطة طاقة نووية لم يكن مشروعاً عادياً، وكان يعرف جيداً أن هيونداي كانت الشركة الوحيدة القادرة على تنفيذ ذلك. وقرر أن يمضي في اتجاه معاكس للحكومة، ويحترم العقد الذي فازت به هيونداي.

كانت تلك خطوة شجاعة، وكان عليه أن يدفع ثمنها. نجحت إدارة الرئيس شون في فصل بارك، والذي كان الرجل الوحيد وسط أعلى مسؤولي الحكومة الذي تخرج من المدرسة الثانوية نفسها التي تخرج منها من الرئيس شون (وهذه رابطة تُعدّ قوية جداً في كوريا)، وكان أيضاً زميل الرئيس شون في الصف الأول في الأكاديمية العسكرية. كانت الحكومة فيما يبدو يائسة في اتخاذ مثل هذه الخطوة المتطرفة.

كان خليفة بارك في الشركة الكورية للطاقة الكهربائية رجلاً يدعى هان. وعندما قابلته قلت: "سيدي هان، لم تكن هنا عندما بدأت كل هذه الفوضى، وأنا واثق من أنك تستطيع النظر إلى هذا الأمر بطريقة موضوعية، ونأمل أن تفعل الشيء الصحيح". كان متشككاً في البداية في أنه لا توجد أي طريقة تمكنه من عكس ما كان قد قررته الحكومة

سلفاً. ولكنه وافق على النظر في الأمر. وقد أدرك فوراً أنه لا يوجد أي خطأ في فوز هيونداي بالعقد.

وعندما ذاع رأي الرئيس الجديد، تم حشر الحكومة في ركن. أخيراً، طلب وزير الطاقة اجتماعاً. وقتها كانت هيونداي تعد لمقاضاة رئيس الشركة الكورية للطاقة الكهربائية ووزير الطاقة. وتم الفراغ من كل الاستعدادات القانونية.

وفي الاجتماع، قال الوزير ببساطة: "السيد لي، آمل أن تعترف أنت وهيونداي بسلطة الدولة. حتى إذا كنت تعتقد أن ذلك غير منصف، فالدولة لا تستطيع أن تبطل قرارها. أود أن تدخل هيونداي الجولة الجديدة للمناقصة مع شركة دونج-آه التي لها أيضاً خبرة في بناء محطات الطاقة النووية".

كان الوزير ينتهك القواعد مرة أخرى، ولكنني قررت قبول اقتراحه. إن ما قاله الوزير عن احترام سلطة الدولة كان يعني إعطاء الحكومة فرصة لكي تحفظ كرامتها. وأخذت هذه الفرصة أيضاً لكي أقدم طلباً خاصاً بنا. "لا يمكننا القبول بمناقصة كلية. وبدلاً من ذلك نريد مناقصة مفصلة. وكما تعلم، فإن بناء محطة طاقة نووية أمر في غاية التعقيد".

كان السبب في أنني قدمت هذا الاقتراح، هو أن المناقصة المفصلة تتطلب مراجعة واسعة من قبل مجموعة من الخبراء. ومن دون الخبرة، فقد كان من المستحيل تقريباً أن تحسب شركة التقديرات الدقيقة لمشروع بموجب إجراءات المناقصة المفصلة. وإذا وافقت الحكومة على أن تكون المناقصة مفصلة، فقد كنت متأكداً من أننا سوف نفوز بالعقد.

كنت محقاً، فقد فازت هيونداي بالمناقصة لبناء الوحدتين 3 و 4 من محطة الطاقة النووية في يونجوانج. كان ذلك نصراً غريباً؛ الشركة نفسها تفوز بالمناقصة نفسها مرتين. وقد كان ذلك أيضاً مؤشراً على أول مرة في كوريا لا تضطر فيها شركة لتقديم أموال سياسية بعد فوزها بمشروع بنية تحتية بأمر الحكومة.

خلال الجمهورية السادسة عندما فاز حزب المعارضة بالأغلبية في البرلمان، جرت جلسات استماع خاصة بالشركة الكورية للطاقة الكهربائية، وخاصة فيما يتعلق بإجراءات المناقصة الخاصة بمشروع محطة الطاقة النووية في يونجوانج. تم استدعائي مع رئيس الشركة الكورية للطاقة الكهربائية السابق بارك جونج-كي كشاهدين للإدلاء بالشهادة في جلسات الاستماع. كان أعضاء البرلمان (الذي يسمى الجمعية الوطنية في كوريا) يشكّون في حصول أنشطة غير مشروعة خلال عملية المناقصة. وكانوا قد عقدوا العزم على إثبات أن الشركة الكورية للطاقة الكهربائية، بمساندة الحكومة، قد منحت المشروع المربح لشركة خاصة من اختيارها: هيونداي. وكانت الجمعية الوطنية قد شرعت في التخلص من أي بقايا للجمهورية الخامسة، وأصبحت هذه قضية رمزية لاجتثاث الفساد الذي كان سائداً جداً خلال الجمهورية الخامسة.

وقبل أن أقف على منصة الشهود، طُلب مني أداء القسم. وعند الفراغ من ذلك، سألت أعضاء الجمعية الوطنية إن كان بإمكاني أن أُمنح دقائق قليلة لكي أشرح تفاصيل صناعة محطات الطاقة النووية، وعملية المناقصة ذات العلاقة قبل أن أجيب عن الأسئلة. وافق الأعضاء. بدأت في التحدث عن صناعة محطات الطاقة النووية. استغرقت أولاً نحو عشر دقائق في عرض موجز لتاريخ خبرة هيونداي في بناء المفاعلات النووية. وشرحت كيف بدأنا أولاً كمقاول فرعي لشركة وستنجهاوس، وكيف أصبحنا لاحقاً الشركة الوحيدة في كوريا القادرة على بناء مفاعل نووي بنفسها. بعدها شرحت لهم كيف تختار الدول الأخرى الشركات. "ما يحدث في الدول الأخرى يتلخص في أنه عندما يذهب عقد تشييد محطة طاقة نووية كان خاضعاً للمناقصة المفتوحة إلى أقل عطاء، فإن البرلمان يجري تحقيقاً متقناً ويقوم بمراجعة لكي يرى إن كانت هناك أي مخالفات متضمنة أم لا. وكوريا هي العكس تماماً. وهذا يرجع إلى أن الكثيرين منا يفتقرون إلى فهم مدى الأهمية الحاسمة للسلامة عندما نتحدث عن المفاعلات النووية. وبعض الناس يساوون حتى بين بناء

المفاعلات النووية وتشييد طرق المرور السريع. ولكن إذا ظهرت تصدعات في طرق المرور السريع، فمن الممكن دائماً ترميمها. أما إذا انهار مفاعل نووي -مرة واحدة فقط- فإن النتيجة تكون كارثية؛ إذ لا يمكنك أن تدخل فقط وتصلح المفاعل. وبناءً على ذلك، يجب أن يتم التشديد على ما إذا كان المرشحون قادرين على بناء مفاعلات نووية آمنة وموثوقة، وليس ما إذا كانت عملية المناقصة مفتوحة للمنافسة". عندما فرغت من عرضي، طلبت توجيه الأسئلة، ولم تكن هناك أي أسئلة.

لم تكن المحن التي مررت بها في هيونداي مقصورة على العقود الملغاة، وعمليات الاستجواب بواسطة عملاء مشكوك فيهم في مواقع سرية، والمجادلة في مستقبل الاقتصاد الكوري مع ضباط الجيش. فقد كانت أيضاً تتعلق بمحاربة هذا المسخ الخفي المسمى البيروقراطية. وكان الأمر كثيراً ما يبدو وكأنني في داخل "قلعة" كافكا،* وأهوي في هاوية لا قاع لها حيث يتلاشى أي شيء. فقد كانت من خصائص النظام الاستبدادي والبيروقراطيين الذين تعهدوا بالولاء له التجاهل المطلق لحكم القانون، والافتقار إلى الفطرة السليمة، والضعف، والجبن. وكان هذا أمراً محزناً ومثيراً للقلق.

* إشارة إلى رواية القلعة للكاتب التشيكي فرانز كافكا، المنشورة عام 1926، وهي رواية تدور ثيمتها الرئيسية حول اغتراب الفرد ومعاناته من البيروقراطية وإحباطه المستمر من جراء مقاومة النظام. (المترجم)

الفصل الحادي عشر

تعلَّم العمل، تعلَّم الحياة

سوف يذكر نجاحاتي الآخرون؛ لست في حاجة إلى أن أذكِّر نفسي بها دائماً. إلا أنني يجب أن أتذكر دائماً حالات فشلي، لأنني إذا نسيتها فسوف أكررها لا محالة.

لم تكن الحكومة والبيروقراطية الجهتين الوحيدتين اللتين تفتقران إلى المسوِّغ والفطرة السليمة والمنطق. كانت هيونداي أيضاً لها الكثير من الأخطاء التي تحتاج إلى التصحيح، والتقاليد التي يصعب التخلص منها. وحالما أصحبتُ مسؤولاً تنفيذياً شرعت في تغيير هذه الأخطاء والتقاليد.

كان أحد تلك التقاليد الخاطئة يتمثل في منح المسؤول التنفيذي الكثير من الامتيازات، مثل السائق، والسكرتيرة، وأحياناً الطباخ. في سبعينيات القرن العشرين، قابلت مسؤولاً تنفيذياً أجنبياً بينما كنت أعمل في تايلاند. قال لي إنه اندهش عندما رأى المسؤولين التنفيذيين الكوريين يستمتعون بمثل هذه الامتيازات السخية. أحرجني ذلك، وعندما صرت مسؤولاً تنفيذياً، تخلصت من هذه التقاليد غير الضرورية. قيل للمسؤولين التنفيذيين إنهم يجب أن يقودوا سياراتهم بأنفسهم من العمل وإليه، وأن يستخدموا السائق فقط عندما يكونون في أعمال رسمية.

قمت أيضاً بتنسيق عملية كتابة التقارير بدرجة هائلة. وبما أن كوريا مجتمع هرمي التسلسل بشكل صارم، فقد كان على المذكرات في هيونداي أن تمضي في طريق طويل ومتعرج قبل أن تصل أخيراً إلى مسؤول تنفيذي أو إلى الرئيس. وتمثلت العواقب في أن

هذه العملية كانت توفر قليلاً من الحوافز للمعدّ الأصلي للمذكرة؛ إذ سيتم إبعاد الشخص الذي كتب مسودة المذكرة، بما أن المذكرة قد عُبث بها وتغيرت بتوقيعات الناس عليها. ومن ثم فقد نسقت العملية، بحيث أن الشخص الذي جاء بالفكرة يمكنه أن يشارك من البداية حتى النهاية، ويتحمل المسؤولية التامة وكذلك الشرف.

وتمثلت الممارسة الأخرى التي تبنيتها كمسؤول تنفيذي في الرد على كل المحادثات الهاتفية التي تأتي في ساعة متأخرة من الليل، بصرف النظر عن الوقت. وكان كثير من المسؤولين التنفيذيين يطلبون من موظفيهم أن يتصلوا بهم هاتفياً في "أي وقت"، ولكنهم نادراً ما يردون على الهاتف. وحتى إذا فعل أحدهم ذلك فسوف يبدو كالمتعب أو نصف النائم مما لا يشجع أي شخص على الاتصال به أبداً مرة أخرى في أثناء الليل. ولكنني أعتقد أن الوقت شيء جوهري، وخاصة بالنسبة إلى مسؤول تنفيذي مشارك في الأعمال الدولية. يجب اتخاذ قرارات حرجة بصرف النظر عن الوقت، فأحياناً يمكن أن تعني دقائق قليلة الفرق بين إبرام الصفقة والخسارة أمام خصمك. عندما يتصل أحدهم هاتفياً في المنزل في منتصف الليل أو في الصباح الباكر، فإنني أحرص على الرد عليه بصوت واضح حتى إذا كنت نائماً قبلها. وأصبحت خبيراً في هذا الأمر، وسرعان ما أصبح الناس يتعجبون مما إذا كنت أنام أصلاً! وبعد التحدث في الهاتف، أضع السماعة وأنام مرة أخرى. (وكانت هناك عادة أخرى تتمثل في تدوين ملاحظات خلال تلك المحادثات الهاتفية خشية أن أنسى ما قيل في نومي).

منذ الأيام التي كانت فيها أمي توقظني في الساعة الخامسة صباحاً كل صباح، فإنني لم أنم إلى ما بعد الخامسة صباحاً، سواء كنت في كوريا أو في الخارج. لم يكن الفرق يعني شيئاً بما أنني كنت لا أنام قط في أثناء سفراتي الجوية، وبمجرد وصولي إلى وجهتي كنت أذهب مباشرة إلى القاعة الرياضية أو إلى مباراة تنس ثم أمضي إلى عملي. وبعد ذلك أكون قد بلغت قمة الإرهاق في الليل ولا أجد صعوبة في النوم ثم الاستيقاظ في الخامسة صباحاً.

كثير من الناس يسألونني كيف أحافظ على لياقتي مع أنني أكون دائماً مشغولاً، فأجيبهم: أستطيع أن أفعل كل ذلك وأكثر لأنني مشغول جداً. وإذا توافر لي الكثير جداً من الوقت ما كنت لأحقق القدر نفسه من الإنجازات. لقد رأيت كثيراً من الموظفين الجدد في هيونداي الذين تميزوا في عملهم في البداية، ولكن بمجرد بلوغهم نقطة معينة فإنهم يذبلون ويسقطون. وكنت أتعجب لماذا يحدث ذلك لبعض الناس وليس للآخرين. وكان السبب هو أن الذين يستمرون في الأداء الجيد يستثمرون الوقت والطاقة في تعلم الأساسيات.

ونجد مثالاً جيداً في فرق الكرة الطائرة الكورية واليابانية. فدائماً ما تهزم فرق الكرة الطائرة من المدارس الثانوية الكورية نظراءها اليابانيين. ويرجع السبب في ذلك، إلى أن المدربين في كوريا يعلّمون الرياضيين من طلابهم حيل الفوز في المباراة. وفي المدارس الثانوية اليابانية يعلمونهم فقط المهارات الأساسية للكرة الطائرة. وعندما تتنافس المدارس الثانوية من البلدين، فمن الطبيعي أن يفوز الفريق الكوري. غير أن الوضع ينعكس كلية حالما يصل إلى المستوى الاحترافي. بما أن اللاعبين اليابانيين لا يحتاجون بعد ذلك إلى تعلم الأساسيات، فإنهم ينفقون الوقت في تعلم تقنيات جديدة وصعبة تحسّن بدرجة كبيرة مهاراتهم، بينما يظهر اللاعبون الكوريون البطء في تعلم مهارات جديدة بما أنهم لم يتقنوا الأساسيات.

على نحو مشابه، حالما يكون للشخص قاعدة قوية في الأساسيات، فإن هذا الشخص يكون قادراً على إضافة أساليب جديدة تسمح له بأن يصبح أفضل في ما يقوم به، وسيكون جيداً أيضاً في إدارة الوقت، وفي النهاية سوف يهيمن على عمله وليس العكس. كل شخص يمكن أن يكون مجداً في عمله، ولكن من الأثمن كثيراً جداً أن تكون ذكياً في عملك.

ولأنني تعلمت هذا الدرس في وقت مبكر، فقد كنت قادراً على أن أشغل نفسي وأعمل ما هو مهم حقيقة؛ مثل الاعتناء بأسرتي، والتحدث إلى زوجتي، والاستمتاع بالمتع

الكثيرة التي تقدمها الحياة. كان دائماً يتوفر لي وقت للعب التنس مرتين في الأسبوع، والتحدث إلى الأطفال حتى إذا كان ذلك للحظات قصيرة في الهاتف عندما أكون مسافراً، والاستماع إلى الموسيقى أو قراءة كتاب جيد. وتعلمت أيضاً من حالات فشلي ومن أخطائي. كنت دائماً أقول لنفسي: إنه من الأفضل نسيان الأشياء الجيدة وتذكر الأشياء السيئة. وهذا لأن نجاحاتي سوف يتذكرها الآخرون؛ ليس عليّ أن أُذكِّر نفسي دائماً بها. غير أنني يجب أن أتذكر دائماً حالات فشلي لأنني إذا نسيتها فسوف أكررها لا محالة.

من الناحية الثانية، كان الذين يهيمن عليهم العمل مشغولين دائماً، ولا يجدون وقتاً للمسائل المهمة الأخرى. وقد لاحظت أن مثل هؤلاء الموظفين كانوا أولئك الذي يشكون دائماً من عبء العمل ومن رؤسائهم، وكل شيء آخر كان خطأً في حياتهم. ونادراً ما كان هؤلاء الناس يلومون أنفسهم. وبالنسبة إلى مثل هؤلاء الناس فلن تكون أي وظيفة أو يكون أي رئيس شيئاً مرضياً. إن توقع الحصول على وظيفة أحلام مع رئيس عظيم شيء أبله وساذج. بالنسبة إليّ كانت الحياة دائماً تعني فعل أفضل ما لدي، والرضا بذلك مهما كانت الظروف. لم أوجه اللوم قط إلى والديّ كوني كنت فقيراً، ولم استخدم الفقر قط كعذر. ولم يعترني الحنق لأنني ولدت في دولة فقيرة. كان ذلك سبباً آخر لأن أعمل بجد في أي شيء أفعله، كنت أرى أن واجبي يتمثل في العمل بجد.

في نوفمبر 1977 شعرت بأنني متعب على نحو فوق العادة، وكنت على شفا الانهيار من الإرهاق. وعندما ذهبت إلى المستشفى لأعرف السبب، تم تشخيص حالتي على أنها التهاب الكبد الفيروسي نوع "ب". وبما أن حالتي صُنِّفت حرجة، فقد نصحني الطبيب بالتزام سرير المستشفى. لقد فوجئت بنتائج الاختبارات ولذلك وافقت. ولكنني سرعان ما ندمت على ذلك. كانت هيونداي تمر بواحدة من أصعب لحظاتها، وكانت تلك فترة حرجة يمكن أن تحدد مصير الشركة. كان يجب أن أعود إلى العمل.

وهكذا كنت أستيقظ كل يوم عند الخامسة صباحاً وأذهب مباشرة إلى العمل من المستشفى (كان اجتماع العاملين في السابعة صباحاً كل صباح، ومن ثم فقد كان من الضروري أن أكون في مكتبي عند السادسة صباحاً على الأقل لكي أراجع البرقيات والمذكرات من مكاتبنا في ما وراء البحار التي كانت تصل في الليل). وظل جدولي كما هو: سلسلة من الاجتماعات، وإعطاء التعليمات، وتناول الغداء مع الشركاء الأجانب، والمزيد من الاجتماعات في وقت متأخر من الليل. كنت أعود إلى المستشفى عند منتصف الليل. وبعد نحو أسبوع قرر طبيبي أنه من الأفضل أن أذهب إلى المنزل ويرسل الممرضة كل ليلة عند منتصف الليل لكي تفحصني وتعطيني الحقن الوريدية.

كانت عائلتي تعتقد أنني مرهق من العمل فقط، ولم يكن أي شخص في المكتب يدرك حالتي كذلك. ومع استمرار حالتي في التدهور، على أي حال، قررت أخيراً أن أزور الاختصاصي الأول في أمراض الكبد. أجرى الدكتور كيم جونج-ريونج فحصاً شاملاً، وأخبرني أن نتائج الفحص كانت في مستوى خطير، وكان التشخيص أنني مصاب بالتهاب الكبد المزمن. ووصل الحد الذي أصر معه على أن أوقف العمل فوراً حتى أتعافى. وقد حذرني من أن إرادة القوة وحدها لن تشفي هذا المرض. قلت له إنهم يحتاجون إليّ في العمل. وقلت له أيضاً إنني أفضّل أن أموت في العمل، بدلاً من أقضي بقية حياتي راقداً في المستشفى في محاولة لعلاج المرض. بعدها قال لي الدكتور كيم إنه لا يقبل بي كواحد من مرضاه. قلت له إن هذا شيء سيئ جداً، وعدت إلى العمل.

في الشهرين التاليين لم أستطع زيارة المستشفى لأنني كنت مشغولاً جداً. وأخيراً ذهبت إلى الدكتور كيم بعد شهرين، وقد وافق على رؤيتي، وبعد أن كشف عليّ قال لي: إن حالتي لم تصبح أكثر سوءاً. وسألني إذا كنت قد أمضيت وقتاً في الراحة. قلت له لا، ولكنني كنت أتقيد بنصيحته وأفعل أفضل ما عندي لكي أعتني جيداً بجسدي. شدد

الدكتور كيم على ألا أتناول أي قدر من الكحول. قلت لـه إنني سـوف أفعـل أفـضل مـا أستطيعه، ومن ثم متى ما كنت أسلي ضيفاً، أو عندما يخرج الناس للشراب، كنت أتظـاهر بأنني آخذ رشفة من البيرة، وفي غفلة من الجميع كنت أشرب ماء لكي أزيل أثرها.

غير أن حالتي كانت ما تزال خطيرة. كنت أجـد مـشقة في هـضم الطعـام. وكنـت أتناول الكثير من الحبوب بعد كـل وجبـة (وكنـت أقـول إنهـا فيتامينـات عنـدما يـسألني الناس). وكنت أذهب إلى الحمام كثيراً. وطوال الوقت كنـت أصـلي لله وأقـول لـه إننـي لا أستطيع أن أموت، فلم يحن الوقت بعد. كنت أعرف أن لدي الكثير لكي أفعله بحيـاتي. لم يكن الأمر ببساطة الرغبة في أن أعيش فترة أطول؛ كان يجب أن أعيش لكي أفعل مـا كـان ينبغي أن أفعله.

من حسن الحظ بدأت حالتي في التحسن. ذات مرة في عام 1988 تدهورت حالتي، ولكنني تعافيت سريعاً. أخيراً، عندما ذهبت لفحص دوري في عام 1990، نظر طبيبـي في نتائجي واندهش. قال لي إن فيروس التهاب الكبـد "ب" قـد اختفـى. قـال هـذا شيء لا يصدق، وأجرى مجموعة أخرى من الاختبارات، ولكن جاءت النتائج نفسها. لقـد طـور جسدي بمعجزة جسماً مضاداً للمرض (أكد طبيبي أن هذه حالة استثنائية).

قد يقول بعضهم إنني كنت مـستهتراً عنـدما خـاطرت بحيـاتي مـن أجـل العمـل، ولكنني واصلت العمل لأنه كان ما يزال عندي الكثير لأعمله في الحياة. إضافة إلى ذلـك، توخيت قدراً أكبر من الحذر لكي لا ينتشر المـرض. كنـت أخـضع لفحوصـات منتظمـة، وأتمرن كثيراً، وأخلد للراحة التامة متى ما استطعت، وتركت شرب الكحول كلية، وكنت أتناول طعاماً صحياً، وأتناول الفيتامينات. لم أُغرِ القَدَر أبداً. كـل مـا فعلتـه أننـي عـشت حياتي كما فعلت دائماً؛ العمل بذكاء، والعمل بجد، والشعور دائماً بالامتنان.

الفصل الثاني عشر

في رحاب العالم

كان شعبي يعمل ليل نهار في محاولة للتخلص من الفقر وتحقيق الازدهار في البلاد. نعم، أنا رجل أعمال، وأعمل من أجل بلادي. ولكن في دولة رأسمالية، فإن الشركات تلعب دوراً حاسماً، ونجاح الشركة هو نجاح للبلاد.

دخول العراق

كانت هيونداي قد أخذت تصبح سريعاً شركة عالمية، ولم تكن هناك سوق أو دولة بعيدة عن المنال. كنا نبحث باستمرار عن أسواق جديدة، وكان العراق واحداً من هذه الأسواق، وكان آنذاك يبرز سريعاً كدولة واعدة في المنطقة. غير أننا لم نستطع إيجاد طريقة لدخول العراق. وعندما أصبح صدام حسين رئيساً في عام 1979، أصبح الأمر أكثر صعوبة، بما أن الحكومة العراقية رفضت إصدار تأشيرات دخول لمواطني كوريا الجنوبية. كان صدام حسين قد قال ذات مرة، إنه معجب بعمق بالراحل كيم إيل-سونج،[21] "القائد العظيم" لكوريا الشمالية، ووالد كيم جونج-إيل، حاكم كوريا الشمالية.* كان للعراق دائماً علاقة حميمة مع كوريا الشمالية، وكان سراً شائعاً أن آلاف الكوريين الشماليين يوجدون في العراق تحت قناع المستشارين العسكريين، ومعلمي تايكواندو، ورجال أعمال. بالنسبة إلى كوريا الشمالية، كان العراق حليفاً مهماً، ولكوريا الشمالية قلة من الحلفاء. ومن ثم فقد استثمرت كوريا الشمالية بكثافة في تشجيع روابطها مع العراق، وتأكدت من ألا يقترب

* توفي كيم جونج-إيل في ديسمبر 2011، وخلفه في قيادة كوريا الشمالية ابنه كيم جونج-أون. (المترجم)

العراق كثيراً من كوريا الجنوبية. ونتيجة لذلك، كان العداء لكوريا الجنوبية والارتياب فيها منتشرَين على نطاق واسع في العراق.

على الرغم من ذلك، كان العراق سوقاً جذابة بالنسبة إلى هيونداي. ومع تشبع السوق السعودية، وبداية ظهور مشكلات الأعمال في المملكة العربية السعودية،[22] بدأت هيونداي في البحث عن أسواق أخرى في الشرق الأوسط. وكانت الحكومة العراقية الجديدة قد بدأت للتوّ في تنفيذ خطط طموحة لتطوير البلاد. وقد أعلنت عن نيتها في استثمار 45 مليار دولار أمريكي بين عامي 1976 و1980، و 75 مليار دولار أمريكي أخرى بين عامي 1980 و1985. ونتيجة لذلك، برز العراق سريعاً كثاني أكبر سوق في الشرق الأوسط بعد المملكة العربية السعودية. أما المشكلة فقد تمثلت في أننا لا نستطيع دخول العراق بسبب القيود على تأشيرات الدخول.

وجاء أول اختراق لنا في عام 1978. كان زميلي شون كاب-أون، الذي كان نائب الرئيس لعمليات ما وراء البحار، قد استطاع الفوز بمشروع بناء محطة معالجة مياه المجاري في البصرة، وهي ثاني أكبر مدينة في العراق. وكان السبب الوحيد في قدرته على الفوز بالعقد هو أن سعر المناقصة كان الأدنى. كانت محاولة يائسة، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لكي تستطيع هيونداي تحقيق اختراق في العراق. كنا مصممين على تحمل الخسائر المالية لكي نكسب منفذاً إلى هذه السوق الضخمة غير المستغلة.

في ذلك الوقت كنت رئيس العمليات الداخلية الكلية لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. إلا أن شونج طلب مني المساعدة في عمليات ما وراء البحار متى سمح الوقت. وهكذا عندما فازت هيونداي بالعقد العراقي، تأكدت من أن كل الاتفاقيات معدة بالنسبة إلى مهندسي وفنّيي الشركة المسافرين من العراق وإليه، بما في ذلك إجراءات تأمين سلامتهم. وكنا أيضاً في حاجة إلى أن نعمل في مشروعنا بطريقة مبتكرة. كنا في حاجة إلى

أن نكون مستعدين للصعوبات غير المتوقعة، ونحن نعمل في دولة ليس لدينا معها علاقات دبلوماسية، وحيث كانت عواطف الناس أقل من ودية.

وللتحقق من كل هذه الأشياء بنفسي، سافرت إلى الكويت ودخلت العراق براً. كنت رئيس الشركة التي فازت للتوّ بعقد في دولة لم يكن مسموحاً لي دخولها؛ فلم أُمنح تأشيرة دخول. أحسست بأنني مثل عميل سري في فيلم إثارة عن الجاسوسية. وقد استغرق الأمر مني عدة أيام لكي أصل إلى وجهتي في بغداد. وبعد التجول خلسة عبر شوارع بغداد بإرشاد من موظف محلي، استطعت أخيراً لقاء المسؤول العراقي المسؤول عن المشروع. كانت أول كلمات قالها لي: "بأي طريقة فازت شركة كورية جنوبية بالعقد"؟ لم يستطع تصديق ذلك. بدا محتاراً ومستمتعاً قليلاً. جلسنا وشربنا الشاي، وتحدثنا لبرهة. ووعدته بأن هيونداي سوف تفعل أفضل ما تستطيعه، وطلبت منه مساعدتنا. ووعد هو من جهته بأنه سوف يساعد، ولكن بدا اهتمامه مبهماً.

بقيت حاشيتنا في بغداد أياماً كثيرة في محاولة يائسة لإيجاد رابط ما -أي رابط- بالقيادة الثورية الجديدة. كنا نعرف أن ذلك شيء حاسم. وذات يوم عندما كنا جالسين في ملهى ليلي في بغداد يسمى "مولان روج"، ونفكر في خطوتنا التالية، جاءت سيدة آسيوية وسألت إن كان من الممكن أن تنضم إلينا. قدمتْ نفسها كمواطنة يابانية.

عندما نهضت لأذهب إلى الحمام، جاءت خلفي خفية. ونظرت حولها لكي تتأكد من أنه لا يوجد من يراقبنا، ثم سألتني هامسة، "جئت من كوريا الجنوبية، هل هذا صحيح"؟ كانت كورية في الحقيقة. كنت أعتقد أننا أول كوريين جنوبيين تطأ أقدامهم تراب العراق بعد الثورة، ولكن هزمتنا هذه المرأة التي تبدو نحيلة. اتضح أنها جاءت إلى العراق بعد أن سمعت أنها يمكن أن تجني أموالاً هنا. تزوجت من أجنبي (زواج مصلحة) وجاءت إلى العراق. قالت لي: إنه إذا علمت السلطات بأنها كورية جنوبية فسوف تُبعد فوراً. ثم سألتني بعدها، "ما الذي أتى بك إلى العراق"؟

أدهشني تهور المرأة وأُعجبت بجسارتها. كان بقاؤها في بلد مسلم مر بثورة للتو يعني كثيراً من المخاطرة. وكنت أنا هناك: رئيس أكبر شركة إنشاءات في كوريا تسألني امرأة كورية عما أفعله في بغداد.

بعد أيام قليلة جاءت أول فرصة لنا. اقترح مساعد محلي أن نقابل أمين العاصمة، بغداد، والذي كان اسمه عبدالوهاب.* اتضح أن عبدالوهاب لديه علاقة وثيقة بصدام حسين. فعندما كان صدام يخطط لثورته، كان هو ورفاقه يجتمعون في منزل عبدالوهاب الذي كان ذلك في الوقت يدرس في كلية القانون.

وقد علمنا بأمر عبدالوهاب بعد أن منحْنا مساعدنا المحلي إكرامية. إلى هذا الحد كنا نجهل العراق وقيادته الجديدة. لم تكن لدينا استخبارات موثوقة. وكل المعلومات التي استطعنا جمعها جاءت من السفارة الأمريكية في سيول، ولكنها كانت المعلومات ذاتها التي تستطيع أن تجدها في أي كتيب رحلات عادي.

وكما توقعنا، كان من المستحيل تقريباً تحديد موعد مع أمين العاصمة. تقدمنا بطلبات متكررة، ولكنها رُفضت كلها. اتصلت بالمترجم الفوري الذي كان يعمل في مبنى الأمانة وتوسلت إليه. "أرجو أن تنقل إلى أمين العاصمة رغبتي المخلصة في مقابلته مرة واحدة فقط. أرجو أن تقول له ألا يعتبرني رجل أعمال من كوريا الجنوبية، ولكن فقط رجلاً من الشرق الأقصى يرغب في مقابلة ثوري عراقي شاب".

كان العراق لا يشبه أي دولة شرق أوسطية أخرى، بما أنه لم يكن يستخدم الوسطاء أو الوكلاء عندما يمنح العقود للشركات. وبناءً على ذلك، كان العراق دولة نظيفة نسبياً،

---

* في الغالب، هو عبدالوهاب محمد لطيف، الذي كان وقتها يشغل منصب أمين العاصمة، بغداد، وعلى الرغم من أن صدام حسين كرمه بمنحه وسام الجمهورية، إلا أنه طرده بعد ذلك من المنصب، ثم أعدمه في العام 1986. (المترجم)

حيث لا تدفع رسوماً مقررة أو رشىً رسمية لأي شخص. وهكذا فقد تخيلت أن الطريقة الوحيدة لكي أقابل مسؤولاً من المستوى الرفيع هي مناشدة الجانب الأكثر ليناً في شخصيته. كنت أعلم أن الثوريين يعتزون بأنهم صادقون، ونظيفون، وفوق الفساد.

كان تخميني صحيحاً، فقد مُنحت أخيراً مقابلة مع أمين العاصمة، عبدالوهاب، ولكن لمدة عشر دقائق فقط.

دخلت مكتبه. كان بسيطاً ومتواضعاً. وعلى الرغم من أن أمين العاصمة كان مدنياً، فقد كان يرتدي ما بدا أنه زي عسكري، كان هناك أيضاً مسدس مشدود إلى وسطه. شكرته على منحي الوقت وقلت: "يبدو أنك ملتزم تماماً بالثورة، شخص كرس حياته لجعل الحياة أفضل لشعبه. أنا معجب بذلك. وأعتقد أنها نعمة أن تكون قادراً على أن تفعل ذلك لبلادك".

علق عبدالوهاب ببساطة قائلاً: "نعم". ثم استمر قائلاً، "أنام فقط ثلاث ساعات في اليوم، وذلك لأننا مصممون على أن نجعل هذا البلد مكاناً أفضل؛ ومن ثم لا نجد وقتاً للنوم. في الحقيقة، أنا الآن أقسّم جدولي المزدحم لكي أقابلك".

أجبت، "شكراً لك. أنا أيضاً لا أنام أكثر من أربع ساعات في اليوم. أعتقد أن بيننا وجوه شبه أكثر مما تعتقد".

نظر عبدالوهاب إليّ وقد ارتسمت الدهشة على عينيه، "قلتَ لي إنك رجل أعمال. لماذا تنام أربع ساعات فقط في اليوم؟".

وقتها كانت العشر دقائق التي مُنحت لي قد انقضت، ولكنني واصلت في إثارة اهتمامه: "كانت بلادي مدقعة الفقر عندما ولدت، وحتى اليوم هناك فقر. كان قومي

يعملون ليل نهار في محاولة للتخلص من الفقر، والعمل على تحقيق الازدهار في بلدنا. ولكن في دولة رأسمالية، فإن الشركات تلعب دوراً حاسماً، ونجاح الشركة هو نجاح للبلاد".

واصلت الحديث: "لقد ولدت في أسرة فقيرة جداً. كان يجب علينا أن نعمل بجد، وقد ظللت أعمل منذ كنت ولداً صغيراً. وبالنسبة إليّ فقد كان العمل دائماً جزءاً من حياتي. وهذا هو السبب في أنني هنا في العراق. أعرف أنني من الممكن أن أكون مفيداً لكم، وأيضاً لشركتي وبلادي. لقد فزنا سلفاً بعقد، ولكن لأن هناك الكثير من القيود، فإننا نواجه ظروفاً شاقة. وأردت أن أقول لك إننا نختلف عن الآخرين. فنحن الكوريين عُرفنا بالكد، وبأننا نعمل بجد مفرط. كلانا يحاول أن يجعل بلده تزدهر". استمع عبدالوهاب بعناية، تابعت القول: "وقد عملت في الكثير من دول الشرق الأوسط الأخرى، ولكنني لم أرَ أي دولة تخلو من الفساد وتتحلى بالنظافة كدولتكم. وهذا سبب آخر في أنني أرغب في العمل هنا".

عندما فرغت من حديثي، خلع أمين العاصمة عبدالوهاب مسدسه من وسطه وجلس بارتياح في مقعده. لاحقاً قال لي إنه كان يحذر الكوريين الجنوبيين لأنه كان يعلم مدى قرب كوريا الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية، وهي دولة يصنفها إمبريالية. بعد أن استمع إليّ، بدأ يصارحني ببطء، وشرع في الحديث عن موضوعات مختلفة. تحدث عن رغبته في تثوير وطنه؛ تحدثت أنا عن تجربتنا الخاصة في التنمية الاقتصادية والعمل الذي قمت به في الوطن والخارج. وقد أظهر اهتماماً شديداً عندما تحدثت عن مشاريعنا في ما وراء البحار التي عملت فيها، وما خططت هيونداي لعمله في العراق. وتحدثنا أيضاً عن تاريخ العراق وكوريا وكيف كانا متشابهين جداً. تحدث كلانا بشغف عن وطنه. وتحدثنا حتى عن العائلات.

وفوراً أمر أمين العاصمة مساعده بتأجيل كل اجتماعاته، وأن يتأكد من أننا لا نتعرض للإزعاج. جاء المزيد من الشاي، وواصلنا الحديث. بعد ساعتين، نهضت أخيراً لكي أغادر المكتب. ولكن قبل مغادرتي، سألته إذا كان مقبولاً أن أترك هدية صغيرة كنت قد جلبتها له. سألني ما هي الهدية، وعندما أخبرته أنني تركتها مع مساعده، طلب من مساعده أن يحضرها. كانت نموذجاً "لسفينة السلحفاة" (turtle ship) التي بناها أول مرة يي سون-شين، أشهر أميرال كوري خلال القرن السادس عشر.[23] أخبرته أن السفينة الحربية ترمز إلى روح الشعب الكوري التي لا تنكسر. "سيكون شيئاً مشرفاً أن تعرض هذه في مكتبك". قال عبدالوهاب إن هذا سوف يسعده. وأخبرني أيضاً أن آتي لمقابلته في المرة التالية التي أزور فيها بغداد.

على الرغم من أن اجتماعي بأمين العاصمة عبدالوهاب كان مثمراً أكثر مما توقعت، فقد بقيت المشكلات. عدت إلى كوريا وأول ما فعلت كان أن توليت أمر توفير تأشيرات الدخول لمهندسينا. إن اجتماعي مع عبدالوهاب لم يجعل كل المشكلات تختفي. وبما أن كوريا لم يكن لها علاقات دبلوماسية مع العراق، فقد كان على عمالنا أن يذهبوا عبر دولة الكويت، حيث ينتظرون تأشيراتهم لأسابيع. وكانت التأشيرات تُمنح على أساس فردي، ومن ثم فلم تكن هناك أي وسيلة لتخطيط دخولهم معاً. وقد يسرِّع وجود قنصل عام كوري في العراق العملية كثيراً جداً، ولكن عندما اتصلت بوزارة خارجيتنا، أجابوا بأن العلاقة بين كوريا والعراق لم تكن وثيقة بما يكفي لتبرير تأسيس قنصلية عامة.

عدت إلى بغداد وطلبت اجتماعاً مع أمين العاصمة عبدالوهاب. طلب مني أن أقابله في نادي الصيد عند الظهر. كان نادي الصيد نادياً حصرياً للنخبة العليا في البلد. وكان الأعضاء في الغالب من المسؤولين في مستوى مجلس الوزراء الذين لهم روابط وثيقة مع القيادة. وحالما جلسنا، سألني عن الوضع في كوريا. وبعد طلب الغداء، سألني أسئلة

كثيرة عن نموذجنا في التنمية الاقتصادية. ثم قال فجأة، "كما تعرف، للعراق روابط وثيقة مع كوريا الشمالية. وأقترح أن تكون حذراً عندما تقوم بالأعمال هنا. أنا متأكد من أنك سوف تواجه الكثير من المتاعب".

هذا ما كنت آمل فيه؛ أن تحين فرصة لكي أثير بلطف موضوع التأشيرات. قلت "نعم، إننا نمر بكثير من الصعوبات. ولكن الشيء الأكثر إثارة للقلق، هو أن جدول دولتكم متأخر عن التواريخ المحددة. هذا هو ما يقلقني بقدر أكبر من المتاعب التي نمر بها. أنا رئيس هيونداي للهندسة والإنشاء، ولكن استغرقت أربعة أيام لكي أصل إلى بغداد. أربعة أيام! تخيل كم من الوقت يستغرقه الموظفون لكي يدخلوا. على المهندسين والفنيين الانتظار لأسابيع. لدينا المئات منهم يجلسون طوال اليوم في انتظار الدخول. وهكذا فإننا نمر بوقت عصيب لإنهاء المشروع. يجب عمل شيء، سيدي أمين العاصمة".

سألني: "ماذا تقترح"؟

"أولاً، سيكون شيئاً عظيماً أن يمنحنا العراق تأشيرة جماعية، هذا عادة ما تفعله الدول الأخرى أيضاً".

أجاب عبدالوهاب، "اعتبر أن الأمر قد نُفذ! فقط أعطني الأوراق اللازمة للتأشيرة الجماعية". عندما انتهينا من الغداء وكنا على وشك الوداع، احتضنني عبدالوهاب بقوة. "لي، أنا سعيد بأننا أصبحنا صديقين جيدين! نحن مثل الإخوة، يا صديقي. لا، بل نحن أشقاء"!

كان عبدالوهاب على دراية بالأدب ومهتماً كثيراً بالفنون. كان كثيراً ما يقتبس من الكتب القديمة، ويثير إعجابي بمعرفته الواسعة بفلسفات الشرق والغرب. كان بالطبع رجلاً مشاركاً بعمق في السياسة، ولكنني لاحظت جانباً أكثر ليناً فيه. كان هذا هو الجانب الذي جعل منه لاعباً رئيساً في الثورة؛ الثورة التي كانت يؤمن بها مخلصاً، ويعمل بجد من أجلها.

وفّى عبدالوهاب بوعده. في اليوم التالي اتصل هاتفياً ليقول لي بأدب إن وزارة الخارجية العراقية سوف تصدر تأشيرة جماعية للعمال كخدمة خاصة. وكانت هذه إشارة لحسن النية، وانعكاساً لمكانته في الحكومة الثورية. وكنت ممتناً له، وكذلك معجباً جداً به.

بعد ذلك بشهر ذهبت إلى العراق في زيارتي الثالثة. وهذه المرة دعوت عبدالوهاب للغداء. وقلت له، إنني يجب أن أرد جميله بما أنه قد دعاني إلى وجبة فاخرة وحل لي مشكلة مزعجة. وقد تأكدت من حجز مقعدين في واحد من أفضل المطاعم في بغداد. قال، إن اثنين من أقرب أصدقائه سوف يأتيان معه. كان أحدهما وزير الإسكان والتعمير، والآخر وزير الصناعة، وكلاهما رجل قوي، وكانا أيضاً رفيقي عبدالوهاب الثوريين. وعلى نحو خاص، كان يُعتقد على نطاق واسع أن وزير الصناعة واحد من أقوى الرجال في الحكومة.

قدّمني عبدالوهاب إليهما، وجلسنا كلنا وطلبنا وجبتنا. قال عبدالوهاب، "هذان الرجلان مثل شقيقيّ يا لي ميونج-باك. فإذا كنت ترغب في مواصلة الأعمال في العراق، فسوف تحتاج إلى مساعدتهما، صدقني". كان وزير الإسكان والتعمير الرجل المسؤول عن الإشراف على مشروعنا. كنت أعرف أنه سوف يكون من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، ترتيب اجتماع معه من دون مساعدة عبدالوهاب.

شعرت بالارتياح عندما بدا أن الرجلين قد شعرا بالارتياح بعد لحظة. كان وزير الصناعة مهتماً جداً عندما أخبرته عن تجربة هيونداي في بناء محطات الطاقة. وقريباً جداً أصبحنا جميعاً أصدقاء. كانت السرعة التي أصبحنا بها أصدقاء مقربين جداً مدهشة. اشتهر العراقيون بأنهم شعب فخور بشكل شرس. تاريخياً، كان العراق دائماً قوة كبرى في المنطقة، وكان العراقيون شديدي الافتخار بهذه الحقيقة. ولهم أيضاً جانب يحترم التنوع، ولهم ولع بالفنون والثقافة. كانوا يثمّنون الصداقة والشرف فوق كل شيء آخر. وهذا جعل من السهل بالنسبة إلى أي شخص أن يصبح صديقاً مقرباً ويظل صديقاً لمدة طويلة.

عندما انتهى الغداء، ودَّعنا الوزيران. وقد وعدانا بأن نلتقي مرة أخرى في المستقبل القريب. بقينا أنا وعبدالوهاب لكي نتحدث أكثر. وعندما أصبحنا وحدنا، ذكرت بإيجاز فكرة فتح قنصلية عامة في بغداد، إلا أنني لاحظت أن عبدالوهاب صار عصبياً، فغيرت الموضوع سريعاً.

بعد شهر من ذلك عندما زرت بغداد للمرة الرابعة، اتصل بي بعض الأصدقاء العراقيين بمجرد نزولي في الفندق. كانوا يعرفون سلفاً بأمر زيارتي من مصادرهم في بغداد. اتصل وزير الصناعة وطلب مني أن أنضم إليه في العشاء. قبلت عرضه بامتنان. وعندما كنت أستعد للخروج تلقيت محادثة هاتفية من وزير الإسكان الذي دعاني للعشاء أيضاً. وعندنا أخبرته بأن لدي سلفاً موعداً خاب رجاؤه.

دعاني وزير الصناعة إلى مطعم يقع على شاطئ نهر دجلة. كان المبنى قد شيّد قبل أكثر من 400 سنة. وكان يتيح رؤية مشاهد من النهر المهيب في الأسفل. عندما وصلنا حيّاني أمين العاصمة عبدالوهاب، ووزير الإسكان و"صديق" آخر لم أكن أعرفه. شرحوا لي أنهم جميعاً قرروا أن يأتوا ذلك المساء للترحيب بي. شكرتهم على بادرتهم الطيبة. اتضح أن صديقهم هو وزير الصناعات الثقيلة والموارد المعدنية.

شرح لي وزير الصناعة كيف أنه قد أُعجب بي عندما حدثته عن عمل هيونداي في بناء محطات الطاقة. وقد اعتقد وقتها أنني يجب أن أتعرف على وزير الصناعات الثقيلة والموارد المعدنية بما أن محطات الطاقة تندرج ضمن اختصاص وزارته. وأبديت له الامتنان.

استمتعنا جميعاً بالليلة. وكان شرابنا في تلك الليلة شبيهاً بالشراب الكوري سوجو (soju)، وحتى الاسم كان صوته مماثلاً. قد تطرقنا إلى الكثير جداً في هذا الأمر. واندهشنا أيضاً عندما علمنا أن الكثير من كلماتنا متشابهة في الصوت. فعلى سبيل المثال، الكلمتان

الكوريتـان لـــ "أب" (آيبـي ae-bi) و"أم" (آيمـي ae-mi) تنطقـان بالطريقـة نفـسها في العربية. ولم يكن ذلك مدهشاً كلية إذا أخذنا في الاعتبار أن السجلات التاريخية منذ القـرن الخامس قبل الميلاد، عندما كانت سلالة شيلا (Shilla) القديمة تحكم كوريا، تـذكر تجـاراً من الجزيرة العربية وهم يأتون إلى كوريا بالبحر. جلب التجار العرب معهم الثقافة الشرق الأوسطية. وكانت كوريا والعراق على النهايتين المتقابلتين من طريق الحرير.

وطوال الليل تحدثنا جميعاً عن مدى تقارب بلـدينا في كثـير مـن الوجـوه. وتحـدث أحدهم أيضاً بشغف عن رغبة العراق الجديدة في مشاركة كوريا على مستوى أعمق. وقـد أشار إلى الكيفية التي يعمل بها العراق مع دول مثل: اليابان، وألمانيـا، وفرنـسا، والمملكـة المتحدة، ولكن كيف أن أي واحدة من هذه الدول لم تعامل العراق كشريك مساوٍ. ومضى ليقول كيف أنه يأمل أن تستطيع دولتا العراق وكوريا العمل بطريقة أكثر قرباً معاً.

كان القادة الثوريون للعراق ملتزمين بعمق في البدايـة؛ كـانوا عـازمين عـلى تحويـل بلادهم، وكانوا يبحثون عن شركاء جدد يمكـنهم الوثـوق بهـم. وحـدث أننـي كنـت في المكان الصحيح والوقت الصحيح، مما خلق فرصة ذهبية لهيونداي.

وسرعان ما فازت هيونداي بعقود في العراق. وقـد اسـتطاعت هيونـداي أن تهـزم اليابان، وتفوز بمشروع بناء محطة الطاقة الحرارية في منطقة المسيّب، والـذي تبلـغ تكلفتـه 720 مليون دولار أمريكي على أساس نظام تسليم المفتاح. ولاحقاً فازت هيونـداي أيـضاً بمشروع الإسكان الذي تبلغ قيمته 820 مليون دولار الذي ينبغي إكماله في الفلوجـة. أمـا بالنسبة إلى مشروع محطة الطاقة، فقد كان العراقيون يعرفون أن شركتنا غير قادرة فنياً عـلى إنجاز المحطة على أساس نظام تسليم المفتاح. وعلى الـرغم مـن ذلـك، منحنـا العراقيـون المشروع، ونصحونا حتـى باسـتخدام التقنيـات اليابانيـة واسـتيراد المـواد مـن اليابـان إذا اقتضت الضرورة. كان السبب في ذلـك ثنائيـاً: أرادوا أن يقولـوا للـدول المتقدمـة إنهـم لم يعودوا العراق "القديم"، وإنهم يريدون حماية مصالحهم الوطنية.

بدأت "غزوتنا" للعراق في التسارع. واستمرت صداقتي مع أمين العاصمة عبدالوهاب والآخرين. والفضل يرجع إلى عبدالوهاب في أنني استطعت أن التقي الرجل المسؤول عن السياسات الاقتصادية في العراق، والذي اشتُهر بأنه الشخص الذي يدير الأعمال اليومية. كان للعراق مجلس وزرائه الخاص، ولكن بخلاف ذلك، فقد كان مجلس الثورة يملي ويتخذ معظم القرارات الرئيسية. كان صدام حسين رئيس المجلس، ولكن كان هذا الرجل هو الذي يديره.

أخذني عبدالوهاب إلى قصر كان الرجل ينتظرني فيه. كانت أطقم التلفزيون حاضرة أيضاً، وتم بث الصورة التي نتصافح فيها في أخبار المساء في بغداد. وبعد تبادل التحية جلسنا وقدم لنا الشاي.

عندما كنا في طريقنا، سألت عبدالوهاب عن الذي ينبغي أن أقوله للرجل. كان عبدالوهاب واعياً، واقترح إثارة قضية إقامة علاقات دبلوماسية.

قال لي الرجل، إن تلك كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها بأجنبي مسؤول عن الإنشاءات. وأضاف أنه كان قد سمع كثيراً عني من زملائه. وشكرني وتمنى لي حظاً سعيداً. أومأت وقلت له إنني سوف أفعل أفضل ما في وسعي. بعدها قلت له بلطف، إن هناك شيئاً واحداً كنت آمل فيه. سألني، "وما هذا"؟ استطردت وشرحت صعوبة الاستمرار والانتهاء من مشروع التشييد بسبب الكثير من القيود. وبمجرد نطقي لهذه الكلمات، فهم الرجل مقصدي، ورأيت وجهه يتحول إلى التجهم.

قبل وقت قصير خلال مراسم الاحتفال بثورة العراق، جاء إلى العراق وفد كبير من كوريا الشمالية يرأسه نائب رئيس الوزراء بارك سونج-شول. ويقال إن الكوريين الشماليين احتجوا بقوة على سماح العراقيين لشركة كورية جنوبية بالعمل في العراق. هدَّأ

العراقيون الكوريين الشماليين بأن قالوا لهم، إن علاقة العراق بهيونداي كانت تخص بشكل صارم الأعمال، وأن هيونداي تقوم بما لا تستطيع كوريا الشمالية القيام به. "مرحباً بكم دائماً لكي تقوموا بما تقوم به هيونداي، أي إذا كنتم تستطيعون ذلك. نحن نعمل فقط مع الكوريين الجنوبيين. مازالت علاقتنا معكم هي العلاقة نفسها، وإذن لا تقلقوا". لم يعجب ذلك الكوريين الشماليين، ولكن لم يكن عندهم ما يقولونه. ومع ذلك فقد دخل العراقيون في ورطة.

قلت للرجل إنني لا أطلب إجراءً فورياً، ولكنني أطلب على الأقل النظر في المسألة. أجاب: "سوف أفكر في المسألة بعناية". لم تكن الإجابة سلبية أو إيجابية، ومن ثم فقد رأيت أملاً. في الأعمال والدبلوماسية من المهم أن تندفع في طريقك عندما ترى أصغر ثغرة حتى.

في وقت لاحق، عندما كنت وحدي مع عبدالوهاب سألني عن الذي سوف تقدمه هيونداي مقابل ذلك. كان يحتاج إلى شيء يعود به إلى أهل الرأي. عرضت عليه سيارات هيونداي. اعتقدت أن الأمر سيكون من قبيل الدعاية الجيدة والعرض لصداقتنا الجديدة إذا جالت سيارات هيونداي في شوارع بغداد. غير أن عبدالوهاب قال، "لدينا سلفاً ما يكفي من السيارات. ماذا عن سيارات الشحن الصغيرة"؟

قلت "بالطبع"! (على الرغم من أن هيونداي لم تكن قد صنعت سيارات شحن صغيرة وقتها).

قال عبدالوهاب: "ممتاز! إذن أرسل لنا سيارات الشحن الصغيرة، وسوف أرى ما يمكنني فعله بشأن تأسيس قنصلية عامة".

قلت له: "شكراً لك يا أخي. أؤكد لك أننا سوف نفعل أفضل ما في وسعنا لمساعدتكم في إعادة بناء العراق. ثق بي".

عدت وأبلغت مكتب الرئيس في سيول باجتماعاتي. كنت قلقاً من أن حكومتنا سوف تكون حذرة بشكل مفرط في إقامة علاقات دبلوماسية مع العراق بسبب علاقتنا مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم فقد شددت على أن العراقيين قد أعطوني إشارات إيجابية فيما يتعلق بإقامة علاقات دبلوماسية كاملة لكي يجعلوا الصفقة أكثر جاذبية. انتظرت بعدها أسبوعاً قبل أن يسمح لي مكتب الرئيس بمنح سيارات الشحن الصغيرة.

بمجرد حصولنا على الإذن لتلبية الطلب، أقمنا خط تجميع صناعياً منفصلاً في المصنع الذي يصنع سيارة بوني (Pony)، وصنعنا سيارات شحن صغيرة. وأنتج المصنع سيارات شحن صغيرة بالعمل وقتاً إضافياً. وحملنا سيارات الشحن الصغيرة في شحنة خاصة إلى دولة الكويت. وكانت مراسم منح سيارات الشحن الصغيرة في العراق منمقة إلى درجة أننا جميعاً اعتقدنا بأن لنا سلفاً علاقات دبلوماسية.

لدى عودتي بعد حضور المراسم، زارني عميل رفيع المكانة في وكالة الاستخبارات المركزية الكورية. وشرح أن وكالته كانت تعمل من وراء الكواليس لكي تقيم روابط مع العراق عبر سفارتنا في دولة الكويت. وتفاخر بأن وكالته قد حققت الكثير من التقدم، وحذر من أن هذه مسألة يجب أن يتم التعامل فيها فيما بين الحكومات. ونصحني بألا أشوش على المفاوضات. باختصار، أراد ألا أتدخل.

خلال ثمانينيات القرن العشرين، كان افتتاح روابط دبلوماسية جديدة يعدّ إنجازاً هائلاً. وبداية بإدارة الرئيس بارك شونج-هي كانت هناك منافسة بين الكوريتين فيما يتعلق بعدد السفارات التي لكل واحدة في الخارج. كان سباقاً وسط شتى الوكالات داخل كوريا لكسب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء. وكثيراً ما كان هذا السباق يغدو هزلياً كما في هذه الحالة، حيث حاولت كل وكالة باستماتة أن تدّعي النصر.

فهمت طبيعة البيروقراطية وتركتها تحظى بالأضواء، ففي النهاية كانت تحتاج إلى أن تظهر بمظهر جيد أمام رؤسائها. أما بالنسبة إليّ، فإن أمر من يحظى بالإطراء لم يكن يعني شيئاً طالما استطاعت هيونداي أن تقوم بمزيد من الأعمال في العراق مع قيود أقل. قلت للعميل الذي جاء من وكالة الاستخبارات المركزية الكورية: إنني لا أنوي إطلاقاً أن أدّعي الفضل أو حتى أقتسم أي جزء منه. بعد أيام قليلة، اتصل بي مسؤول رفيع المستوى من وزارة الخارجية، وقال بشكل أساسي الشيء نفسه. ابتسمت بمرارة وأنا أرى هؤلاء الناس فجأة يهتمون بالعراق. وبقدر ما أتذكر، لم يتصل بي قط أو يساعدني أي منهم عندما ذهبت إلى العراق. وحتى فيما بعد لم يكن لديهم اهتمام بأنشطتي حتى برزت قضية العلاقات الدبلوماسية.

في النهاية، سُمح لكوريا بافتتاح قنصلية عامة في العراق. دعوت عبدالوهاب ووزير الصناعة إلى كوريا. كنت سعيداً بأن أجد فرصة لكي أرد لهما جميل صداقتهما وضيافتهما. زارا مواقع عدة في كوريا، وتأكدت من أن أعرض عليهما مدى ما استطاعت كوريا تحقيقه. وقد تأثرا بتقدمنا بشكل عميق، وعشقا ثقافتنا، وعشقا المطبخ الكوري أكثر من أي شيء، وقد تأكدت أنهما كانا يُطعَمان جيداً في كل وجبة.

بعد افتتاح القنصلية العامة، استطاعت الكثير من الشركات الكورية الذهاب إلى العراق، ودخلت صناعة التشييد في ازدهارها الثاني في الشرق الأوسط. ومن سوء الطالع في عام 1979، فقط بعد سنة من إقامة قنصليتنا العامة، اندلعت الثورة الإيرانية. أُطيح بالملكية الإيرانية، وولدت جمهورية إسلامية جديدة تحت حكم آية الله الخميني. جاءت حكومة جديدة في إيران، وفي السنة التالية بدأت الحرب العراقية-الإيرانية. لم يكن أمامنا من خيار سوى مغادرة العراق مع اشتداد الحرب. ومرة أخرى أُجبرت شركاتنا الكورية على البحث عن أسواق جديدة.

الهجرة الجماعية إلى بغداد

أحدثت الحرب العراقية-الإيرانية تغيرات غير متوقعة في وجود هيونداي في العراق، وكذلك في مصيري الشخصي. ثمة قول مأثور: "قد تكسب المعركة، ولكنك قد تخسر الحرب". كنت منتصراً في سعيي إلى فتح السوق العراقية، ولكنني خسرت الحرب فيما بعد، نتيجة لحرب حقيقة.

كانت خسارة هيونداي في العراق ضربة شديدة؛ إذ كان انسحابنا المفاجئ إجهاداً هائلاً لوضعنا المالي. بدأت الشائعات تدور عن أن علاقتي بشونج ووضعي في هيونداي كانا مهتزين بسبب العراق. وكان بعضهم يتكهن بأنني سوف أنتقل قريباً إلى شركة أخرى، أو أن شونج سوف يفصلني. وتنبأ بعضهم بأنني سوف أختار الرحيل بكرامة وأترك الأعمال، وأصبح سياسياً؛ وكان آخرون يقولون إنه قد عُرض عليّ منصب وزاري وأنني سوف أقبل به في أي وقت.

بصرف النظر عن مثل هذا الكلام، كنت ما أزال واثقاً بأن دخول هيونداي في العراق كان الشيء الصحيح وقتها. وكنت متأكداً أيضاً من أنه حالما يستعيد العراق الاستقرار، فسوف تُمنح هيونداي فرصة أخرى. وفي غضون ذلك، بما أننا لم نكن قادرين على الحصول على مدفوعات مالية بسبب الحرب، فقد وافقنا على أن يدفع لنا نفطٌ.

ربما لامني شونج بسبب كل المتاعب التي كان على هيونداي المرور بها. كنت أنا من ترأس اندفاعنا إلى العراق. ولكن شونج لم يبح لي قط بأفكاره الداخلية، ولم ندخل قط في مناقشات تتعلق بخسارتنا في العراق كذلك. إلا أنه كان هناك صمت حرج بيننا بعد العراق، كنا خلاله نتحدث بقدر أقل. هذا الأمر في ذاته كان غريباً جداً، إذا أخذنا في الاعتبار نوع العلاقة التي كانت بيننا. من المؤكد، لم يكن ذلك بالأمر الصغير، وكان مؤلماً جداً بالنسبة إلي.

وبينما كنا نتعامل مع بعضنا بعضاً بصمت، حضرنا حفل عشاء دعا إليه مسؤول حكومي كنت قريباً منه. كنت قد نظمت هذا العشاء لأن المسؤول طلب مني تقديمه إلى شونج. وخلال العشاء نظر هذا المسؤول إلى شونج وقال: "الرئيس شونج، إن السيد لي هو الشخص الذي أحترمه وأُعجب به بدرجة كبيرة. آمل أن تستمر في الاعتناء به". لم أطلب قط من المسؤول أن يقول أي شيء نيابة عني؛ وكذلك لم أكن أعرف حتى أنه يدرك الحرج بيني وبين شونج. كان تكهني أنه كان يحاول فقط أن يرد لي الجميل الذي قدمته له عندما عرّفته بشونج. نظر شونج إليّ وقال: "حسناً، هذا الرجل الذي هنا لن يستسلم أبداً، حتى إذا كان على الأرض وأحدهم يدوس على حلقه. إنه لا يحتاج حقيقة إلى أن يعتني به أي شخص. إنه شخص صارم ابن كلب".

استطعت الابتسام، وانتقلت إلى موضوعات أخرى. ولكن ما قاله شونج تلك الليلة ظل يتردد داخلي مدة طويلة. هل كان يعني أنني كنت ملقى على الأرض وأنني لم استسلم، على الرغم من أن أحدهم كان يدوس على حلقي؟ أم كان يعني أنني شخص يستطيع دائماً النهوض بمساعدة أو من دون مساعدة أي شخص؟ لا أعرف. هناك شيء واحد أدركته في تلك الليلة، وهو أن شونج يمكن تماماً أن يكون الشخص الذي يدوس على حلقي ذات يوم.

من المثير للاهتمام أن علاقتي المضطربة مع شونج عادت إلى حالتها الطبيعية في المكان نفسه الذي بدأت فيه المتاعب؛ ففي ديسمبر 1982، قبل وقت قصير من انسحابنا من العراق، ركبنا طائرة من الكويت متجهة إلى بغداد. أُخذنا إلى مدرج الإقلاع وتم فحصنا وتفتيشنا، وبعدها قيل لنا أن نحمل أمتعتنا في مخزن الحمولة في الطائرة. كان القصد من ذلك هو منع وضع القنابل على متن الطائرة. وإذا كانت هناك حقيبة مهملة، فهذا يعني أنه لا صاحب لها، ومن المحتمل أنها تحتوي على متفجرات. فقط عندما يتضح

كل أصحاب الحقائب ويتم تحميلها يطلب منا ركوب الطائرة. كانت الطائرة عتيقة وخربة، وأعتقد أن شونج جو-يونج وأنا، ربما كنا رجليّ الأعمال الوحيدين في العالم اللذين كانا متهورين بما يكفي لركوب مثل هذه الطائرة.

بمجرد وصولنا إلى بغداد قابلنا أصدقاءنا القدامى. وعد "إخواننا" في العراق بأنهم سوف يعتنون بهيونداي، ويتأكدون من أنها لن تعاني على نحو غير ملائم.

بعد ذلك أمضينا أنا وشونج وقتاً في زيارة مواقع التشييد الخاصة بنا. كانت هناك حرب دائرة، وكانت قذائف الهاون والصواريخ تتطاير دائماً فوق رؤوسنا، ولكن كان شونج رابط الجأش. عاد إلى أن يكون جنرالاً في الميدان، وهذا دور استمتع به قبل سنوات مضت. بدا أنه كان يستمتع بالاندفاع والجلبة وشدة البأس والعزم في الشدائد. وعندما كان شونج يلاحظ شيئاً لا يعجبه، كان دائماً يسأل عن الشخص المسؤول، ويصرخ "أنت! أريد خطاب استقالتك. الآن"! ثم يمضي إلى الأمام. كان معظم الناس يعرفون أنه كثيراً ما يقول ذلك، ونادراً ما كان يعنيه. أما أولئك الذين لم يألفوا فورات غضبه، فقد كان لونهم يغدو شاحباً.

في الليلة التي سبقت مغادرتنا، أقام شونج عشاء وداع لكل مديري المواقع في مختلف أنحاء العراق. كان من الصعب الحصول على الكحول في العراق وقتها، ولكن مديرينا واسعو الحيلة فقد استعانوا بموظفينا المحليين، واستطاعوا جمع كمية كبيرة. وبعد أن تم ذلك، جلس ما يزيد على الأربعين رجلاً حول الطاولة يشربون. كانت حفلة صاخبة. ذبحنا الكثير من الحملان، واشترينا طبقاً عراقياً مشهوراً، مؤلفاً من سمك مشوي من نهر دجلة، يسمى "المسكوف" من مطعم مجاور. استرخى الناس ونسوا ما كان يجري على الأقل لساعات قليلة. استمروا في الشراب حتى ساعة متأخرة من الليل، وكانوا يرقصون ويغنون.

ومع ازدياد حمى الحفلة، قلت لشونج، "سيدي الرئيس، لماذا لا نعيد كل خطابات الاستقالة قبل ذهابنا"؟

أجاب بسعادة، "نعم، هذا صحيح. حسناً، لم يتم فصل أي شخص"! واستمر في الشرب.

كان شونج يقضي وقتاً ممتعاً. بعد ذلك بسنوات تذكَّر تلك الحفلة في العراق كواحدة من أفضل ذكرياته. كان يقول إنه أحس بالصداقة الحميمة الحقيقية وهو يشرب مع رجال كان يخاطرون بكل شيء ولا يخشون شيئاً. قال لي، إن أولئك كانوا رجالاً حقيقيين، محاربين حقيقيين. كان فخوراً بأنه رئيسهم.

عند الرابعة صباحاً حزمنا أمتعتنا بعد الحفلة التي استغرقت كل الليلة، واتجهنا إلى الكويت بالسيارة. لم أتمالك التكشير للحظة وأنا أفكر في الرحلة الطويلة أمامنا. كان علينا السفر 14 ساعة والمرور بالبصرة، حيث كان يدور قتال عنيف. ولكن لم يكن أي من هذه يعني شيئاً. كلانا تذكر البداية عندما بدأ كل ذلك. عدت وشونج إلى طبيعتنا. وتواصل عملنا.

ماليزيا، ومهاتير، وجسر بينانج

أحد القادة الذين أعجبت بهم وكنت أقول إنه صديقي، هو رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد.[24] مهاتير رجل متواضع يمقت السلوك التفاخري والرسميات؛ كان يستشرف العمل، وقد كرس حياته لتحسين حياة الماليزيين العاديين.

كانت أول مرة ألتقي به خلال أواخر سبعينيات القرن العشرين عندما كانت هيونداي تبني سد كينير (Kenyir) في ماليزيا. وكانت واحدة من وظائفي عندما أكون

مسافراً في الخارج، تتمثل في لقاء مختلف قادة الدول، وكان مهاتير واحداً من الذين التقيت بهم. وبرغم أن مهاتير كان نائب رئيس الوزراء وقتها، فلم تكن لديه سلطة حقيقية. وكان السبب في ذلك أن رئيس الوزراء "حسين أون" أعاده إلى الخدمة عندما طالب الجمهور بإرجاعه، بعدما أُبعد من الحزب الحاكم لتحديه خط الحزب. عاد مهاتير من المنفى، وتم تعيينه نائباً لرئيس الوزراء، ولكن لم توكل إليه أي مسؤوليات. كان مهاتير يقضي أيامه وحيداً في مكتبه.

وكلما أكون في ماليزيا كنت أمر على مكتبه. كان ذلك في 1981 عندما كنا ننافس فرنسا واليابان للفوز بعقد بناء جسر بينانج، والذي سيكون أطول جسر في ماليزيا، ورابع أطول جسر في جنوب شرقي آسيا. كانت الشركة اليابانية ماروبيني (Marubeni) قد كسبت سلفاً الكثيرين من أعضاء حكومة حسين بالرِّشا والهدايا. فكان من الطبيعي أن أجد أنني مبعد كلية وممنوع من الاجتماع بأي من صناع القرار المهمين. وكلما زرت مهاتير كان ينظر إليّ ويسأل بصوته اللطيف الهادئ، "سيد لي، ليس لدى سلطة لمساعدتك. برغم ذلك ما زلت تأتي لمقابلتي. لماذا تفعل ذلك"؟

وكنت أقول فيما يشبه النكتة، "حسناً سيدي نائب رئيس الوزراء، بعد كل رحلة عمل في ما وراء البحار، يُطلب مني كتابة تقرير عمن التقيت بهم وعما تحدثنا. ولكن منافسينا اليابانيين منعوني بفاعلية من الاجتماع بأي من زملائك، ومن ثم فإنني أقول لرئيسي لقد التقيت بنائب رئيس الوزراء، وهكذا يعتقد أنني أقوم بعملي. هذا سوف يجعله يشعر وكأنني أقابل شخصاً مهماً جداً".

ابتسم مهاتير ورد قائلاً: "إذا كان الأمر كذلك، فمرحباً بك في أي وقت يا سيد لي. ولكن هناك شرطاً واحداً؛ آمل أن تخبرني عن الذي يجري في بلدك".

ومنذ ذلك الحين كنا نلتقي كثيراً. كان مهاتير مهتماً بتجربتنا في وضع نهاية للفقر. كان رجلاً متعلماً ويعرف تاريخ بلادي التي كانت مستعمرة يابانية، وكم كان ذلك مؤلماً. كان يعرف عن تاريخ حربنا وتقسيم بلادنا، والدكتاتوريات العسكرية التي حكمت بلادنا، وسنوات الاضطهاد، وقرارنا الاستراتيجي المتعقل بالاستثمار في التصنيع، وتطوير صناعاتنا الثقيلة، والكثير غير ذلك.

كان مهتماً على نحو خاص بحركة "القرية الجديدة" (Sae-ma-eul) في بلادنا التي لعبت دوراً محورياً في القضاء على الفقر في الريف. كان يدرك أن أهم عامل يُمكّن أي دولة من الإفلات من الفقر هو إصلاح عقول شعبها. إذا كان الناس على استعداد، عندها يكون كل شيء ممكناً. كان مهاتير يريد أن يفطم الشعب الماليزي عن حالة الرضا عن النفس التي قبلوا بها إثر عقود من الحكم الاستعماري البريطاني. كان يريد من الشعب الماليزي أن يحتضن مصيره، وأن يغرس فيهم حساً بالغاية والرسالة. كان هذا أحد الأسباب التي جعلته يفتتن بالتجربة الكورية، والتي كانت تشبه كثيراً تجربة ماليزيا في كثير من الوجوه. انهمكنا في تبادل الآراء الثقافية، وكنت كثيراً ما أجد أنني أقترح نصائح. كانت بعض هذه النصائح صادقة بشكل قاس جداً، ولكن كان مهاتير يستمع دائماً بعناية واحترام.

كنا كثيراً ما نخرج لتناول الغداء معاً. لم يكن أي شخص يتعرف عليه عندما كنا ندخل مطعماً. وأنا متأكد من أن مهاتير لم يكن يبالي، وكنت واثقاً من أنه ينتظر وقته بينما يتصور ويصقل رؤيته لماليزيا طوال الوقت، إلا أنه لم يكن يعي ما كان على وشك الحدوث. ومن المؤكد أنه لم تكن لدي أدنى فكرة عن أنه كانت هناك مفاجأة كبيرة في انتظاري. كان مهاتير سوف يلعب في وقت لاحق دوراً حاسماً في مساعدة هيونداي على الفوز بعقد جسر بينانج. وعلى عكس ما كان قد قاله لي عندما التقينا أول مرة، كان يملك السلطة لمساعدتي.

سمعت لأول مرة عن خطط ماليزيا لبناء جسر بينانج عندما كنت أعمل في تايلانـد خلال أواخر ستينيات القرن العشرين. وحالما يكتمل جسر بينـانج، فـسوف يمتـد 14.5 كيلومتراً ليربط جزيرة بينانج بالبر الرئيسي لماليزيا. وقد قُدرت التكلفـة الكليـة للمـشروع بمبلغ 300 مليون دولار أمريكي، وأصبح سريعاً أهم أولوية وطنية لماليزيا.

هناك العديد من الأسباب التي جعلت الحكومة الماليزية تَعدّ المشروع أمراً مهماً. كان أحد الأسباب يتمثل في الـسيطرة عـلى جزيـرة بينـانج الثريـة، وإدماجهـا في اقتـصاد الـبر الرئيسي. عُرفت بينانج على نطاق واسع بجمالها الخلاب، وإمكانياتها كوجهة سياحية دولية رئيسية. وكان لها أيضاً قيمة كبيرة كقاعدة صناعية. وكانت قيمتها عظيمة جداً عندما نالت سنغافورة استقلالها، فقد طلب السكان الصينيون في البدايـة إعطـاءهم بينـانج، بـدلاً ممـا يعرف الآن باسم سنغافورة. وكان السبب الآخـر سياسـياً. كانـت بينـانج يـسيطر عليهـا بفاعلية الماليزيون الصينيون، مما يجعلها قطب الرحى في التجارة والصناعة. وكانت بينـانج ولاية إقليمية، ولكن نفوذها الاقتصادي كان ينافس نفوذ سنغافورة. وبربط بينـانج بـالبر الرئيسي لن تستفيد ماليزيا اقتـصادياً فقـط، بـل تـستطيع أن تـؤثر في المجتمـع المـاليزي-الصيني أيضاً.

بدأت المناقصة على بناء جسر بينانج في أوائل 1981.كرست هيونداي وقتـاً وطاقـة هائلين للتقدم إلى المناقصة. شاركت 41 شركة من 17 دولة في المناقصة. كانت كل شركات الإنشاءات الكـبرى في العـالم تقريبـاً متحمـسة. وقـد توليـت مـسؤولية هـذه العمليـة في هيونداي. وإثر خروجنا المكلف من العراق، كنت مصمماً على النجاح.

كانت خطتنا في المقام الأول تتلخص في تجاهل الأوربيين لأنهم كانوا أقل تنافسية فيما يتعلق بالتكلفة الكلية، وكان تركيزنا بـشكل أسـاسي عـلى منافسنا اليابـاني؛ شركـة ماروبيني. ولكن كانت نتائج الجولة الأولى مفاجأة؛ فقد جاءت الشركة الفرنسية بيرنارد

في المرتبة الأولى، وهيونداي في المرتبة الثانية بفارق ضئيل، تتبعها شركة ماروبيني اليابانية، وجاءت شركة ألمانية في المرتبة الرابعة. هذه الشركات الأربع مضت إلى الجولة الثانية. انسحبت الشركة الألمانية، ومن ثم كانت المنافسة بين هيونداي، وكابينون بيرنارد، وماروبيني.

كانت ماروبيني منافساً شديد المراس، فقد كان لها مَعين لا ينضب من الأموال، وشبكة لا يمكن هزيمتها في ماليزيا. ومن ثم فقد قررنا القضاء على الخصوم الآخرين، وبعدها نركز كل جهودنا على هزيمة ماروبيني. كان ذلك أمراً غير مرجح، ولكنه يستحق المحاولة. أقنعنا الماليزيين أننا نستطيع الانتهاء من المهمة قبل الفرنسيين بوقت طويل. وعلى الرغم من أن سعر المناقصة الفرنسية كان أدنى من سعرنا، فقد شرحنا لماليزيا أنها يمكن أن تعوض الفرق بجمع رسوم العبور في وقت قبل المتوقع.

ومن ثم، فقد كانت اليابان فقط هي المشكلة الحقيقية.كان اليابانيون مصممين على تغيير النتائج المخيبة للآمال في الجولة الأولى من المناقصة، واستخدموا كل شيء لديهم. كانت السفارة اليابانية والحكومة اليابانية مشتركتين بالكلية. قدمت اليابان حوافز مغرية، مثل الديون الطويلة الأجل من دون فوائد تقريباً. وقد انهمكوا أيضاً في حملة سلبية تتهم هيونداي بالإهمال والمهارات الفنية البائسة. وكان المصدر الرئيسي للمواد التي استخدموها في حملتهم مقالات كانت قد نشرتها صحيفة جونج-أنج إلبو بطريقة غير منصفة ولمهاجمة هيونداي والتشهير بها. وتأكدت اليابان أنني لا أستطيع الاقتراب بأي شكل من الأشكال من مكتب رئيس الوزراء الماليزي، فضلاً عن مقابلته.

كان الشخص الوحيد في ماليزيا الذي أستطيع اللجوء إليه هو مهاتير. أبدى مهاتير أسفه لأنه لا يستطيع تقديم أي مساعدة. لم يكن لدي أي أمل، وعرفت أن فرصي ضعيفة. كنت واعياً للاضطراب الداخلي والهياج السياسي الذي كان يدور في ماليزيا. في ربيع

1981 شهدت ماليزيا انتفاضة شعبية تنادي بإسقاط الحكومة، وكانت هناك أحاديث عن أن حكومة حسين آخذة في الانهيار، ولكنني لم أدرك مدى خطورة الوضع.

غير أنه عندما وصلت المطار في كوالالمبور شعرت بأن المزاج كان حاداً جداً. ثم رأيت عنوان صحيفة بالإنجليزية يقول: "وفاة رئيس الوزراء حسين أون". اتصلت فوراً بمهاتير، فردت عليّ سكرتيرته، وسألت حالاً إذا كان من الممكن أن أقابل نائب رئيس الوزراء. وبالنظر إلى حالة الطوارئ، توقعت تماماً أن يرفض طلبي. ومن المدهش أخذ مهاتير الهاتف، ووافق بسرعة على مقابلتي. إلا أنه قال لي إنه عليه السفر جواً إلى سنغافورة بشكل عاجل، ومن ثم فليس لديه وقت لمقابلتي في مكتبه. طلب مني الذهاب إلى مسكنه بما أنه كان في طريقه إلى البيت لكي يحزم حقائبه ويغير ملابسه. شكرته واتجهت مباشرة إلى مسكنه.

بينما كنت أدردش مع زوجته ونحن نشرب الشاي وصل مهاتير، وحيَّينا بعضنا بحرارة. سألته، "هل هذا حقيقي؟ هل سوف تصبح رئيس الوزراء"؟ رد مهاتير: "لننتظر ونرى. كل شيء سوف يتقرر بعد عودتي من سنغافورة". كنت أفهم أنه كان حذراً، ولكنني استبنتُ الثقة في عينيه. كنت أيضاً أتحرق لكي أسأله عن مناقصة جسر بينانج. لم يتخذ رئيس الوزراء حسين أي قرارات نهائية بشأن المشروع قبل وفاته، ومن ثم فإن مهاتير ينبغي عليه الآن أن يقرر بشأن مناقصة جسر بينانج. ولكنني لم أستطع أن أحمل نفسي على أن أسأله عن المناقصة في ذلك الوقت.

في ما بعد ظهر اليوم نفسه، عُين مهاتير رئيساً للحزب وأصبح بالتزامن رئيس الوزراء الجديد. وبمجرد أن أصبح رئيساً للوزراء، كان مهاتير قادراً على أن يمضي إلى الأمام بالرؤية التي كان قد صقلها خلال الوقت الذي كان فيه مهمشاً سياسياً، فدعا إلى الإصلاح. وكانت سياسته المعروفة باسم "انظر شرقاً" (Look East) و"الحكومة النظيفة" الركيزتين الرئيستين لإدارته الجديدة.

ومن الواضح أن "الشرق" يشير إلى كوريا. كان مهاتير يضع الآن ما كان قد صاغه في رأسه في الممارسة. كان واثقاً من أنه يستطيع التعلم من كوريا، وأن يتجاوزها حتى فيما أحرزته من تقدم. وكرجل أعمال كوري كنت فخوراً بذلك. وفي الوقت نفسه، شعرت بحس من الإلحاح لأنني كنت أعرف أن رجلاً مثل مهاتير يمكن أن ينجز بموجب هذا الوعد.

أما بالنسبة إلى مناقصة تشييد جسر بينانج، فقد عاد كل شيء إلى المربع الأول. وبالنسبة إلى رئيس وزراء جديد يتوخى الإصلاح وينادي بحكومة نظيفة، فقد كان قبول التبرعات السياسية مقابل منح مشروع بنية تحتية رئيسي تملكه الدولة غير وارد كلية. كانت نية مهاتير الحازمة تتلخص في اجتثاث الفساد الذي كان سائداً في ظل الإدارة السابقة، وكان هذا جوهر رسالته حول الحكومة النظيفة.

أضحت مهمتي الآن إقناع مجلس الوزراء الجديد الخاضع لمهاتير. قارنا أنفسنا بالفرنسيين واليابانيين وشرحنا أننا أفضل فيما يتعلق بخفض التكاليف، وتحقيق الجودة الموثوقة. وشدّدنا على التزامنا بأن نكون شريكاً لماليزيا جديراً بالثقة. وكانت أكثر بطاقات اليابانيين جاذبية – القرض بدون فائدة – قد أُستبعدت نتيجة لمناداة مهاتير بالإصلاح. ويرجع السبب في ذلك إلى أن العشرات من أعضاء مجلس الوزراء السابقين الذين كانوا قد عملوا في إدارة الرئيس السابق حسين قد أدينوا بالحصول على رشىً؛ وأدى هذا إلى أن تفقد شركة مارويبني كل مصداقيتها.

في النهاية مُنحت هيونداي مشروع بناء جسر بينانج. وحتى يومنا هذا، فإنني أرى جسر بينانج واحداً من أعظم الإنجازات التي أفخر بها كرجل أعمال. أحسست بأنني محظوظ كوني استطعت أن أطور صداقة دائمة مع مهاتير. وكنت سعيداً أيضاً لأن جسر بينانج أصبح معلماً ومصدراً لفخر الشعب الماليزي. وحتى اليوم يتذكر الكثير من الماليزيين هيونداي، ويذكرني الكثيرون منهم باسم المهندس، وهذا شرف عظيم.

وبالنسبة إلى افتتاح جسر بينانج، بعد اكتماله في 1982، فقد أعدت هيونداي مراسم فخمة تظهر على أفضل وجه العظمة التي استطعنا تشييدها. وبالنظر إلى الماضي، لكي أكون صادقاً، فقد وُلدت المراسم من عجرفتي. ولكنني كنت ممتناً بإخلاص لمهاتير والشعب الماليزي لأنهم آمنوا بنا، وقد أردت أن أرد لهم الجميل. أرسلنا الخبراء إلى ماليزيا، وشيدنا منصة عالية لعلية الضيوف وشتى كبار الشخصيات. نصبنا خيمة كبيرة فوق الجزء المخصص لكبار الشخصيات لكي نحجب الشمس، وركّبنا لوحة مصممة خصيصاً، وفيها أزرار تشعل ألعاباً نارية هائلة. وضعنا مقعدين كبيرين لمهاتير والسيدة الأولى،كانت مميزة عن بقية المقاعد. بإيجاز، كررنا ما كانت حكومتنا تفعله في المناسبات المشابهة في الوطن.

وقبل يوم من المراسم، زار رئيس الأركان والعميل المسؤول عن أمن رئيس الوزراء الموقع للتأكد مما إذا كان كل شيء قد تم وفق البروتوكول. وقد صُدم الاثنان. نظر رئيس الأركان حوله وسألني، "لماذا توجد خيمة فوق الجزء المخصص لكبار الشخصيات؟ إذا كنت سوف تنصب خيمة فوق كبار الشخصيات، فماذا إذن عن الخمسة آلاف ضيف الذين سوف يحضرون المراسم؟ هل تخطط لنصب خيمة لهم أيضاً"؟ أذهلني ذلك. لم أفكر قط في ذلك. كان همي الوحيد هو الجزء المخصص لكبار الشخصيات.

بعد ذلك سألني رئيس الأركان، وهو يشير إلى المقاعد المحجوزة لرئيس الوزراء والسيدة الأولى، "لماذا هذان المقعدان أكبر من المقاعد الأخرى؟ حسب علمي، فإن مؤخرة رئيس وزرائنا ليست أكبر من مؤخرات الآخرين".

في تلك الليلة بعد أن استبدلت المقعدين، بحيث صارا مطابقين للمقاعد الأخرى نجحنا في نصب خيمة لتغطي مساحة 70 ألف قدم مربعة، حيث سوف يجلس الضيوف العاديون. لا تستطيع شركة واحدة أن تنصب غطاءً لسبعين ألف قدم مربع في الوقت المناسب، ومن ثم اخترنا ما مجموعه 12 شركة، ونصبت كل منها نحو 6 آلاف قدم مربعة

من الخيمة. كان رئيس الأركان محقاً، فمن المؤكد أن مؤخرة مهاتير لم تكن كبيرة، ومن المؤكد جداً أن رأسه لم يكن كبيراً كذلك.

ماركوس وإميلدا

بعد النصر في ماليزيا، كانت محطتنا التالية الفلبين، حيث هزمتنا شركة ماروبيني بالضربة القاضية. وكانت خسارتنا نتيجة للطبيعة الغريبة والشخصية جداً لسياسة الفلبين وقتها.

جرت المناقصة الدولية على مشروع تشييد خط طاقة بقيمة 150 مليون دولار أمريكي قبل سنة فقط من هروب الرئيس فردناند ماركوس وسيدته الأولى الشهيرة إميلدا من البلاد. وكما في معظم الدول النامية التي ظل قادتها في الحكم لمدة طويلة جداً، فقد كانت كل القرارات التي تتخذ في الفلبين تُصنع من طرف أولئك الذين في أيديهم السلطة. وكان هناك في الفلبين شخصيتان تحظيان بقدر متساو من السلطة، وكانا فوق كل شخص آخر: الرئيس ماركوس، وزوجته السيدة الأولى إميلدا.

كان ماركوس وإميلدا زوجين غريبين. بما أنه كان من المعروف أنهما زوجان سعيدان جداً، فإن الصراع على السلطة بين الاثنين لا يخطر على بال. برغم ذلك، كانت السياسة في الفلبين تدور حول هاتين الشخصيتين الغريبتين. كان لكل منهما جهات تساندهما تعمل بانفصال، وغالباً ضد بعضها. وبالنسبة إلى شركة أجنبية تحاول الفوز بالعقود الحكومية، كان من المهم جداً أن تقرر على من تضع رهانها. وخلال معظم عهد ماركوس، كانت سوق الإنشاءات يهيمن عليها اليابانيون، وخاصة شركة ماروبيني. كانت ماروبيني سيئة السمعة لأنها كانت الشركة التي تمول نظام ماركوس، وتحصل بالمقابل على كل عقود الحكومة تقريباً. ولكننا كنا مصممين على الفوز بهذا العقد.

عندما ظهرت نتائج الجولة الأولى، جاءت هيونداي الأولى بينما حلت ماروبيني في المرتبة الثانية. كانت هيونداي تعمل مع شخصية لها اتصال مباشر بالرئيس ماركوس، بينما كانت ماروبيني تعمل مع شخصية تنتمي إلى فصيل إميلدا. وكان كلا الطرفين يعرف ما ينويه الطرف الآخر في كل الأوقات. حينذاك كان أي شخص يستطيع أن "يشتري" الوثائق الحكومية لقاء رسم صغير.

وتحولت منافستنا إلى العلنية سريعاً. بدأ الوكلاء الذين يمثلون كل جانب في مهاجمة الطرف الآخر. وسرعان ما شطرت هذه المشاحنة العلنية حكومة الفلبين إلى معسكرين: ماركوس في مواجهة إميلدا. كان ذلك درساً صارخاً ومزعجاً في حوكمة الدولة. وكان من المحبط وحتى المؤلم أن تشاهد مثل هذه الدولة الجميلة التي تملك إمكانيات ضخمة تخرج عن السيطرة بعد أن تلاعب بها مسؤولون فاسدون يبحثون عن النقود. لم يكن أمام هيونداي من خيار إلا مجاراة الاقتتال الداخلي لتفوز بالمناقصة؛ فالأعمال هي الأعمال. ولكن آلمني هذا مع ذلك.

في النهاية، مُنح المشروع لشركة ماروبيني. وعندما سألت وكيلنا، وكان محل ثقة الرئيس ماركوس: لماذا خسرت هيونداي؟ أجاب ببساطة: "خسر ماركوس أمام إميلدا؛ الأمر بمثل هذه البساطة".

عقب اغتيال زعيم المعارضة بنينو أكينو، وسقوط ماركوس الدراماتيكي، والكشف اللاحق عن فسادهما (والاكتشاف الذي شد العناوين الرئيسية الدولية لأكثر من 2500 زوج من الأحذية في خزانة إميلدا)، تم انتخاب السيدة كورازون أكينو، أرملة بنينو أكينو القتيل، رئيسة للدولة، وكانت أكينو تختلف اختلاف الليل عن النهار عن الرئيس السابق.

سنحت لي فرصة مقابلتها عندما كنا نستضيف حفل استقبال لإحياء ذكرى افتتاح المكتب الرئيسي لبنك التنمية الآسيوي في مانيلا، والذي كنا قد قمنا ببنائه. كان الجنرال فيدل راموس يشغل منصب رئيس أركان القوات المسلحة للرئيسة أكينو (ووزير الدفاع لاحقاً) حاضراً أيضاً. وكما كان الأمر مع مهاتير في ماليزيا، كان كلاهما مختلفاً عن السياسيين العاديين.

وعندما أدلت الرئيسة أكينو بتعليق للتهنئة، لاحظت أن الجنرال راموس يجلس بهدوء في الخلف. كان وقتها يُعتقد على نطاق واسع أنه أقرب كاتمي سر الرئيسة الجديدة إليها، ولكنه كان ينضح بالتواضع ويتجنب إثارة الاهتمام. وكانت الرئيسة أكينو أيضاً تثير الإعجاب بطريقة استثنائية بأخلاقها المعتدلة، ولكن عزمها الحديدي كان واضحاً. كان يرافقها اثنان فقط من الحراس الشخصيين.

وخلال حفل الكوكتيل، اقتربت مني الرئيسة أكينو بلطف، وتبادلنا التحيات. ثم سألتها: "سيدتي الرئيسة، هل كل شيء على ما يرام وأنت تتنقَّلين مع حارسين شخصيين فقط؟ ألا ينبغي أن يكون لديك قدر أكثر من الحماية"؟ كانت اللقطات المروعة للسيناتور بنينو أكينو وهو يرقد على مدرج الإقلاع ماتزال حاضرة في ذهني، وكان من الطبيعي بالنسبة إلى أي شخص أن يقلق بشأن سلامتها.

ابتسمت لي الرئيسة أكينو بدفء وقالت: "الرئيس لي، لقد انتخبني الشعب لأنه يتوق إلى الحرية والديمقراطية. هذا هو السبب في أنني ترشحت لمنصب الرئيس في المقام الأول. إن الديمقراطية هي رغبة شعبي. وبأكينو أو بدونها سوف تستمر الديمقراطية في الفلبين. وبصرف النظر عمن يكون الرئيس، من الآن فصاعداً سوف تسود الديمقراطية لأنها هي المصير. إذن لماذا ننفق كل تلك الأموال في حماية الرئيس عندما يمر الشعب بمثل هذه الأوقات العصيبة؟ سوف أكون على ما يرام".

تلك الكلمات أثرت فيّ بعمق. ولاحقاً استطعت مقابلة الجنرال راموس أيضاً. نظر الجنرال راموس إليّ وقال: "هل تذكر عندما ساعدتكم الفلبين خلال الحرب الكورية؟ وقتها كان دخل الفرد في كوريا 700 دولار أمريكي في السنة. ولكننا الآن نبحث عن مساعدتكم. هل تعرف لماذا؟ هناك سبب واحد فقط؛ القيادة السيئة. ولكن من حسن الطالع، لقد أُستعيدت قيادتنا، وعادت سياستنا إلى الوضع الطبيعي. ونأمل أن نكون قادرين على اللحاق بالركب".

كان ذلك أملي أيضاً. كان الجنرال راموس شخصاً يثير الإعجاب فوراً، وعرفت أنه سوف يستمر في لعب دور مهم لبلاده. وقد فعل بأن أصبح الرئيس الذي تلا أكينو. وكما توقعت، أصبح رئيساً جيداً بدرجة كبيرة، وكان هناك إعجاب واسع الانتشار به، وكان شعبه يحبه لأنه أعاد إحياء الاقتصاد، وأعاد الاستقرار السياسي للفلبين.

الفصل الثالث عشر

ما لا يُنسى

عندما كانت كوريا ما تزال دولة فقيرة، كان الكثيرون منا يرون وظائفنا واجبات جليلة... لم يكن الأمر يتعلق بجمع المال ببساطة، على الرغم من أنه بالنسبة إلى الكثيرين كان هذا هو السبب الذي أتى بهم إلى هنا. كان الأمر أكبر كثيراً من ذلك. كانت البلاد في حاجة إليهم، فلبُّوا نداءها.

إن بناء الجسور التي تربط البر والناس، ومحطات الطاقة التي تضيء الحياة وتعزز الصناعات، وطرق المرور السريع التي تمكن النمو والازدهار من الانتشار، تعد كلها تجربةً مثيرة. ويمكنك أن ترى وتلمس ما بنيته، وما بنيته يبقى عمراً كاملاً. إنها واحدة من أكثر الوظائف المجزية التي يمكن أن يطلبها أي شخص. ولكنها شاقة جداً أيضاً، وكثيراً ما تكون خطرة. ومن ثم فقد تكون مفجعة أيضاً.

عندما كانت كوريا ما تزال دولة فقيرة، كان الكثيرون منا يرون وظائفنا واجبات جليلة. قرر الكثير من الرجال والنساء التضحية بحياتهم حتى تستطيع عائلاتهم والآخرون التمتع بحياة أفضل. وكانوا كلهم على قناعة ثابتة بأنهم يخدمون قضية أرفع شأناً، وهذا هو السبب في أنهم تحملوا المشاق؛ إذ كانوا يعرفون أن عملهم سوف يسمح للآخرين بالاستمتاع بما لم يكونوا هم قادرين قط على الاستمتاع به. لم يكن الأمر ببساطة يتعلق بجمع المال على الرغم من أنه بالنسبة إلى الكثيرين كان ذلك هو السبب الذي أتى بهم إلى هنا. كان الأمر أكبر من ذلك بكثير. كانت البلاد في حاجة إليهم، فلبوا نداءها.

ذهب مئات الألوف إلى الصحارى والأدغال في ما وراء البحار؛ فقد ذهبت النساء إلى الخارج كممرضات، ودخل الرجال عميقاً في مناجم الفحم الحجري في ألمانيا، وكانوا يعملون

18 ساعة في اليوم. وبينما كنا نشيد أول طريق سريع في كوريا، قتل 77 عاملاً وهم يؤدون وظيفتهم. وخلال ثمانينيات القرن العشرين كان يموت من 30 إلى 40 عاملاً كل عام في مواقع الإنشاءات. وكان هذا يرجع جزئياً إلى الافتقار إلى الوعي بلوائح السلامة، ومعدات الحماية السيئة، ولكن في الغالب كان السبب أن العمل نفسه كان مليئاً بالخطر والمخاطر. كثيراً ما كنا نقوم بالأشياء للمرة الأولى دون أن نعرف الأخطار المتضمنة. أما اليوم فإننا نعرف عن طريق التجربة ما يجب أن نتحاشاه، ونتقيد بصرامة بمعايير السلامة الفائقة. واستطعنا أيضاً أن ننتفع من التقنيات المتقدمة. ولكن في الماضي كان الأمر كله يتلخص في القيام بالعمل مستخدماً يديك المجردتين. وهذا هو السبب في أن القصص التي تقف وراء الكثير جداً من هؤلاء الرجال والنساء مُرة وحزينة. وبالنسبة إليّ فإنه لا يمكن نسيانهم.

إحدى القصص التي أتذكرها بطريقة مؤثرة تدور حول رجل اسمه شُوي. قابلت شوي أول مرة، وهو رجل مجد في العمل وهادئ، قبل أكثر من ثلاثين عاماً، عندما كنت موظفاً جديداً أعمل في مكتب تايلاند كمحاسب. كان شوي مسؤولاً عن العمال المحليين؛ وقد تلقى قليلاً جداً من التعليم، وجاء إلى تايلاند حتى لا يعاني ابنه كما عانى هو.

ذات يوم أطلق العمال المحليون النار على شوي بسبب نزاع بسيط، فأُصيب بسبع طلقات في الصدر، ونجا بمعجزة من الموت. كنت أزوره في المستشفى بعد فراغي من العمل. وتناوب الكثير من الآخرين على رعايته.

ذات يوم في المستشفى طلب مني شوي أن أقدم له خدمة. قال لي إنه متأكد من أنني سوف أرتقي ذات يوم وأصبح شخصاً مهماً في الشركة. وطلب مني ألا أتجاهل عائلته إن جاؤوا لمقابلتي طلباً للمساعدة. قلت له: إنني لست متأكداً من أنني سوف أصبح شخصاً مهماً، ولكنني وعدته مع ذلك بأن أساعد عائلته بأفضل ما أستطيع. وسرعان ما مات شوي فيما بعد في تايلاند، دون أن يكون أي فرد من عائلته بجانبه.

بعد عشرين عاماً أصبحت رئيس شركة هيونداي للهندسة والإنشاء، ولكنني كنت قد نسيت ما قاله لي قبل سنوات. ثم استلمت ذات يوم رسالة من سيدة قالت إنها أرملة شوي الذي كان قد عمل معي في تايلاند. قالت: "إذا كنتَ تتذكره، فإنني أرغب في مقابلتك. وإذا كنت لا تتذكره، فإنني لن أضايقك". فجأة عادت الذكريات لتغمرني. طلبت من سكرتيرتي أن تستدعي السيدة لمقابلتي.

جاءت السيدة إلى مكتبي في اليوم التالي. وأخرجت خطاباً أصفر وممزقاً. كان ذلك الخطاب الذي أرسله شوي إليها حين كان في المستشفى. جاء في الخطاب: "زوجتي العزيزة، أنا غير متأكد من قدرتي على العودة حياً إلى كوريا. أود فقط أن أخبرك عن رجل عرفته واحترمته. هو رجل مجتهد، ورجل خيّر أيضاً. إذا مت وواجهتِ أي مصاعب وأنت تعتنين بابننا، اذهبي لمقابلة السيد لي مرة واحدة فقط. لقد وعدني بأن يساعد عائلتنا بأي طريقة يستطيعها. أنا أعرف بأنه سوف يصبح شخصاً مهماً يوماً ما، وأنه سوف يفي بوعده. لن تكون الحياة سهلة بالنسبة إليكِ وأنت تربين ابننا وحدك، ولكن بعد تخرجه من المدرسة الثانوية أرجو أن تذهبي لمقابلة السيد لي إذا كنت تحتاجين إلى المساعدة. أنا آسف لفراقك. مع السلامة".

اغرورقت عيناي بالدموع. رأيت شوي في سرير المستشفى هزيلاً، وهو يقترب من الموت. وتذكرت وعدي.

اكتشفت أن زوجته ربّت ابنها بمفردها، واستطاعت أن تجعله يكمل المدرسة الثانوية الصناعية. ولكن لم يستطع ابنه أن يحصل على وظيفة. وقتها تذكرتْ الخطاب الذي كان زوجها الراحل قد أرسله إليها قبل سنوات. سألتها عن الطريقة التي يمكن أن أساعدها بها، فقالت لي إنها تود أن يحصل ابنها على وظيفة، وأن يسمح له بالذهاب فيما وراء البحار. قلت لها، "لا تقلقي، فسوف أتولى هذا الأمر".

كان من الواضح أنها غير ثرية، ولكن الفقر لم يجردها من كرامتها. ذكّرتني بأمي. سألتها بعد ذلك إن كان هناك أي شيء آخر تود أن أقوم به. قالت: "لا أيها الرئيس لي. لقد كان زوجي واضحاً جداً في أن أطلب منك خدمة واحدة. حتى إذا كان هناك شيء آخر، فإنني لن أضايقك. شكراً جزيلاً". وظفت شركتي ابنَها، وسريعاً أُرسل إلى ما وراء البحار. لم تطلب مني أي شيء آخر قط.

وكانت هناك قصة أخرى تمزق نياط القلب، وهي مقتل 60 من العاملين عندما فُجرت الرحلة الجوية الكورية رقم 858 في سماء ميانمار.[25] في تلك الحادثة قتل كل الركاب الذين كان عددهم 115 على متن الطائرة، بمن في ذلك 60 من العاملين في هيونداي، و11 من طاقم الطائرة. ولم يتم العثور على أي جثة. كان العمال الستون يعملون في العراق، وكان الكثيرون منهم عائدين إلى الوطن لأول مرة منذ سنوات. ومن بين الذين ماتوا في التفجير، كان هناك واحد من أصدقائي المقربين وزملائي، السيد كيم ديوك-بونج، والذي كان وقتها المدير التنفيذي لمنشآت محطات الطاقة فيما وراء البحار. كنت وكيم في السن نفسها، وكنا نسافر معاً في الكثير من الرحلات فيما وراء البحار. وكان قد اشتُهر بأنه واحد من الخبراء البارزين في بناء محطات الطاقة، وذهب إلى العراق في مناسبات عديدة، عندما كانت هيونداي تبني محطة الطاقة الحرارية في المسيّب.

كان كيم يعشق عمله، ومن ثم فلم يكن لديه وقت للمواعيد الغرامية. كنت أنا من توسل إليه لكي يتزوج، ومن حسن الطالع فقد تزوج في وقت لاحق. وعندما كان الآخرون في سنه يرسلون أبناءهم إلى الجامعات كان ابنه قد دخل روضة الأطفال فقط.

في أواخر 1987، كنت قد شاركت مع كيم في وضع اللمسات النهائية لصفقة محطة المسيّب، في الوقت الذي كنا نحاول فيه الفوز بصفقة أخرى في العراق. كانت مفاوضاتنا مع الحكومة العراقية قد أوشكت على الانتهاء، ولكننا كنا في حاجة إلى حل قضية تتعلق بالتمويل.

ذات يوم جاءني كيم وقال إنه يريد السفر إلى العراق لكي ينهي الصفقة. قلت له إنه يجب أن يؤجل رحلته بما أن الوقت كان موسم الإجازات، ولكنه واصل الإصرار. ففي العادة يميل الناس إلى تجنب السفر خلال موسم إجازات نهاية السنة. أكبرتُ فيه استعداده، ولكنني اقترحت أن يذهب إلى العراق بعد أسبوع بما أن هناك أموراً ملحة في كوريا أيضاً. ولكن كيم استمر في الإصرار، "لا يمكن أن أفقد هذه الفرصة. التوقيت شيء مهم. أعتقد أنني أستطيع إنجاز هذه الصفقة إذا ذهبت الآن". وسافر كيم في اليوم التالي.

بعد أيام قليلة استلمت رسالة تلكس تقول إن كيم سوف يعود. وأرسلت له رسالة تلكس، فيها تعليمات بأن عليه قبل أن يعود إلى كوريا التوقف في لندن لكي يتولى أمر عمل يتعلق بشراء معدات. رد برسالة تلكس تقول إنه "سوف يعود إلى كوريا، ويزور لندن في المرة التالية". وبعد أن أرسل ما ستكون رسالة التلكس الأخيرة منه، ركب فوراً الطائرة المشؤومة.

عندما سمعت خبر الحادثة وتأكدت من أن كيم كان على متن الطائرة، زرت أرملته. كانت محطمة، ورفضت حضور الجنازة المشتركة لموظفي هيونداي المتوفين اعتقاداً منها بأن زوجها ما يزال حياً. وعندما قيل لها إن كيم كان الموظف الأرفع مكانة وسط من قتلوا غيرت رأيها وحضرت الجنازة. كانت تعلم أنها إذا لم تحضر سوف تسيء إلى العائلات الأخرى.

طُلب مني قراءة التأبين. أعلنت قرار الشركة بترقية كيم من مدير تنفيذي إلى نائب رئيس. وعندما كنت أقرأ التأبين بكيت.

والذكرى التي لا تنسى الأخرى، هي ذكرى رجل اسمه هوانج. عندما كنت في واحد من مكاتبنا الإقليمية قبل زمن طويل، كان هوانج يعمل مشغِّلاً للماكينات الثقيلة.

كان من قدامى العاملين في هيونداي؛ إذ كان قد عمل مع هيونداي زمناً أطول مني بكثير. أرسل إليّ هوانج خطاباً عندما كان يعمل في العراق، وكتب في الخطاب: "سيدي الرئيس، لقد ظللت أعمل في هيونداي لأكثر من ثلاثين عاماً. وعلى الرغم من أنني ظللت أعمل هذه المدة الطويلة، فإنني أعلم بأنني سوف أبقى مجرد عامل، ولن أستطيع أن أصبح موظفاً بدوام كامل في هيونداي. وأمنيتي الوحيدة أن يصبح ابني ما لم أستطع أبداً أن أكونه؛ موظفاً بدوام كامل في شركة هيونداي للهندسة والإنشاء. سوف يتخرج ابني من الجامعة هذه السنة، ولكن زوجتي قالت إن درجاته ليست جيدة بما فيه الكفاية. وأشعر بالمسؤولية إزاء ذلك لأنني لم أكن موجوداً قط عندما بدأ يكبر في السن". انتهى الخطاب بطلب يتلخص في أن أنظر في طلب ابنه بعين العطف، كخدمة لواحد من "رجال هيونداي" القدامى والمخلصين.

تأثرت بذلك الخطاب لأنني كنت أعرف ما مر به هوانج. كنت أعرف أن قضاء كل عمره كعامل هو في ذاته شيء يستحق الإطراء والاحترام. وكنت أعرف أن هوانج كان واحداً من أولئك الذين ضحوا بحياتهم من أجل عائلاتهم. لقد تطوع بالذهاب إلى ما وراء البحار متى ما كان يستطيع ذلك، بحيث يستطيع أن يرسل مزيداً من المال. وكأب لم يكن في وسعه أن يكون موجوداً لكي يرى صغاره يكبرون.

وعندما فحصت درجات ابنه كانت كما أخبرني هوانج، ليست جيدة بما فيه الكفاية. غير أنني اكتشفت أن ابنه كان موهوباً في مجالات أخرى، ومن ثم قررت تعيينه. بعد فترة من الوقت، استلمت خطاباً آخر من هوانج. جاء في الخطاب: "سيدي الرئيس، شكراً جزيلاً لمراعاتك الكريمة لي. أنا ممتن لك كثيراً. لقد منحت هذا الرجل العجوز آخر أمنياته العظيمة! لقد التقى ابني أيضاً امرأة جميلة بعد أن حصل على الوظيفة، وسوف يتزوج الآن. وأخطط للعودة لكي أحضر حفل زفافه. وعندما أكون في سيول، آمل أن أستطيع المجيء لزيارتك". ومن المحزن أن هوانج كان أيضاً في الرحلة 858.

أن تكون رئيس شركة، فإن هذا امتياز يحمل معه الكثير من الاستحقاقات، ولكن متى تقع مثل هذه الكوارث، فإنني أتذكر أيضاً المسؤوليات الهائلة التي يجب أن أتحملها. لقد وجدت الفرصة لكي أفعل ما أفعله بسبب رجال، مثل كيم ديوك-بونج، وشوي، وهوانج، والكثير من الآخرين. ومن دون إخلاصهم الذي يتسم بنكران الذات، وتضحياتهم، ما كنت لأكون حيث أنا اليوم. لقد كان العمل معهم شرفاً، وسيكون واجبي أن أتذكر ذلك دائماً، وألا أنسى أبداً.

الفصل الرابع عشر

شيء لم يُقدم عليه أحد قطّ من قبل

كنت أعرف أن صعودي هذه المرة كان مختلفاً؛ كنت أعرف أن أيامي في هيونداي أصبحت معدودة، وأنه قد حان الوقت الذي أقوم فيه بآخر مناقصة للشركة التي ساعدت في تكوينها... كنت في حاجة إلى أن أدير دفة هيونداي في اتجاه جديد.

الدخول في الدنيا الجديدة

في مارس 1988، السنة التي استضافت فيها كوريا أول دورة ألعاب أولمبياد صيفية لها، ترقيت إلى منصب الرئيس والرئيس التنفيذي لشركة هيونداي للهندسة والإنشاء. أصبحت قائد أكبر الشركات الكورية وأكثرها ربحاً بعد 23 عاماً من انضمامي إليها. كنت قد بلغت السادسة والأربعين من العمر. وكالعادة، هاجت الصحافة. أُطلق عليّ فوراً اسم "معبود الموظفين". كان هذا نوعاً من الإطراء، ولكن كما كنت أفعل دائماً فقد أفزعني كل هذا الاهتمام، ولكنني تجاهلت الضجيج. أيضاً، كنت أعرف أن صعودي هذه المرة كان مختلفاً؛ كنت أعرف أن أيامي في هيونداي أصبحت معدودة، وأنه قد حان الوقت الذي أقوم فيه بآخر مناقصة للشركة التي ساعدت في تكوينها.

في السنة الماضية بدأ تحول رئيسي داخل هيونداي. قرر شونج جو-يونج أن يعين محترفين لكي يتولوا أمر فروع شركته الكثيرة، بينما وضع إخوته وأفراد أسرة شونج من الجيل الثاني في مختلف المناصب في المجموعة. تمت ترقية شونج ساي-يونج إلى رئيس مجموعة هيونداي، وأصبح شونج جو-يونج الرئيس الفخري (في الواقع كان شونج جو-يونج القائد الذي لا ينازع).

ومع تولي المديرين المحترفين أمر إحدى الركيزتين، وتولي الجيل القادم والثاني من ورثة هيونداي أمر الأخرى، أصبحت أتأمل في وضعي الخاص في المجموعة. كنت دائماً أرى نفسي من الجيل الأول مع شونج جو-يونج. وإذا كان شونج قد أخذ يبتعد خطوة عن العمليات اليومية، فينبغي حينها أن أقتفي أثره. كان على المديرين المحترفين أن يعبِّدوا الطريق للصعود النهائي لأفراد أسرة شونج الأصغر سناً عند توليهم لأمر المجموعة.

كنت أعلم أنني سوف أُرغم على اتخاذ قرار قريباً. لم أكن أنوي التقاعد وقضاء بقية حياتي في الكآبة أو في انتظار حزمة تقاعد محترمة. بدلاً من ذلك، بدأت أفكر في مساري المهني ما بعد هيونداي. ولكن قبل ذلك، كنت في حاجة إلى توجيه هيونداي في اتجاه جديد. كانت هيونداي في حاجة ماسة إلى تغيير المسار والتكيف مع محيطها الجديد.

لقد نجحت هيونداي دائماً في تحويل نفسها في دورات من عشر سنوات. خلال ستينيات القرن العشرين أصبحت هيونداي أول شركة في كوريا تغامر بإقامة مشاريع فيما وراء البحار. وكانت سبعينيات القرن العشرين قد أُنفقت في استكشاف أسواق جديدة، مثل الشرق الأوسط، وفي أن تصبح شركة عالمية. وكان من الأهمية الحاسمة بالنسبة إلى أي شركة أن تقرأ الاتجاهات، وأن تكيف وتحول نفسها. فعندما تصبح الشركات راضية ومرتاحة جداً في الوضع الراهن، فإنها تبدأ بالتخلف.كان الابتكار، والإصلاح، وارتياد آفاق جديدة هي الطرق الوحيدة إلى الأمام. كان هذا ما تحتاج إليه هيونداي، وكانت تبحث عن حس جديد بالغاية، وعن مهمة جديدة تنجزها.

أما بالنسبة إلى شونج جو-يونج فقد أصبح خائب الأمل بشكل متزايد، ومشمئزاً من السياسيين. ومنذ جلسات الاستماع خلال بداية الجمهورية الخامسة، تعرض هو وشركته المحبوبة إلى الهجوم بشكل ثابت. وخلال الجمهورية السادسة لم يتحسن الوضع، وكان عليه أن يقاتل التصورات السلبية لدى الجمهور أيضاً. وتسببت معاناته في هبوط الروح المعنوية داخل مجموعة هيونداي، وكنا في حاجة إلى عكس المسار.

خلال هذه الفترة، كنت أنفق وقتاً طويلاً أمام خريطة العالم. كنت أبحث عن الاحتمالات وأفكر في الأماكن التي تحتاج هيونداي للذهاب إليها. كنت أسأل نفسي، هل الدنيا الجديدة تناسب هيونداي؟ وهذا هو الوقت الذي التفت فيه ذهني إلى "الأراضي الشمالية" أو "الدول الشمالية".

جغرافياً، تشمل الأراضي الشمالية المنطقة الشمالية المجاورة لشبه الجزيرة الكورية، مثل الاتحاد السوفيتي السابق، والصين، والدول الواقعة على طول الطريق الممتد إلى شرق أوربا، وبالطبع كوريا الشمالية. كانت هذه منطقة واسعة يسكنها ملايين الناس. وبالنسبة إلينا، كانت أراضيَ بكراً، أراضي لم يكن لنا معها علاقات دبلوماسية، وحيث لم تضع فيها أي شركة كورية جنوبية قدمها قط.

وبالنسبة إلى الكوريين الجنوبيين الذين ما زالوا يتذكرون الحرب الكورية، كانت الأراضي الشمالية مكاناً يثير الرهبة، إنها أراض غزت ذات يوم بلادنا. كانت أراضي محظورة، مكاناً لا نعرف أي شيء عنه. ومن وجهة النظر السياسية، كانت "الدبلوماسية الشمالية" تستهدف في النهاية بيونج يانج (عاصمة كوريا الشمالية)؛ فقد كانت موسكو وبكين محطات توقُّف للوصول إلى بيونج يانج. إلا أنه من منظور الأعمال، فقد كان ذلك ضرباً من قصر النظر الكبير وضيق الأفق. كان الاتحاد السوفيتي السابق والصين لهما أهمية هائلة بالنسبة إلى كوريا، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، وقد أثّرا في كلتا الكوريتين لقرون. وكنت موقناً من أنهما ستصبحان أكثر أهمية حتى لشبه الجزيرة الكورية في السنوات القادمة.

وحتى عندما أكون مسافراً حول العالم لأقوم بالأعمال، كنت دائماً ما أصاب بالإحباط لأننا في الحقيقة نقوم بالأعمال مع نصف العالم فقط. كانت كوريا حليفاً، وصديقاً مقرباً من الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها كانت ترى جاراتها القريبات لها أعداء. كان العالم الشيوعي دائماً بعيداً من المنال. وقد جعلني قرب الصين، والمحافظة

البحرية في الاتحاد السوفيتي السابق (المحافظة الجنوبية من روسيا) أتعجب من بقائنا أعداء، وخاصة في مشارف القرن الحادي والعشرين. وهكذا بدأ مشروعي التالي يتخذ شكلاً. كان دخول العالم الشيوعي سيكون مشروعي الأخير كرجل أعمال، وتكريمي الأخير لهيونداي.

دخول الاتحاد السوفيتي

هناك طريقة واحدة لتتطفل على فتح باب منطقة التندرا* الواسعة في سيبيريا. كنت أعرف المكان الذي أريد الذهاب إليه، ولكن لم تكن لدي فكرة عن كيفية وصولي إلى هناك. لم يكن لكوريا أي اتصالات دبلوماسية مع السوفييت، فضلاً عن قنصلية عامة أو مكتب اتصالات، لذا لم يكن اتخاذ أي شركة خطوة في هذا السبيل أمراً يمكن التفكير فيه، ولكنني كنت قد عقدت العزم. ولمعرفتي بمدى الصعوبة التي تحف بهذه المسألة، أصبحت متيماً بهذه الفكرة بقدر أكبر.

وسرعان ما لاحت فرصتي لإحراز تقدم. جاء زميل ياباني كنت قد عملت معه في الكثير من المشاريع في الشرق الأوسط لمقابلتي ذات يوم. كان مديراً لشركة نيشو إيواي اليابانية Nissho Iwai، وكنا قد عملنا معاً كشركاء لبناء محطة طاقة المسيّب في العراق. وفي أثناء اجتماعنا شكوت قائلاً: "إننا في حاجة إلى إيجاد أسواق جديدة بما أن الشرق الأوسط لم يعد الآن خياراً قابلاً للاستمرار. إننا نبحث عن أسواق أكبر وأكثر جاذبية، مثل الاتحاد السوفيتي. آمل في بناء شيء ضخم هناك، شيء لم يفعله أي أحد آخر قط قبل ذلك". بحثت عن أي رد فعل. وجاء رد الفعل، إذ رفع المدير رأسه وقال: "سيد لي، هل أنت مهتم بسوق الاتحاد السوفيتي؟".

---

* التندرا tundra: سهول جليدية جرداء تنتشر في المناطق القطبية الشمالية من الكرة الأرضية، كما في سيبيريا الروسية. (المترجم)

شعرت بالإثارة لأن الطعم الذي استخدمته قد نجح. "حسناً، إنه ليس شيئاً محدداً في الوقت الحالي. كما تعلم، فإننا نعرف كيف نعمل في الصحارى التي تصل درجة حرارتها إلى أكثر من 50 درجة مئوية، ولكننا لم نعمل من قبل في أماكن تصل فيها درجة البرودة إلى 40 درجة تحت الصفر".

اقترح المدير سريعاً الآتي: "سيد لي، لدينا مكتب فرعي في موسكو. ومن بين كل الشركات اليابانية التي كانت تقوم بأعمال في الاتحاد السوفيتي، فإن شركتي كانت أكثرها مشاركة بفارق كبير".

قلت له: "هذا شيء مثير للاهتمام. أتمنى لو كان في استطاعتي زيارة موسكو يوماً ما؛ هل تعتقد أن بإمكاني زيارتها؟".

قال المدير، إن الأمر لن يكون سهلاً، ولكنه سيكون ممكناً إذا تلقيت دعوة رسمية من الحزب الشيوعي. ووعد بالحديث مع زملائه والرجوع إلي. لم يكن السبب وراء شغفه الشديد أننا كنا نعرف بعضنا بعضاً، ولكن لأنه كان يعرف أنه سيكون من المفيد لشركة نيشو إيواي أن تعمل في الاتحاد السوفيتي. كان ملماً بوجوه القوة في شركة هيونداي. وكان يصنفنا من الأصول القيّمة، وخاصة عند العمل في ظروف شاقة مثل الاتحاد السوفيتي.

غير أنه حتى مع نيشو إيواي، وهي تعمل كوسيط، فقد كان الممر إلى الاتحاد السوفيتي متعباً. وقد منع الافتقار إلى العلاقات الدبلوماسية السوفييت من توجيه دعوة لي.

وبعدها في يوم من خريف 1988 أخبرتني نيشو إيواي أن فرصتي قد لاحت. فقد قال عضو في غرفة التجارة السوفيتية لليابانيين إنه على استعداد للتوقف في كوريا في طريقه إلى اليابان. وقال لهم هذا الرجل إنه بعد لقائه بي شخصياً سوف يتخذ القرار النهائي بخصوص دعوتي إلى زيارة الاتحاد السوفيتي. انتشيت وشرعت في التحضير لزيارته.

وعندما قابلت الرجل، اطمأننت مجدداً على فرصنا، فقد بدا مهتماً جداً بالعمل مع كوريا، وكانت أيضاً له دراية جيدة بهيونداي وإنجازاتنا. وما إن عاد إلى الاتحاد السوفيتي حتى أطلع المراسلين الإعلاميين هناك بإيجاز قائلاً، إن زيارته لكوريا الجنوبية كانت "ناجحة". ثم مضى ليخبرني أن إمكانية زيارتي لموسكو كانت "مفتوحة"، وطلب قائمة بالأشخاص الذين سيكونون في رفقتي.

لم أطلع شونج جو-يونج على مشروعي السري. وبعد أن أخذت وعداً من السوفييت بأن زيارتي سوف تتحقق، ذهبت إلى مكتب شونج وقلت له: "سيدي الرئيس، دعنا نذهب إلى الاتحاد السوفيتي".

كان أول رد فعل لشونج فاتراً. "الاتحاد السوفيتي؟ ماذا نعمل هناك في هذا المكان البارد؟". لم يكن شونج مهتماً إطلاقاً بالاتحاد السوفيتي، ولكنني حسبت أن الأمر سيكون أكثر رمزية وفاعلية أن يكون رئيس اتحاد الصناعات الكورية أول رجل أعمال يدخل الاتحاد السوفيتي، بدلاً من أن أكون أنا أول من يذهب إلى هناك.

وبرغم أن أول رد فعل لشونج كان غير مشوق، فلم أستسلم، وحاولت أن أقنعه بالإمكانيات العظيمة وفرص الأعمال التي لا حدود لها، التي يتيحها الاتحاد السوفيتي. كان شونج مهتماً دائماً بفرص الأعمال الجديدة، وكانت أفضل وسيلة لإقناعه هي ملامسة هذا الجانب فيه. خلال رحلة عمل إلى نيويورك، جلست بجواره، وشرحت السبب في اهتمامي بالسوفييت عبر الرحلة بكاملها. فالاتحاد السوفيتي يملك أكبر احتياطي من الموارد الطبيعية في العالم، بينما لا تملك كوريا أي شيء. كان هذا أحد الأسباب وراء حاجتنا إلى أن نغامر بالدخول في السوق السوفيتية. وبمجرد نجاحنا فسوف يكون لدينا إمدادات مستقرة وآمنة وفعالة التكلفة من الموارد الطبيعية. نعم، يمكن لكوريا الشمالية التي تقع بيننا وبين السوفييت أن تمنع بسهولة عبور السلع. إلا أنني جادلت في أن هذا لا ينبغي أن يثبط همتنا. وبما أن كوريا الشمالية كانت أيضاً في حاجة ماسة إلى الطاقة، فمن السهل

تحويلها إلى شريك. ومع نمو مصالحنا، فإن حاجتنا إلى الطاقة سوف تغدو أعظم. وإذا كان باستطاعتنا أن نحصل على إمداداتنا من الطاقة بالبر عبر خط أنابيب لا أن نستوردها بالبحر، فسوف يكون الأمر كأننا نستخدم مواردنا الخاصة وليس موارد الآخرين.

بدأ شونج يظهر الاهتمام ببطء. وفي طريق عودتنا من نيويورك، واصلت شرح جاذبية المقترح له. وبخلاف الفوائد الاقتصادية، سلطت الضوء على المعنى الرمزي والأهمية التاريخية لأن نكون أول من يفتح السوق السوفيتية. وكدفعة أخيرة، قلت لشونج: "سيدي الرئيس، يجب أن تبدأ التفكير في نوع الإرث الذي تتمنى أن تتركه وراءك. إذا استطعت أن تفتح السوق السوفيتية، وأن تكون أول شخص يفعل ذلك، فسوف تترك وراءك إرثاً عظيماً خاصاً بك، وتقدم خدمة عظيمة لبلادك. وهذا سيكون خاتمة مناسبة لمسارك المهني".

واقتنع شونج في النهاية. "إنك على حق. دعنا نفعل ذلك. علاوة على ذلك، فأنا أحب الجليد".

حالما عدنا إلى سيول بدأت المفاوضات فيما يتعلق بزيارتنا. وعندما أخبرت حكومتنا، كان رد فعلها شيئاً من اللامبالاة الخفيفة. وكان السبب في ذلك أنه لم يكن هناك أي شخص يعقد آمالاً على تحقيق تقدم ملموس. إلا أن رد فعل إحدى الوكالات كان حساساً، وكانت هذه وكالة الاستخبارات المركزية الكورية. فقد جعلونا نعد ألا نتعدى حدود المحادثات عن الأعمال والأنشطة ذات العلاقة بالأعمال. وقد منحونا إذناً بالذهاب فقط بعد أن وقّعنا تعهداً بذلك.

وبعد أن اكتملت الأوراق الضرورية وكل الترتيبات، شرعنا في حزم أمتعتنا. ولكن بما أنه لم يزر أي واحد منا الاتحاد السوفيتي من قبل، فلم نعرف على وجه الدقة ما نحمله معنا. كان ذلك في شهر يناير، ومن ثم فقد خمّنا أن البرودة من المحتمل أن تكون قد

وصلت درجة التجمد، طلبنا من الموظفين شراء أكثر أنواع الباركا* دفئاً، وأحذية طويلة الرقبة، وقبعات تناسب ذلك.

تكوَّن وفدنا من خمسة أشخاص، بمن فيهم شونج جو-يونج وأنا. ومن الخمسة ذهب اثنان أولاً في 5 يناير 1989 كجزء من فريق المقدمة. أما الثلاثة الباقون- شونج، وأنا وزميل آخر- فسافرنا بعد يومين عبر طوكيو. وعندما ركبنا رحلة شركة إيروفليت الروسية انتابتنا الإثارة. تبادلنا النكات لكي نتخلص من القلق. وحينما وصلت الطائرة إلى أقصى ارتفاع لها، غلب على المشهد رقعة شاسعة من الأرض التي لا نهاية لها. كانت هذه منطقة التندرا الروسية. وحينما كنت أجلس في مقعدي وأنظر إلى أسفل، عرفت أن مستقبل هيونداي، ومستقبل بلادي يرقد هنا.

الفودكا

عُقد اجتماعنا الأول مع غرفة التجارة السوفيتية في الثامنة من صباح يوم الإثنين الموافق 10 يناير 1989. دخلنا في الموضوع مباشرةً. شرحنا أولاً أننا بحاجة إلى إرساء نظام إذا ما أردنا أن نبدأ ونعزّز تعاوناً اقتصادياً بين بلدينا. وهذا من شأنه التسريع بدخول الشركات الكورية إلى الاتحاد السوفيتي. سألنا السوفييت عن المجال الذي يهمّنا أكثر من غيره؛ كأول مشروع مشترك، اقترحنا أن يُسمح لهيونداي بالمشاركة في تطوير المنطقة السيبيرية. ثم تقدمنا بمقترح طموح آخر: إنشاء مجلس مشترك للتعاون الاقتصادي بين كوريا والاتحاد السوفيتي.

لاحظنا أننا نضغط على السوفييت في أولى محادثاتنا على الإطلاق. ففي كوريا، كانت الصحافة تولي أهمية كبيرة للزيارة ذاتها، مشدِّدة على أنها أول زيارة من نوعها تقوم بها

* الباركا parka: معطف سميك من الفرو له غطاء للرأس يرتدى في المناطق القطبية. (المترجم)

شركة كورية إلى الاتحاد السوفيتي. وكان السوفييت على استعداد لاستكشاف إمكانية العمل بهدوء مع شركات من كوريا الجنوبية، لكنهم بالتأكيد لم يكونوا على استعداد لإضفاء الطابع الرسمي على الأمر، من خلال إرساء مجلس مشترك. ومع ذلك، فقد كانت لدينا خطط أكثر طموحاً.

شعر السوفييت بالقلق عندما سمعوا مقترحنا. كان الحذر هو أول ردود أفعالهم. أوضحوا أنهم لا يرغبون في الإعلان على الملأ بأنهم يعملون مع شركات من كوريا الجنوبية. لكننا كنا ننظر إلى ما وراء هذا كله. لم يكن هدفنا النهائي مجرد نيل المزيد من الأعمال لصالح هيونداي أو النهوض بالتعاون الاقتصادي بين كوريا والاتحاد السوفيتي. وكنت مؤمناً على الدوام بأن دخولنا الاتحاد السوفيتي سيكون بداية لقيام علاقات دبلوماسية في نهاية المطاف. سنجعل من الاتحاد السوفيتي صديقاً وليس "العدو الذي يُخشى منه". ذلك ما كنا نريد، أكثر من مجرد نيل حق تطوير سيبيريا أو بناء محطات توليد الطاقة. بيد أن السوفييت كانوا حازمين، ولم يكن من الممكن أن تتقدم محادثاتنا إلى الأمام.

كنت كبير المفاوضين من جانبنا، وكنت أحيط شونج بالتطورات. وعندما أبلغته بردّة الفعل السوفيتية، ثبطت عزيمته. كنا قد بدأنا لتوّنا، ووصلنا إلى طريق مسدود بالفعل، فقال: "ربما كان الأفضل أن نعود أدراجنا الآن. إذا استمروا على هذا النحو، أبلِغهم أننا عائدون، أو يمكنك أن تتولى المسؤولية كاملة، وتحاول إقناعهم". كان مدركاً بأن كثيراً من الشركات الكورية في الوطن تتشوق لسماع الأخبار السعيدة.

عدت وأبلغت نظيري السوفيتي باستعدادنا للمغادرة إذا لم يكن لدى السوفييت الرغبة في مناقشة مقترحنا. قالوا لنا: "افعلوا ما يحلو لكم"، ولم يضيفوا شيئاً. إذا أنهينا محادثاتنا على هذا النحو، فإن خططنا لدخول السوق السوفيتية كانت ستُمنى بالتأكيد بالفشل، فضلاً عن حلمنا بإقامة علاقات دبلوماسية.

كان شونج يأمل في الإبقاء على المحادثات مستمرة. وظللت أُذَكِّر نفسي بأنني لم أكن أتعامل مع رجال أعمال عاديين، وإنما مع رجال أعمال شيوعيين يتعين عليهم الرجوع إلى رؤسائهم، بمن فيهم جهاز أمن الدولة (كي جي بي) المثير للرعب على نطاق واسع. لدى التعامل مع رجال الأعمال الغربيين، كان كل ما عليّ القيام به هو إقناعهم ومحاولة التوصل إلى اتفاق. أما هنا، فلم أكن أتعامل مع مجرد الجالسين أمامي في الجانب الآخر من الطاولة. فقد كان هناك آخرون يلُوحون خلفهم، أي من يملكون الصلاحية لإبرام الصفقات (ونقضها). ومن ثمّ، تبادر إلينا ما إذا كان ينبغي لنا أن نتحدث إلى الرجل نفسه، أي إلى ميخائيل جورباتشوف.

عُلِّقت المفاوضات بشكل مؤقت. عندئذ دعوت نائب رئيس غرفة التجارة السوفيتية، وهو رجل يدعى فلاديمير جولانوف، إلى عشاء خاص. وطلبنا قنينة فودكا مع الطعام. يقال إن على المرء إذا ما أراد أن يتعامل مع السوفييت أن يحتسي الفودكا، والكثير منها أيضاً. واتضح لي صحة هذا الكلام. فالسوفييت عادة ما يميلون لكل من يمكنه احتساء الفودكا؛ فهم سيعاملونك كصديق قديم. والأمر يشبه استحسان الكوريين لمن يمكنهم احتساء السوجو أو أياً من الخمور المحلية.

وفي تلك الليلة احتسيت مع جولانوف الكثير من الفودكا. وكما هي العادة، تمكنت من الاحتفاظ بوعيي على الرغم من الجرعة التي كادت تكون مميتة. وقرب نهاية العشاء، ذكرت لجولانوف مقترحنا من جديد. قلت: "إذا لم تكن في مركز يسمح لك باتخاذ القرار، لماذا لا تدع رئيسي يقابل رئيسك؟ تقول إن رئيسك ليس موجوداً في موسكو حالياً، ولكني أعتقد أنه موجود فعلاً".

كنت أعرف السبب الذي يجعلهم يترددون في أن يُقحم رئيس غرفة التجارة في مفاوضاتنا. أولاً، لم تكن لديهم الرغبة في إعطاء الانطباع بأنهم متحمسون كثيراً. وثانياً، لم

يكونوا راغبين في أن يتحمل رئيس غرفة التجارة العبء في حال تعثر المفاوضات، إذ لن تكون صورة ذلك جيدة.

ومع ذلك، فقد صارحت جولانوف بأفكاري الصادقة، وبينت له الأسباب التي تجعل من الضروري أن تسفر تلك المفاوضات عن نتائج. بينت له كيف أن شونج، بوصفه الرجل الموجود على رأس المؤسسة الخاصة الأكبر والتي تمثّل مصالح جميع الشركات الكورية الرئيسية على مدى الأعوام العشرة الأخيرة، في وضع يسمح له بممارسة الكثير من النفوذ في كوريا. وأبلغته أيضاً بأنني أشغل منصب نائب رئيس غرفة التجارة الكورية على مدى الأعوام الثلاثة عشر الماضية. وأكدت لجولانوف أننا الشخصان اللذان يمكنه أن يثق بهما ويعتمد عليهما إذا كان السوفييت جادّين في العمل مع الكوريين. وقلت له أيضاً كيف أن بإمكان كوريا والاتحاد السوفيتي، حتى من دون إقامة علاقات دبلوماسية، أن يتعاونا اقتصادياً من خلال إقامة مجلس مشترك للأعمال أو عن طريق تمكين غرفتي التجارة من العمل معاً. وختمت بطمأنته بأن الكوريين الشماليين لن يُستفزوا (بالطبع لم يكن من سبيل أمامي لمعرفة ذلك). طلبت منه أن ينقل هذه الرسالة إلى رؤسائه. ردَّ جولانوف قائلاً: "حسناً، لنتكلم عن هذا أكثر غداً". شعرت أن الفودكا كان آتت ثمارها.

لم يكن أحد سيلومنا أو ينتقدنا لو أننا عدنا خاويي الوفاض من زيارتنا الأولى، كنا سنقول بسهولة: إن خلافات أيديولوجية أو نقص الإمكانات الاستثمارية حالت دون أن نحرز أي تقدم. لكنني لم أكن أريد أن أفقد الفرصة.

واستؤنفت المفاوضات في اليوم التالي. وبحلول فترة ما بعد الظهر، حصلنا على وعد من غرفة التجارة السوفيتية مفاده أنهم راغبون في التوصل إلى اتفاق. واقترحوا أن نمضي قدماً من خلال مراسم التوقيع. كان تلك هي الانفراجة التي كنت آملها.

وفي 11 يناير 1989، وقَّعت جمهورية كوريا والاتحاد السوفيتي أول وثيقة رسمية بين البلدين. كانت لحظة تاريخية. وبالنسبة إلى رجل أعمال، ما من بهجة تضاهي لحظة التوقيع على اتفاق. جرّة القلم، ووضع غطاء القلم في مكانه، وتسليم الوثيقة، ومن ثمّ المصافحة؛ هذا هو ما تدور حوله الأعمال. وعلى الرغم من عدم وجود أي اتفاقات بعد، فإن عودة السوفييت إلى طاولة المفاوضات وتوقيعهم وثيقة رسمية أمر جلل. لكن شونج وأنا كنا مفعمين بالنشوة لأننا نجحنا في فتح قناة رسمية مع الاتحاد السوفيتي؛ أي مع عدوّنا على مدى الخمسين عاماً أو أكثر الماضية. استضفنا تلك الليلة عشاءً احتفالياً لأصدقائنا السوفييت (وتدفقت الفودكا مرة أخرى).

وبعد الرحلة الناجحة الأولى، سافرنا إلى الاتحاد السوفيتي مرات عديدة حتى عام 1991. وقام المسؤولون التنفيذيون في هيونداي وحدهم بسبع رحلات إلى الاتحاد السوفيتي في تلك الأثناء. زرنا موسكو ولينينجراد وناخودكا وجمهورية ياقوتيا؛[26] وعبرنا المنطقة الشاسعة من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب. فكلما كانت هناك فرصة، ذهبنا.

وكل صباح، كنا نستيقظ عند الفجر وننطلق لزيارة أماكن. قابلنا محافظين في المقاطعات، ومسؤولين في الحكومة الاتحادية، وقادة جمهوريات مختلفة لمناقشة الأعمال. وكنا نعمل حتى منتصف الليل، نقوم بعدها إما بحضور فعاليات اجتماعية أو استضافتها (نعم، المزيد من الفودكا). كنا نسافر لأكثر من عشر ساعات بالمروحيات، وكانت الرحلات صعبة إلى درجة أن المسؤولين المحليين المرافقين لنا كانوا هم أنفسهم يصابون بالغثيان ويتقيؤون على امتداد الرحلة. أما أنا وشونج فقد كان الحماس يغمرنا. شعرنا وكأننا عدنا إلى الأيام الأولى حيث كنا نعدو ونجيء ليلاً ونهاراً لإنهاء المهام وإيجاد المزيد منها. كنّا متحمسين لوجودنا في الميدان. كنّا نرسم خطّ سيرنا، وندوّن الملاحظات، وكنّا عازمين على إحداث تغيير حقيقي. كنّا في مهمة.

وكان المسؤولون السوفييت يُدهشون لهذا الثنائي الكوري بما كان يتسم به من تركيز وطاقة. كانوا في حيرة من أمرهم، وأقرّوا بأنهم لم يروا قطّ أناساً يطغى عليهم كل هذا الحماس. وقد أثمرت جهودنا؛ فقد فازت هيونداي بعقود كثيرة، بما فيها تشييد معمل للألومنيوم في لينينجراد، ومشروع مشترك للحراجة في المقاطعات البحرية (الكيان الاتحادي بريمورسكيكراي)، ومشروع للبتروكيماويات، وتشييد مصنع يتخصص في لباب الورق في ميناء أولجا، واستكشاف الفحم، وتشييد خط للسكك الحديد في منطقة نريونجري التعدينية، واستكشاف الغاز في ياقوتيا.

وتكاد تكون محفظة هيونداي الاستشارية والتجارية بالكامل في الاتحاد السوفيتي قد رُسمت خريطتها خلال الفترة القصيرة ما بين عامي 1989 و1991 عندما قام رجال هيونداي –وشونج وأنا منهم– شخصياً بتمشيط المنطقة بالكامل. وكثير من تلك المشاريع بدأ بعد فترة وجيزة من الاتفاق عليه؛ وسرعان ما بدأت مشاريع أخرى كثيرة بعد ذلك. لكن، من بين تلك المشاريع الكثيرة، كان المشروع الذي أعتزّ به شخصياً أكثر من غيره هو مشروع استكشاف الغاز في جمهورية ياقوتيا.

ففي عام 1989، وقبل أول زياراتي إلى الاتحاد السوفيتي، سألني أحد المراسلين عمّا أنوي تحقيقه هناك. قلت له إنها زيارتي الأولى، ولا أعرف ماذا ينتظرني، ولذلك لا توجد لديّ خطط ملموسة. أصرّ وسألني عن سبب توجهي إلى الاتحاد السوفيتي. شرحت له حلمي، مشترطاً عليه عدم النشر.

أخبرت المراسل أن القرن الحادي والعشرين ستسيطر عليه الطاقة. ولمزيد من الدقة، سيرتكز على كيفية تطوير الطاقة النظيفة واستخدامها. والغاز الطبيعي، من بين جميع أشكال الوقود الأحفوري المستخدَمة، يُعدّ نظيفاً. ولذلك، فإن الطلب على الغاز الطبيعي سيشهد زيادة كبرى مع بداية تطوُّر الدول بوتيرة سريعة. والغاز الطبيعي يمكن العثور

عليه في دول كثيرة في الغرب، لكن مشكلتنا تكمن في أن علينا نقله عن طريق البحر. كما أن علينا تسييله لنقله بحراً، وكنّا بحاجة إلى مصنع مستقل لهذه العملية وحدها. وكان ذلك يعني تكلفة مضافة. وعلاوة على ذلك، كنا بحاجة إلى بناء سفن مصمَّمة خصيصاً لنقل ذلك الغاز الطبيعي المسال، ومرافق تخزين منفصلة، ومرفق منفصل لإعادة الغاز المسال إلى حالته الأصلية. وبذلك، فإن العملية برمّتها كانت مكلفة، وكانت تتطلب مرافق إضافية، وكانت تنطوي على درجة كبيرة من التعقيد. وعلاوة على ذلك، فإن الغاز الطبيعي المستمَد من مصادر موثوق بها في الكثير من البلدان الغربية، كانت اليابان تهيمن عليه بالفعل. وكان المصدر الوحيد الذي لم تستغله اليابان بعد هو الاتحاد السوفيتي. وعندما نظرنا إلى الاحتياطي من الغاز الطبيعي المعروف أنه موجود في المنطقة السوفيتية، رأينا أن الكثير منه يقع بالقرب من شبه الجزيرة الكورية. قلت للمراسل إن حلمي هو تطوير هذا الغاز الطبيعي وإحضاره إلى كوريا عن طريق البرّ.

ومما يؤسف له أن المراسل نكث الوعد ونشر تحقيقاً مع العنوان الرئيسي يقول: "الغاز الطبيعي السيبيري إلى كوريا عبر كوريا الشمالية". خدعني المراسل (سجل سرًّا الحديث وبثّه أثناء نشرة أخبار المساء). لكن الأمل كان يزداد لديّ بأن حلمي سيتحقق عندما أزور الاتحاد السوفيتي.

وفي أوائل عام 1990، عندما كنت في موسكو، دعتنا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي لأول مرة إلى مناقشة وضع العلاقات الثنائية والآفاق المستقبلية للتعاون الاقتصادي. وأثناء ذلك الاجتماع، أبلَغنا رئيسُ الشعبة الدولية التابعة للجنة أن الاتحاد السوفيتي يرى كوريا شريكا تجارياً جذاباً منذ فترة طويلة تسبق بكثير جورباتشوف وحقبة إعادة البناء (البيريسترويكا) والانفتاح (جلاسنوست). وأبلغنا المسؤول أن كثيرين في إدارته يتوجّسون من حضور "أولمبياد سيول 1988"[27] لعلمهم أن كوريا أحد الحلفاء

المقرّبين إلى الولايات المتحدة، واعتقادهم أن كثيراً من الكوريين لديهم أفكار منحازة بشأن الاتحاد السوفيتي. وقد كان ذلك أحد الأسباب التي جعلت السوفييت يقرّرون اصطحاب وفد كبير من الفنانين والمؤدين على مستوى عالمي لتبديد بعض التوتر القائم بين كوريا والاتحاد السوفيتي. بيد أن المسؤول أخبرنا أنه فوجئ بأن مستوى العداء في صفوف الكوريين العاديين تجاه الاتحاد السوفيتي كان أقلّ بكثير مما كان يتوقع، ومع مرور الوقت وجدوا أن الكوريين مرحّبون بهم. وفي النهاية، سُرَّ السوفييت بالنتائج التي أسفرت عنها أولمبياد سيول الصيفية لعام 1988، وعادوا إلى الوطن والأمل يملؤهم.

كما ازداد اهتمامهم بالعمل مع الشركات الكورية، مثل هيونداي وسامسونج ودايو. وقد حلَّل السوفييت بكثير من التفصيل مكامن قوة كل شركة، وكانوا يفكرون بالفعل في المجالات التي ستناسب كلاً منها. وفيما يخص هيونداي، كان المسؤول يدرك أننا الشريك الأنسب في مجالات التشييد والصناعات الثقيلة، وكان يرانا مثاليين من أجل تطوير المنطقة السيبيرية، وغير ذلك من مشاريع البنية الأساسية.

وخلال هذا الاجتماع، كان نائب رئيس الوزراء في جمهورية ياقوتيا حاضراً. وقال المسؤول، إن نائب رئيس الوزراء سافر إلى موسكو جواً لمدة سبع ساعات لمقابلة وفد هيونداي. وبمجرد انتهاء الإيجاز الذي قدمته اللجنة المركزية، أخرج نائب رئيس الوزراء خريطة بلده وبدأ في الشرح بجدية. صُعقنا. كنا نعلم أن جمهورية ياقوتيا من بين المناطق الأغنى في العالم من حيث الموارد الطبيعية، لكننا انبهرنا بمدى ذلك الغنى وتنوعه. ويقال إن الله عندما خلق الكون مضى ينثر الموارد الطبيعية في جميع أنحاء الأراضي والبحار؛ لكن عندما قدم إلى الأجواء فوق ياقوتيا، كان الطقس شديد البرودة مما أدى إلى السقوط غير المقصود لكل ما كان بيديه. بعد الاستماع إلى الإيجاز، لم تكن هناك صعوبة في تصديق القصة.

وقال نائب رئيس الوزراء لدى انتهائه من تقديم عرضه إنه يأمل أن تقوم هيونـداي بزيارة جمهورية ياقوتيا، فوعدناه بأننا سنقوم بذلك. وبعد ستة أشهر، كنّا هناك.

تقع جمهورية ياقوتيا شمال الصين مباشرة. وإذا ركبنـا طـائرة مـن سـيول وتوجهنـا شمالاً، فسنصل إلى هناك في غضون أقلّ من ثلاث ساعات. ويقع البلد عـلى خـط الطـول نفسه الذي توجد عليه كوريا، مما يجعله مكاناً مثالياً للتعامل التجاري عـلى اعتبـار أنـه لا يوجد فرق في التوقيت.

وعندما وصلنا إلى عاصمتها ياكوتسك، اصطحبنا المسؤولون في الحكومـة إلى دار ضيافة الدولة. كان الهواء مليئاً برائحة الدهان الحديث وبـدت الجـدران جديـدة تمامـاً. نزلنا بغرفنا واغتسلنا، ثم قابلنا رئيس الوزراء وكذلك نائبـه. مـن بعـد ذلـك، توجهنـا مباشرةً نحو الميادين.

كان أول موقع نجري عليه مسحاً، هو حقـل الغـاز "كيـسير–سـير" (Kisir-Sir) الواقع عند ضواحي بلدة فيليويسك. كان يبعد سـاعتين بالطـائرة عـن العاصـمة. وكـان الحقل غير مطوَّر بعد، لكنه من حيث الاحتياطي كان ثاني أكبر حقل في الاتحاد الـسوفيتي. وكان باستطاعة المرء رؤية اللهب الذي يتراوح لونه بين الأزرق والرمادي وهـو يتـصاعد من حقل الغاز ويضيء السماء في الليل؛ كان جميلاً على نحو مخيف.

ثم ركبنا مروحية وزرنا منجماً للألماس بالقرب مـن مكـان يُـدعى مـيرني. ومـنجم الألماس هذا بالذات يسجل ثاني أعلى معدل إنتاج على مستوى العالم بعد جنـوب أفريقيـا. وكان هناك معمل قريب لمعالجـة الألمـاس. وفي صـباح اليـوم التـالي، اسـتيقظنا مبكـرين، وتوجهنا إلى بلدة تُدعى آلدان. وهذه المرّة زرنا منجماً للذهب.

من بعد ذلك زرنا منجماً للفحم في ناريونجري. وكان منجم الفحم هو أكبر منجم لفحم الحفرة المفتوحة في العالم. وكان حجمه في حد ذاته كفيلاً بأن نُدهش. كانت هناك بلا مبالغة جبال من الفحم، وكان كل ما عليك عمله هو الجرف منها. وفكّرت في عمّال المناجم في كوريا الذين يضطرون للحفر مئات الأقدام تحت الأرض لاستخراج الفحم. وجال بخاطري أن الله لم يكتفِ بإلقاء ما كان بيديه فوق ياقوتيا؛ لقد أنعم على المنطقة بالكامل بأثمن الهدايا التي يمكن أن تخطر لبشر.

ومما يتناسب مع حجم المنجم، كانت معدات النقل هناك على الدرجة نفسها من الإبهار. فقد كان وزن آلات النقل الهائلة يتراوح ما بين 80 و120 طناً للواحدة. وهناك الملايين من أطنان الفحم من هذا المنجم التي تستوردها اليابان كل عام.

ثم اصطحبنا المسؤولون في ياقوتيا إلى منجم فحم قريب غير مطوَّر، لكنه واعد إلى أقصى درجة. وهذا هو المنجم الذي كانوا يأملون أن نطوّره لهم. وكانت خطتهم الطموحة تدعو إلى أن نتولى تطوير هذا المنجم، ومن ثمّ تصدير الفحم إلى كوريا الجنوبية.

وكي تتحقق هذه الخطة، كان هناك عدة أشياء يجب عملها. أولاً، كان لابد من ربط المنجم بخط السكة الحديد العابر لسيبيريا حتى يمكن نقل الفحم إلى فلاديفوستوك؛ ثم يُنقل الفحم من فلاديفوستوك إلى ميناء بوسييت، الواقع شمال نهر تومان (وهو نهر بطول 521 كيلومتراً يمثّل الحدود بين كل من الصين وروسيا وكوريا الشمالية أقصى شمال شبه الجزيرة الكورية). ومن هناك، يُجلب الفحم إلى كوريا الجنوبية إما عن طريق البحر أو البر. وكانت للمشروع ركيزتان أساسيتان: الأولى هي تطوير المنجم، والأخرى كانت إرساء البنية الأساسية للسكك الحديد التي ستربطه بخط السكة الحديد العابر لسيبيريا. وبدأت حكومة ياقوتيا وشركة هيونداي دراسة هذين المشروعين. كنّا مهتمين أساساً بإمكانية استغلال

الطريق البرّي عبر كوريا الشمالية. سيتسنى لنا، إذا أمكن، نقل الفحم من فلاديفوستوك عن طريق نهر تومان عبر كوريا الشمالية وصولاً إلى كوريا الجنوبية، وكل هذا عن طريق البر. وعلى مدى أيام، انضم إلينا مسؤولون رفيعو المستوى من حكومة ياقوتيا في رسم الخرائط وإجراء مسوحات دقيقة للأراضي. سافرنا بالمروحيات لساعات طوال.

ومع تقدُّم المحادثات المحدَّدة بشأن تطوير احتياطي ياقوتيا الهائل من الفحم، كان حلم استغلال احتياطي ياقوتيا الهائل من الغاز ما يزال يراودني. فالتقديرات تشير إلى أن احتياطي ياقوتيا من الغاز يصل إلى نحو ستة مليارات طن. وتلك كمية من شأنها تلبية احتياجاتنا من الطاقة للسنوات الخمسين القادمة، حتى مع حساب الزيادة السريعة في الاستهلاك.

وبما أن سكان ياقوتيا كان عددهم أقل قليلاً من المليون نسمة، فإن السوق المحلية لم تكن كبيرة بما يكفي؛ وكان عليهم تصدير الفائض. وكانت المسألة تتعلق بوجهة تلك الصادرات. فأوربا شديدة البعد جغرافياً، ولا تمثل بالتالي خياراً ناجعاً اقتصادياً. ولا يبقى غير الشرق الأقصى. كان كل ما علينا عمله، هو نقل الغاز لمسافة 3800 كيلومتر لبلوغ كوريا. وهذا الغاز كان موجَّهاً إلى كوريا، وهي أرض تفتقر عملياً إلى موارد طبيعية ذاتية. شعرت كأن الله بارك في ياقوتيا من أجلنا.

بطبيعة الحال، كانت هناك الكثير من العقبات التي ينبغي تجاوزها قبل أن نصبح قادرين على تحقيق هذا الحلم. أولاً، حتى إذا توصلنا إلى اتفاق مع حكومة ياقوتيا لتطوير احتياطيها من الغاز، كان علينا الحصول على الإذن من الحكومة الاتحادية. وحتى إذا تمكنّا من تلبية جميع المتطلبات الإجرائية والقانونية، كان علينا مواجهة واحدة من أقسى بيئات العمل على وجه الأرض. ففي الشتاء، تنخفض درجة الحرارة في ياقوتيا إلى 40 درجة مئوية تحت الصفر، ويبدو الليل وكأنه سيستمر إلى ما لا نهاية. وفي الصيف، ترتفع درجة

الحرارة إلى ما يزيد على 40 درجة مئوية، وتظل الشمس مشرقة لنحو تسع عشرة ساعة في اليوم. ولا توجد بنى أساسية رئيسية، مثل الطرق والمساكن.

وبسبب تلك الظروف القاسية، هناك الكثير من البلدان والمستثمرين من القطاع الخاص الذين قدموا وانبهروا بالإمكانات، ثم عادوا أدراجهم محركين رؤوسهم في تمنّع. لكن ذلك كان هو بالضبط السبب الذي يجعل ياقوتيا واعدة إلى هذه الدرجة بالنسبة إلى كوريا. فبالنسبة إلى الآخرين، كانت تُعَد جذابة ولكنها بعيدة المنال؛ أما بالنسبة لنا فكانت مجدية. لقد كانت هيونداي معتادة على الظروف القاسية.

وبالنسبة إلى أي بلد، فإن جلب الموارد عن طريق البرّ هو في الأساس أفضل من جلبها عن طريق البحر. فقد أنشأ الأوربيون خط أنابيب بطول 6500 كيلومتر للوصول إلى الغاز الطبيعي في شرق جبال الأورال. أما نحن، فكنا بحاجة إلى خط أنابيب لا يزيد طوله على 3800 كيلومتر. وكنت أفكر للمستقبل أيضاً من خلال نقل الغاز من ياقوتيا عبر كوريا الشمالية إلى اليابان، عن طريق بناء نفق تحت الماء يصل بين كوريا واليابان. ومثل ذلك النفق بين كوريا واليابان لن يتعدى طوله 200 كيلومتر.

وهذا المشروع ليس من شأنه إيصال الغاز الطبيعي فحسب، بل سيخلق منطقة صناعية في شمال شرقي آسيا. ذلك أن خط الأنابيب الممتد عبر مثل تلك المنطقة الشاسعة سيكون بمنزلة سلسلة تربط تلك المناطق المختلفة ببعضها. وعندما تبدأ التنمية في المقاطعة البحرية، ومقاطعتي جيلين وهيلونجيانج في شمال شرقي الصين، وكوريا الشمالية، وهي مسألة وقت ليس أكثر، فإن عطش تلك المناطق للطاقة لن يكون قابلاً للإشباع. وبالنسبة إلى تلك المناطق، فإن إيجاد مصدر مأمون للطاقة سيكتسب أهمية حيوية. وفي وجود خط للأنابيب، فإن تلك المنطقة لديها من الإمكانات كي تصبح مركزاً قوياً للنشاط الاقتصادي. ومن الطبيعي أن التجارة والأنشطة الأخرى، وكذلك المشاريع الهائلة في مجال البنية الأساسية، ستأتي تباعاً. ذلك كان مشروعي العظيم، ومنتهى أحلامي.

بعد انتهائنا من استكشاف هذه الأرض المليئة بالكنوز، أبرمنا اتفاقاً مع السوفييت على ظهر يخت في نهر لينا. ولينا، الذي يبلغ طوله 4000 كيلومتر، نهر عظيم يتدفق عبر سهول ياقوتيا. وكان أحد أطول ثلاثة أنهار في الاتحاد السوفيتي. ويقطع النهر مساحات التندرا في سيبيريا، قبل أن يصب في بحر لابتيف. وعند إحدى النقاط، يكون النهر بعرض 12 كيلومتراً بحيث يستحيل رؤية الساحل بالعين المجردة إذا كان المرء طافياً في منتصف النهر. وسكان ياقوتيا يهتمون بالمظهر، ويتصفون بالرقي. واليخت الفاخر الذي كنا نستقلّه مستورد من هولندا، وكان مزوداً بأحدث الأجهزة. وتم تجهيز الكثير من الأطعمة والنبيذ الفاخر. لكن على الرغم من الطعام الشهي والمناظر الخلابة، فإن للعمل جديته.

خضنا مفاوضات شرسة. وفي إحدى المراحل، كان الاتفاق على وشك الانهيار. كان كل جانب يتجمع عند طرف مقابل لليخت لمناقشة الاستراتيجية. ومضت ساعتان ونحن نحملق ببعضنا من دون أن نتفوه بكلمة، على أمل أن يذعن الطرف الآخر. ولحسن الحظ، تم التوصل إلى اتفاق في اللحظة الأخيرة. وكما هي الحال دائماً، فإن التوصل إلى اتفاق بعد كل هذا العناء له مردوده. فقد أصبحنا نحترم بعضنا بعضاً، وهو جزء مكمِّل لأي شراكة تجارية.

وتوصلنا إلى اتفاق نهائي، ووضعنا الشروط التي تشارك بمقتضاها هيونداي في تطوير مناجم الغاز الطبيعي والفحم في ياقوتيا، وكذلك إنشاء شبكة السكك الحديد. توجهنا إلى موسكو للحصول على الإذن من الحكومة الاتحادية، وهو ما مُنح على الفور تقريباً. ثم انتقلنا إلى توقيع اتفاقنا على ظهر يخت في نهر موسكو (يبدو أن السوفييت كانوا مغرمين بتوقيع مثل تلك الاتفاقات على متن اليخوت). وكان نائب رئيس وزراء ياقوتيا، وشونج جو-يونج، وأنا، الأطراف الموقِّعة.

أما ما يؤسف له، فهو أن المشاريع عُلّقت مع انغماس هيونداي في السياسة الداخلية (من باب الدقة، شونج جو-يونج، هو الذي أصبح منغمساً في السياسة). وعلاوة على

ذلك، أصبح الوضع السياسي داخل الاتحاد السوفيتي أكثر تقلباً، وتدهورت العلاقات بين الكوريتين مما أدى إلى أن تتأخر مشاريعنا أكثر. من هنا، فإن ممارسة النشاط التجاري في الاتحاد السوفيتي لم يكن بالأمر السهل. لكن الأمر كان يستحق. كما كنا محظوظين في مناسبات عدّة، مثل المرة التي أتيحت لنا فيها مقابلة واحد من أهمّ الشخصيات السياسية في القرن العشرين. وأعتقد أن المشاريع ستُستأنف يوماً ما، وآمل أن يكون ذلك قريباً. وإلى ذلك الحين، فإن حلمي سيستمر.

مقابلة جورباتشوف

أثناء زيارتي السابعة إلى موسكو، في نوفمبر 1991، استدعاني على عجل نيكولاي بيتراكوف، والذي كان عندئذ المستشار الخاص للرئيس ميخائيل جورباتشوف للشؤون الاقتصادية. طلب بيتراكوف أن آتي لمقابلته وحدي. وأحسست أنه يريد أن يناقش معي أمراً مهماً. وبمجرد أن دخلت مكتب بيتراكوف، الذي كان يوجد مقابل مبنى الكرملين مباشرةً، سألني: "هل أنت مهتم بمقابلة الرئيس جورباتشوف"؟

فوجئت ولكني أجبت بهدوء، "بالطبع يا نيكولاي. سيكون لنا الشرف أن نلتقي بفخامته! لقد كان ذلك أعظم آمالنا على الدوام. سنكون سعيدين جداً بأن نشرح لفخامته خططنا فيما يخص الاتحاد السوفيتي وأن نتعرّف على أفكار فخامته".

وبما أن بيتراكوف كان يجسّ نبضي، خمّنت أنه قد تطرّق إلى هذا الموضوع مع الكرملين بطريقة أو بأخرى. وعلى أية حال، كانت تلك لفتة غير مسبوقة من جانب السوفييت. طلب مني بيتراكوف أن أوافيه بقائمة بأسماء من يرغبون في حضور الاجتماع. كما طلب مني أن أَعِد بعدم إبلاغ أحد بالأمر.

عندما عدت وقدَّمت تقريراً عن اجتماعي إلى شونج، قال بحماس: "لي ميونج-باك، حَضِّر ما سنقوله للرئيس جورباتشوف. وأنت تعلم أن فريق أخبار هيئة الإذاعة الكورية موجود. تفاوَض مع الكرملين للسماح لأعضاء الفريق بالدخول لتصوير الاجتماع".

وفي صباح اليوم التالي، استدعاني بيتراكوف. طلب إليّ مرة أخرى القدوم منفرداً. وقال بيتراكوف: "تقرَّر أن يكون اجتماعكم مع الرئيس جورباتشوف غداً الساعة الخامسة مساءً في الكرملين. لن يُسمح بالدخول سوى لك ولشونج جو-يونج ولمترجم واحد. أرجوك أن تعلمني بالمترجم الذي ستحضره".

وهنا بدأت الأمور تتعسر. لم يكن لدينا برنامج رسمي قبل اجتماعنا المقرر في الساعة الخامسة في اليوم التالي. وأبلغ مديرُ مكتبنا في موسكو شونج بأنه قد أعدَّ اجتماعاً مع رئيس جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية، نظراً لأن هيونداي كانت لديها أعمال كثيرة في روسيا. كان مقرَّراً للاجتماع هذا أن يُعقد في الثانية من بعد ظهر اليوم السابق لاجتماعنا المقرَّر مع جورباتشوف. وأكد لنا مدير المكتب أن لقاء رئيس الجمهورية الروسية سيساعد الأعمال بدرجة كبيرة. ولذلك، توجهت مع شونج ومدير مكتبنا في موسكو لزيارة رئيس الجمهورية الروسية. أجرينا اجتماعاً مثمراً انتهى بتوقيع اتفاق ينص على أن تتولى شركة هيونداي توريد السلع التي تحتاج إليها الجمهورية، وعلى أننا سنتلقى دفعاتنا في شكل مواد خام. وقامت أطقم من قنوات تلفزيونية في كل من كوريا وروسيا بتصوير مراسم التوقيع وبثّها. وبُثَّت مراسم التوقيع في التلفزيون الحكومي، كما كتبت عنه الصحف. وكان النفط أحد بنود قائمة المواد الخام التي ستوفرها الجمهورية الروسية. وكانت التجارة في بعض الموارد، مثل النفط والغاز الطبيعي والذهب تستدعي موافقة الحكومة الاتحادية، لكننا لم نكن محيطين بهذا الحكم في ذلك الوقت.

بعد ذلك، اتصل بيتراكوف وقال إنه يريد مقابلتي على الفور. هرعت إلى مكتبه شاعراً بأن شيئاً ما ليس على ما يرام. عندما دخلت مكتبه، كان الإحباط بادياً عليه. انفجر

قائلاً: "لقد ارتكبتم خطأً جسيماً؛ لقد انتهكتم واحدة من أهم سياسات الحكومة الاتحادية. لقد أُلغي اجتماعكم مع الرئيس، وعليكم ألا تتوقعوا أي عون منّا في المستقبل".

صُدمت. قلت له: "ماذا تعني؟ إننا لم نكن نعلم أصلاً بوجود مثل تلك السياسة! إذا كنت تريد أن تلقي باللائمة على أحد، عليك أن تلوم الجمهورية الروسية لتوقيعها الاتفاق مع علمها بوجود ذلك الشرط. حسناً، أمر بالغ السوء أن يُلغى اجتماعنا مع الرئيس. لكن لا يمكنني أن أقبل ما قلت من عدم التعاون معنا". لم يتأثر بيتراكوف؛ وقال لي: إن المقابلة انتهت.

عندما أخبرت شونج بما حدث، أصيب بخيبة أمل شديدة. وتوجه إلى فندقه ولم يخرج مرة أخرى. وبدا أن أمر دخولنا إلى الاتحاد السوفيتي أصبح منتهياً. واكتشفنا في مرحلة لاحقة أن العلاقة المهتزة بين جورباتشوف وبوريس يلتسين، رئيس الجمهورية الروسية، بدأت بحلول ذلك الوقت في الانهيار. ونظراً لعدم إدراكنا لهذا التطور، فإننا لم نتمكن من الاستجابة بما يتطلبه. دخلنا بلا قصد في معركة بدأت تحتدم بين هذين العملاقين.

هدَّأت أولاً من روعي. حاولت التفكير في سبيل لحلّ هذه المسألة. أدركت أنني بحاجة إلى التحدث إلى بيتراكوف وتليينه. ثم قررت أن عليّ أن أتحدث إليه بالروسية. فالتحدث بالإنجليزية معه لم يكن كافياً لإيصال مشاعري الحقيقية. كنت بحاجة إلى مترجم روسي.

طلبت السيد يو هاك-جو. والسيد يو وُلد في كوريا الجنوبية، لكن لدى اندلاع الحرب الكورية فرَّ إلى كوريا الشمالية وانتهى به المطاف للاستقرار في الاتحاد السوفيتي. وكان مؤرِّخاً بحكم طبيعة عمله ومديراً لشؤون شرق آسيا في معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية. كان من المقرَّر أن يكون السيد يو هو مترجمنا أثناء الاجتماع مع الرئيس

جورباتشوف، ولذلك كان اسمه قد بُلِّغ إلى الكرملين (عمل السيد يو لاحقاً كمترجم اللغة الروسية للرئيس روه تاي-وو، أثناء اجتماع القمة الذي عقده مع الرئيس جورباتشوف).

اصطحبت السيد يو لمقابلة بيتراكوف. رفض بيتراكوف ببرود طلب مقابلتي عدة مرات. وعندما أبلغت مكتبه بأنني أودّ أن أقول له شيئاً قبل عودتي إلى كوريا، وافق على لقائي في نهاية المطاف. كانت الساعة الخامسة مساء. توسلت إلى بيتراكوف قائلاً: "انظر يا نيكولاي، أعتذر لك إن كنّا أسأنا إليكم، لكنني أؤكد لك أن الأمر لم يكن مقصوداً. إنني أعرف أنك مهندس بيريسترويكا الرئيس جورباتشوف، وإننا ممتنّون لك لأنك كنت لنا المرشد. لقد كنّا دائماً راغبين مخلصين في تمهيد الطريق صوب علاقة مفيدة للطرفين. لكن إذا كانت جميع جهودنا ستذهب سدى لأننا ارتكبنا خطأً واحداً، عندئذ أخشى أن يكون ذلك بلاءً علينا جميعاً".

كان يتطلع صوب الاتجاه الآخر عندما كنت أتكلم بالكورية، لكنه بدأ في الاستماع عندما كرّر السيد يو ما قلته بالروسية. واصلت حديثي قائلاً: "نيكولاي، إنني أطلب منك كصديق. سوف نندم إذا لم نقابل الرئيس جورباتشوف. لكن ليس هيونداي وحدها التي ستندم، فهي خسارة كبيرة بالنسبة إلى بلدكم أيضاً. أرجوك لا تقم بشيء تعلم أنك ستندم عليه لاحقاً". عندما انتهى السيد يو من الترجمة، طلب منا بيتراكوف الانتظار بينما خرج من الغرفة.

كنت متوتراً. لم أكن أعرف إن كان بصدد منحنا فرصة أخرى أم لا. وبينما أنا أنتظر بصبر، اتصل بي شونج؛ كان هو أيضاً متلهفاً لسماع الأخبار.

وبعد مدة طويلة، عاد بيتراكوف. قال: "أتفهّم ما تقول. دعني إذاً أقدم لك اقتراحاً. أريدك أن تعقد مؤتمراً صحفياً مع وكالة تاس للأنباء وأن تقرأ هذا البيان. ومدّ لي

قصاصة ورقية. جاء فيها: أساساً، إن هيونداي تبطل الاتفاق مع الجمهورية الروسية لأن هيونداي وقَّعت الاتفاق من دون أن تدرك الشرط التجاري. وأخبرني بيتراكوف أنه سيعيد النظر بمجرد نشر خبر بهذا المعنى في الصحف.

وجدنا أنفسنا من حيث لا ندري محاصرين في معركة بين الحكومة الاتحادية والجمهورية الروسية. كان علينا أن نحترس؛ لم يكن أحد يدري على نحو قاطع كيف ستتطور الدراما السياسية في الاتحاد السوفيتي. لم يكن بوسعنا المجازفة باستعداء طرف لمصلحة الآخر. لم يكن يصح لنا أن نقف في صف أحد الطرفين.

وبعد تفكير مليّ، قررت أن أعقد المؤتمر الصحفي. وافق بيتراكوف على إرسال مراسل مخصَّص. وحتى يُعقد اجتماعنا مع الرئيس جورباتشوف كما هو مخطَّط له، كنا بحاجة إلى أن يُنشر هذا النص في الصحف بحلول الخامسة من مساء اليوم التالي. ولم يكن لدينا متسع من الوقت.

وفي اليوم التالي، جاءنا مراسل من "تاس" في الصباح الباكر. كان محيطاً بالموقف على نحو كامل. أجريت تغييرات طفيفة على البيان الذي كان بيتراكوف قد أعطانيه؛ شعرت أن عليّ أن أؤمِّن موقفي. لم أكن على وشك الوقوف في صف أحد الطرفين، وخصوصاً عندما يكون الموقف بهذه الدرجة من عدم الاستقرار وعدم القدرة على التنبؤ. أدخلت عبارات مثل: إننا لا "نبطل" هذا الاتفاق وإننا "نشير مجرد الإشارة إلى أنه يستحيل علينا أن ننفذ بإخلاص اتفاقاً وقعه طرفان أغفلا عن طريق الخطأ بعض السياسات". كنت ألعب بالكلمات.

وظهر موضوع المؤتمر الصحفي الذي عقدته في الصحف قبل الظهر. ثم تلقيت مكالمة هاتفية من بيتراكوف يطلب مني الحضور للقائه. كان عليّ أن أفسِّر الاختلافات بين

البيانين. قلت له: "قلتَ لي بالأمس عليَّ أن أُبطل الاتفاق؛ لكن إذا فكرت في الأمر فستجد أن الإلغاء ينطبق على الوثائق الموقَّعة قانونياً. واتفاقنا مع الحكومة الروسية ينطوي على انتهاك للسياسات القائمة، وعليه فهو من الناحية التقنية اتفاق غير صحيح أصلاً، ومن ثم لا يتطلب إبطالاً. ولذلك، فإن القول بأنه لا يمكن أن يدخل حيز النفاذ حتى يُراجَع، تعبير أقوى بكثير من مجرد استخدام كلمة إبطال".

أومأ بيتراكوف موافقاً ودخل الغرفة الأخرى. وعندما عاد، كان في حالة معنوية جيدة. قال: "جيدا لقد سُمح لكما بمقابلة الرئيس في الخامسة من مساء اليوم كما كان مقرَّراً".

استأذنت وأبلغت شونج. وبينما كان موقفي جيداً، طلبت من بيتراكوف أن يسدي لي صنيعاً آخر. طلبت إليه السماح لطاقم هيئة الإذاعة الكورية بتصوير الاجتماع. في البداية، ساق بيتراكوف الشواغل الأمنية، ثم سرعان ما لان.

وصلنا إلى الكرملين في الموعد المحدد، واصطُحبنا إلى غرفة الانتظار. وفي تمام الخامسة جاء سكرتير ليخبرنا أن الرئيس سيتأخر قليلاً وطلب منا بأدب الانتظار لخمس عشرة دقيقة أخرى. انبهرت بعمق تفكير الرئيس جورباتشوف. فقد كان طبيعياً أن يُترك رجال الأعمال ينتظرون لثلاثين دقيقة وربما حتى لساعة من دون أي إيضاح عندما يكونون بصدد اجتماع مع أحد رؤساء الدول. لم يكن هناك الكثير الذي بوسعنا عمله. وبالتأكيد لم نكن لنشكو.

وأخيراً، وصل الرئيس جورباتشوف. وبعد التقاط الصور التذكارية، جلسنا واستهل حديثه بالاعتذار. قال: "آسف جداً على التأخير. كان عليّ تسلُّم أوراق اعتماد سفراء من خمسة بلدان مختلفة. لا يحدث كثيراً أن ألتقي السفراء، لذا قررت تناول الشاي معهم. لكن كما تعلمون، السفراء متحدثون. لديهم الكثير ليقولوه. آسف مرة أخرى على التأخير".

كان جورباتشوف واسع الاطّلاع فيما يخص تاريخ كوريا والاتحاد السوفيتي، وكان شديد الصراحة أيضاً. شاطرنا قلقه بشأن مستقبل الاقتصاد السوفيتي، وقال إن بلده بحاجة إلى مساعدة رجال الأعمال الكوريين. قال: "قبل مئتي عام، قال عالم مشهور، هو من أسس ما أصبح الآن الأكاديمية السوفيتية: إن تنمية الاتحاد السوفيتي ستأتي من الشرق. إذا أردنا تطوير منطقتنا الواقعة أقصى الشرق، علينا أن نتعاون مع أصدقائنا في الشرق الأقصى. ولذلك آمل أن تضطلع كوريا بدور مهم في هذا الشأن".

ثم قال شيئاً بدا لنا غير مألوف بدرجة كبيرة، وخصوصاً عندما يصدر عن زعيم العالم الشيوعي: "عندما قُسمت شبه الجزيرة الكورية إلى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، كانت كوريا الشمالية أكثر تقدماً بكثير، حيث كان فيها أحدث المجمّعات الصناعية، وكان دخل الفرد فيها أعلى من مثيله لدى كوريا الجنوبية. في ذلك الوقت، كان بلدكم يعيش على الزراعة وبعض الصناعات الأولية المحدودة. أما اليوم، فإن كوريا الشمالية أفقر منكم بكثير. هل تعرفون السبب"؟

لم نتمكن من فهم ما يرمي إليه. ثم قال جورباتشوف: "لأن كوريا الشمالية اختارت الشيوعية بينما اخترتم أنتم الرأسمالية".

كان الاستماع إلى رئيس الاتحاد السوفيتي وهو يعترف بإخفاق الشيوعية أمراً له مغزاه. كنّا مجرد رجلَي أعمال من بلد لم تكن تربطه بعد علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي. لكن جورباتشوف أدرك انعطاف مسار التاريخ، وأظنه كان يعرف الوجهة التي يسير العالم نحوها. وأعتقد أن قدرته على رؤية العالم على حقيقته وعلى الاعتراف بصدق بأخطاء الماضي هي التي مكّنته من قيادة بلده نحو الاستقرار على الرغم من التقلبات الصاخبة والمعارك الأيديولوجية التي ستبتلعه خلال فترة وجيزة.

ومضى جورباتشوف قائلاً: "السوفييت هم من أرغم الكوريين الشماليين على تبنّي الشيوعية. ولذلك، فإن الاتحاد السوفيتي مسؤول عن كثير من المشاكل التي تواجهها كوريا الشمالية اليوم. قبل تقسيم شبه الجزيرة، أعرف أن الكوريتين كانتا تتقاسمان اللغة نفسها والثقافة نفسها. كنتم شعباً واحداً. ولا أعرف متى يحين الوقت، ولكن عندما تقيم كوريا الجنوبية والاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية ونشرع في توسيع نطاق تعاوننا الاقتصادي، فلنتقاسم الثمار مع كوريا الشمالية. هناك مسؤولية أخلاقية تقع على كاهل الاتحاد السوفيتي للقيام بذلك".

انبهرت ببصيرته ورؤيته. أوجز جورباتشوف الأهمية الاقتصادية للتعاون الاقتصادي بين كوريا الجنوبية والاتحاد السوفيتي. وكان صادقاً في إطلاعنا على رؤيته بشأن مستقبل بلدينا، وواضحاً حتى الصرامة عندما يتعلق الأمر بتعزيز علاقتنا الثنائية. كما أنه لم ينسَ أن يعدنا بأنه سيفعل قصارى ما في وسعه للنهوض بالأعمال الكورية ودعمها داخل الاتحاد السوفيتي.

كان اجتماعنا مع جورباتشوف ناجحاً. وانفرجت أسارير شونج ودبت فيه الروح من جديد. وقال لي شونج: "أما وقد قابلنا جورباتشوف فلنذهب لمقابلة بوش"! وانتهى بنا المطاف بزيارة الولايات المتحدة بالفعل، وكذلك الصين، وأخيراً بيونج يانج، عاصمة كوريا الشمالية. وأعتقد أن شونج بدأ يشعر بأن له دوراً سياسياً عليه الاضطلاع به. وفي الواقع، كان أول شخص من كوريا الجنوبية يحرز مثل ذلك التقدم التاريخي. وفي ذلك الشأن، كان رائداً. وقد ظل فخوراً بذلك.

أما بالنسبة لي فقد كنت سعيداً بأداء ما أسمّيه آخر واجباتي نحو هيونداي.

الفصل الخامس عشر

مغادرة هيونداي

استعرضت حياتي. لست نادماً على شيء. واتضح لي أن الوقت قد حان لسلوك درب جديدة.

في 31 ديسمبر 1991، اصطحبت أسرتي إلى جزيرة جيجو، وهي مكان مشهور لقضاء الإجازات، وإحدى وجهات شهر العسل لدى كثير من الكوريين. كانت تلك أول إجازة عائلية بالنسبة لنا. وكانت زوجتي والأولاد الأربعة متحمسين لأنهم ماضون في رحلة عائلية، لكنني كنت مشغول البال. فبعد يوم واحد، سيبدأ عام جديد، وكان عليّ أن أتخذ القرار.

هل عليّ أن أغادر هيونداي؟

كنت عند مفترق طرق. كنت سأبلغ الخمسين من عمري قريباً، وكان عليّ أن أقرر. في كوريا نقول: إنه عندما يبلغ المرء الخمسين من عمره فهو يكون قد بلغ ما يكفي من النضج لتبيُّن رغبة السماء. وأول ما ينبغي للمرء عمله لتبيُّن رغبة السماء، هو النظر في الماضي. فمن دون التصالح مع الماضي، لا يمكن للمرء أن يتقدم إلى الأمام أو يتبيّن رغبة الرّب.

ولذلك، استرجعت السنوات الخمسين التي مرّت من عمري. لم تكن حياتي سهلة قط. لم يُقدَّم لي شيء على طبق، ولذلك عملت بجدّ. كثيرون يقولون: إن السنوات السبع والعشرين التي أمضيتها في هيونداي كانت كالنزهة؛ وبعضهم يطلق عليّ "الأسطورة". أما بالنسبة لي، لم يكن هناك شيء سهل.

ذهبت إلى نزهة على الأقدام على الشاطئ. توقفت ونظرت إلى الأفق. شعرت بصلة عجيبة مع البحر. كان ذلك هو البحر الذي شهد تحطم السفينة التي كانت تقلّ أسرتي لدى عودتنا من اليابان قبل خمسة وأربعين عاماً؛ كان ذلك هو البحر الذي سلبنا القليل الذي كنّا نملكه وتركنا مفلسين. عدت إلى أصلي نوعاً ما. استعرضت حياتي. لست نادماً على شيء. واتضح لي أن الوقت قد حان لسلوك درب جديدة.

أخبرت زوجتي أنني قررت مغادرة هيونداي. وكما هي العادة، كانت يون-أوك سنداً لي. قالت لي: "افعل كما يحلو لك عزيزي. سأكون هنا، كما هي الحال دائماً، لدعمك في أي شيء تقوم به. إننا نثق بك. أنا أثق بك". شكرتها. وكنت أعرف أن هيونداي ستواصل شقّ طريقها إلى الأمام من دوني.

عدت من رحلتي العائلية واستأنفت عملي في 3 يناير. كان جميع العاملين يحضرون في اليوم الأول للعمل من كل عام ما يشبه حفلاً افتتاحياً يكون الإشارة إلى بداية عام جديد. كان وقتاً يتمنى فيه الجميع لبعضهم الصحة والنجاح في العام القادم. وجلس رئيس مجموعة هيونداي شونج ساي-يونج على رأس الطاولة البيضاوية الكبيرة. وجلست إلى يساره مع لي هيون-تاي؛ وإلى يميني جلس لي تشون-ليم وشونج مونج-كو، ابن شونج جو-يونج، وابن شقيق الرئيس. تبادلنا جميعاً التحيات، وكان الجو العام مسترخياً. وفجأةً، دخل شونج جو-يونج، وكان قد أصبح عندئذ الرئيس الفخري للشركة. كان شونج يستيقظ في العادة مبكراً ويدخل مكتبه مرتدياً حذاءً رياضياً؛ وبعد أن يصل إلى مكتبه يبدل ملابسه ليرتدي بدلة ويباشر عمله. لكن في ذلك اليوم، دخل أول اجتماعات السنة مرتدياً حذاءً رياضياً وبدلة رياضية. وكان من المستغرب جداً أن يحيد عن نمطه الاعتيادي.

انتفض شونج ساي-يونج من مقعده لإفساح المجال. جلس شونج جو-يونج، ونظرة قاسية تعلو وجهه. ومن دون أي مجاملات، قال بخشونة: "اعتباراً من اليوم، قرَّرنا

لي ميونج-باك، وأنا، ولي ناي-هون، دخول السياسة. إننا نعلن استقالتنا من هيونداي اعتباراً من هذه اللحظة". وبهذه الكلمات نهض وغادر الغرفة.

لم ينطق أحد بكلمة. كسر شونج ساي-يونج حاجز الصمت بإلقاء ملاحظاته المعدَّة سلفاً ليصل الاحتفال إلى نهايته. وبعد الاحتفال، تجمَّع جميع المديرين لركوب حافلة ستقلّهم إلى أحد المراكز التدريبية العائدة إلى هيونداي عند مشارف سيول. وكان من التقاليد السنوية أن يمضي المديرون يوماً هناك لمناقشة أعمال الشركة. إلا أنني لم ألتحق بهم.

توجهت إلى مكتب شونج جو-يونج وطرقت بابه. كان شونج وحده في مكتبه؛ وقفت أمامه وقلت: "أنا آسف، سيدي الرئيس. لا يمكنني مساعدتك، أنا ذاهب الآن". وكما كان إعلانه مقتضباً، كان إعلاني أيضاً مقتضباً. كان كافياً. وبذلك، أكون قد أجبت شونج على إنذاره الأخير الذي كان قد قدَّمه لي قبل عام.

في نهاية السنة السابقة، كان شونج قد وضع برنامجاً على عجل؛ كان سيؤسس حزباً سياسياً جديداً في بداية العام الجديد. ومُنحتُ وقتاً حتى نهاية العام كي أقرر إن كنت سأنضم إليه في مسعاه الجديد أم لا. شعرت بالامتعاض من إعلانه الأحادي الجانب. وفسّرت قراره على أنه إساءة لاستخدام ميزته بصفته مالك الشركة. كنت أخضع للإكراه، وأنا لم أذعن للإكراه قط، ولم أكن أنوي أن أبدأ في ذلك الآن.

ولذلك، عندما أعلنت لشونج في مكتبه ذلك اليوم عن نيتي مغادرة هيونداي، قام من مقعده، وقال: "دعنا نلتقي خلال عدة أيام".

قلت له: "سأفكر في الأمر".

كنت إجابتي رفضاً واضحاً؛ فأنا لم أكن أعطي قطّ مثل تلك الإجابات المبهمة لدى مناقشة أمور تتعلق بالعمل، وكان شونج يعرف أنني أعني ما أقول.

غادرت مكتبه وأغلقت الباب من ورائي. عدت إلى مكتبي. لم أشعر بالندم، وكنت مستعداً للمغادرة. وجاء المراسلون ليطرحوا عليّ أسئلة. كان كثير منهم يعتقد أنني سأدخل السياسة في إثر شونج. أبلغتهم أنني أنوي التفكير في الأمر؛ لم أكن على وشك الدخول في السياسة انطلاقاً من الولاء الشخصي فحسب. فأنا إذا قمت بصنع شيء، يجب أن أعرف أنني أقوم بالشيء الصحيح.

مضى شونج في تأسيس حزبه السياسي الخاص. حاولت إثناءه لكن بلا جدوى. حاولت ثلاث مرات، مع إعطائه سبباً مختلفاً لعدم الاستمرار في كل مرة.

أحد الأسباب لثنيه عن دخول السياسة كان الضغينة. فقد كان معروفاً أن علاقة شونج سيئة بكبير المستشارين الاقتصاديين للرئيس روه تاي-وو. وفي ذلك الوقت تقريباً فرضت هيئة الضرائب الوطنية على هيونداي غرامة قدرها نحو 200 مليون دولار. كانت غير مبرَّرة، وكان شونج مقتنعاً بأنه يخضع للتمييز والاضطهاد.

وفي محاولتي الثانية، حاولت إقناعه بأن يدعم أكبر عدد ممكن من المرشحين المستقلين لمساعدتهم على أن يُنتخبوا. وقلت له إنه بمجرد انتهاء الانتخابات، يمكنه أن يجمع أولئك الذين ساعدهم على أن يُنتخبوا ويؤسس حزباً سياسياً (كان تقديري أنه لن يجد العدد الكافي في البداية كي يشكل تكتلاً تفاوضياً ضمن الجمعية الوطنية). هذه المحاولة أيضاً لم تنجح.

وكانت محاولتي الثالثة والأخيرة ترمي إلى التركيز على جانبه الريادي من خلال تشجيعه على إيجاد وتطوير دماء جديدة. وأخبرته أنني سأكون على استعداد لدعمه في ذلك المجهود نظراً لأنه سيكون قد أرسل رسالة قوية إلى الناخبين الشباب، مفادها أنه ملتزم بالتغيير الحقيقي. رأيتُ أن مثل ذلك الأمر يستحق التجربة نظراً لأن السياسة الكورية

كانت تُعدّ ملوثة وعديمة الفعالية. ورأيتُ أن مثل ذلك المسعى لـه قيمتـه. كـما أخبرتـه أن ذلك سيكسبه قدراً كبيراً من الاحترام لدى الناس. لكن مـن سـوء الحـظ، أخفقـت تلـك المحاولة أيضاً. وعلى الرغم من مناشداتي له، فقد أراد أن يتولى الأمر بنفسه.

أصبح شونج متوتراً لكوني صعب المراس. لكـن بالنـسبة لي، كانـت المـسألة أكثـر تعقيداً. فقد كانت ترتبط بأخلاقيات العمل والمسؤولية تجاه المجتمع ككـل. لا شـك في أن شونج كان واحداً من أعظم قادة الأعمال في كوريا وأكثرهم تأثيراً. وكـان أيـضاً صـاحب إحدى أغنى الشركات في البلد. توقعت أن يُبدي ما يليق بوضعه من انضباط ومـسؤولية. وعندما قلت له كم يكون صعباً عـلى هيونـداي أن تلملـم الأشـلاء إذا أخفقـت جهـوده السياسية، قال: "حتى إذا أخفقت، سأكون أنا المخفق، وليس الشركة".

أُصبت بالإحباط. لقد عملت طوال عمري وكأنني صاحب هيونداي، وكنت دائماً أضع في الاعتبار ما سيكون لتصرفاتي من تأثير على الشركة. كان ذلـك عـلى الـدوام أكثـر أهمية بالنسبة لي من رغباتي الشخصية.

وفي يناير 1992، وقفت أمام خمسمئة من العاملين في شركة هيونداي لألقي عليهم ملاحظاتي التوديعية. قلت: "زملائي الأحباء، إنني على وشك أن أغادر هيونداي التـي كانت بيتي على مدى السنوات السبع والعشرين الماضية. هنـاك أسـباب كثـيرة تجعلنـي أترك هيونداي، لكن ليس هذا هو الوقت المناسب لأقف عندها. أترك هيونداي وأعرف أنها ستبقى لأنها تذخر بهذا العدد الكبير من الموهوبين والمخلصين. إننا جميعـاً أصـحاب هذه الشركة طالما عملنا هنا. جميعنا كرَّس حياته لبناء هذه الـشركة ولازدهارهـا. ومـن ينضمون إلينا لاحقاً سيتابعون حمل هـذا الإرث. وبـصرف النظـر عـما إذا كنّـا مـالكين استناداً إلى حق أو مالكين بالروح، فإننا جزء من ذلك الإرث وسنبقى كذلك. ولـذلك،

بصرف النظر عمّن نحن وأينما وُجدنا، يجب ألا نقوم بأي شيء يضرّ بيتنا. وأنا، بطبيعة الحال، سأتقيد بهذه القاعدة".

كانت تلك هي الرسالة الأخيرة التي وددت أن أتقاسمها مع زملائي؛ وكانت أيضاً رسالة موجهة إلى أصحاب الشركة لتذكيرهم بأن الشركة ليست ملكاً لهم كي يستخدموها من أجل المنافع الشخصية، مهما كانت تلك المنافع.

كان ذلك واجبي الأخير نحو هيونداي. لم أكن من النبلاء، ولم أكن أنتمي إلى أسرة شونج. ولم أكن في مركز يسمح لي بالمطالبة بجزء من هيونداي. كنت مجرد موظف أجير ارتقى السلم المهني ليصبح رئيساً تنفيذياً. في أعماق كياني، كنت مجرد عامل آخر لا يختلف عن اللّحّام أو الميكانيكي أو مشغّل الآليات. لكنني كنت فخوراً أشدّ الفخر بما صنعت، وكنت أرى هيونداي ملكي الخاص.

وبذلك، قلت وداعاً لهيونداي.

الفصل السادس عشر

السياســة

أردت أن أطبّق على عالم السياسة ما تعلمتـه في عـالم الأعـمال. اعتقـدت أن السنوات التي أمضيتها في الميدان ستعود بالفائدة على البلد.

في مارس 1992، أصبحت عضواً في الجمعية الوطنية، وبدأت حياتي كسياسي. فعلى مدى السنوات السبع والعشرين الماضية كنت رجل أعمال، عظيم الافتخار بوجودي في قلب التقدم الاقتصادي الباهر لبلدي. والآن، أستهلّ حياةً جديدة –حياة ثانية إذا جاز التعبير– كرجل سياسة. قررت دخول حلبة السياسة لأنني أردت أن أطبّق على عالم السياسة ما تعلمته في الأعمال. اعتقدت أن السنوات التي أمضيتها في الميدان ستعود بالفائدة على البلد.

شعرت بالتميز دائماً لكوني جزءاً من النمو الاقتصادي المذهل الذي حققه بلدي. والآن، كرجل سياسة جديد، شعرت أنني إذا ما قمت ببذل قصارى جهدي لتوظيف قناعاتي ومبادئي في مهنتي الجديدة، فإنني قد أحقق النتائج نفسها التي حققتها في عالم الأعمال. وقد كنت مستعداً لما ينتظرني. كنت أعلم ما يكفي عن السياسة، وتعاملت مع عدد كافٍ من السّاسة، حيث أدري أن الأمر لن يكون سهلاً. كثيرون هم من قالوا إن الوقت الذي أمضيته في هيونداي كان من قبيل الأسطورة. وعلى الرغم من أن مثل ذلك الوصف كان مدعاة للفخر، فإنني كنت أعلم أيضاً أن معظم الناس لم يكونوا يرون سوى ما أنجزته، لكنهم لم يكونوا يدركون حجم التضحية الشخصية التي كان عليّ تحمّلها على امتداد الطريق.

وعلى الرغم من اعتقادي بأنني مستعد، فإن عالم السياسة كـان مفاجئـاً لي. فحجـم عدم الكفاءة والهدر كان أكبر بكثير مما توقعت. كان السّاسة يُعرَّفون بالمجموعة أو الفصيل الذي ينتمون إليه؛ وكان الولاء للحزب أهميته القصوى. وكان هناك الكثـير مـن الـسّاسة الذين لم يكونوا يتخذون قرارات سوى لخدمة مشاريعهم الشخصية. والقناعات والمبـادئ كانت قيمتها إما معدومة أو محدودة. وكان السّاسة يتجـادلون في أحيـان كثـيرة بقـوة وفي مرات بالقوة العضلية، لكن بمجرد انتهاء المناقشات وتوقُّف الكاميرات عن العمل، كـان يثني بعضهم على بعض. وبالنسبة إلى رجل أمضى أكثر من عقدين في عـالم الأعـمال، وهـو عالم كانت تترتب فيه على أصغر القرارات أيضاً نتائج هائلة، فإن مثل ذلـك الـسلوك كـان ببساطة شديدة غير قابل للفهم.

لكن، وهو ما يُعَدُّ من باب المفارقة، كان الحماس يملـؤني. وكـان الأمـل يحـدوني في إحداث تغيير حقيقي في عالم مليء بمظاهر عدم الكفاءة المنهِكة والهدر الرهيـب، بـل إنني كنت عازماً على ذلك. كنت أؤمن على الدوام بـأن إدارة الـشركات وإدارة الـدول أمـران متماثلان في الأساس. ذلك أن إدارة الشركات تنطوي على النظر إلى الأمام واتخاذ القرارات وفقاً لذلك. وهي تسعى إلى زيادة المنافع إلى الحد الأقصى وتقليص الهدر إلى الحد الأدنـى. وكنت متأكداً من أنني إذا تمكنت من دمج تلك الممارسات في السياسة، فعندئذ سأتمكن من خلق أسطورة جديدة.

كنت أنوي البقاء فـوق الخـدع والتلاعبـات الـسياسية. لم أكـن أعتـزم الخـوض في مستنقع ممارسات المدرسة القديمة التي ستؤدي بي حتماً إلى أن أحيـد عـن الأسـباب التـي دعتني إلى دخول معترك السياسة أصلاً. كنت أدري أن تلك القناعات سرعان مـا ستولِّد احتكاكات داخل المؤسسة. كنـت أعـرف أنني يُنظـر إليّ باعتبـاري مـن خـارج الـسرب ودخيلاً، لكنني لم أكن أعير ذلك اهتماماً. اخترت أن أظل مركِّزاً على المهمة التي أمامي.

دروس من عالم السياسة

كان من المقرر أن تُجرى الانتخابات الرئاسية في 18 ديسمبر 1992، وكانت الأعين كلها موجهة نحو السيد شونج جو-يونج، الرئيس الكاريزمي لمجموعة هيونداي ومؤسسها. فقد أسَّس السيد شونج حزبه الخاص— حزب الشعب المتحد— وكان بصدد خلق عاصفة سياسية ضخمة وحشد دعاية واسعة النطاق. وكان القلق يتزايد لدى السّاسة بسبب تنامي شعبيته لدى الرأي العام.

وبحلول هذا الوقت، كنت قد اتخذت مقعدي في الجمعية الوطنية كعضو في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم بعد أن انتُخبْتُ في إطار نظام التمثيل النسبي. وكما وصفت في السابق، كنت واحداً ممن حاولوا بإصرار ثَنيَ السيد شونج عن الترشح للرئاسة. فبعد أن عملت معه لمدة تناهز الأعوام الثلاثين، كنت حريصاً جداً عليه ولم أكن راغباً في رؤية إنجازاته وقد لطخها الطموح السياسي. وكنت أعرف أن حظوظه كي يصبح الرئيس معدومة عملياً، على الرغم من الحماس الناشئ عن ترشّحه في ذلك الوقت.

وكعضو في الحزب الديمقراطي الليبرالي، تلقيت تعليمات من الحزب لإلقاء كلمة متلفزة لدعم مرشحنا كيم يونج-سام. وفي الواقع، لم تكن الكلمة التي يخططون لها من أجل دعم كيم يونج-سام بل كانت من أجل الحطّ من شونج جو-يونج، وكانت محاولة يائسة قام بها فريق العلاقات العامة للكيفية التي يمكن بها حسم الانتخابات. أراد الحزب أن أستخدم هذه الفرصة لإزالة الغموض عن السيد شونج على الملأ والتحدث عن نواقصه وانتقاد حياته الشخصية على شاشات التلفزيون الوطني. وكانت حسابات الحزب تقوم على أنه إذا سُمع لي ميونج-باك وهو يتفوه بشيء سلبي عن شونج جو-يونج، فإن الجمهور سيمنحه المزيد من المصداقية.

أبلغت اللجنة الانتخابية أن هذا الأمر ليس مقبولاً بالنسبة لي، وقلت إن الحطّ من مرشح رئاسي على هذا النحو سيجرّ السياسة الكورية أكثر نحو القذارة. لكن من زاوية أعمق، شعرت أن مثل تلك التصرفات ترتبط بمسائل أساسية، مثل الولاء والشخصية. وعلى الرغم من أنني وشونج أصبحنا الآن نقف في صفّين سياسيين مختلفين، لم أكن على وشك مهاجمة رجل عملت معه كل هذه الفترة لمجرد الحصول على منفعة سياسية. أبلغت اللجنة الانتخابية أنني إذا ألقيت الكلمة، فسأستخدم الفرصة لإبراز نقاط القوة لدى كيم يونج-سام بلا شك، لكن ليس للهجوم على شونج.

شرعت في إعداد كلمة تستغرق 20 دقيقة، حاولت فيها أن أكون صريحاً ومُقْنعاً. أوضحت أسباب إيماني بضرورة انسحاب شونج من السياسة. كما فنّدت نقطة بنقطة أحد وعود شونج الأكثر مثاراً للجدل في إطار حملته الانتخابية، وهي منح شقق للجمهور بنصف السعر. وكان كل ذلك يستند إلى تجربتي وخبرتي الشخصية التي اكتسبتها نتيجة لإدارة شركة هيونداي للهندسة والإنشاء. وفي خاتمتي، بينت ما أراه خصائص أساسية في الرئيس القادم – الصدق والنزاهة– وأشرت إلى أن شونج قال لي يوماً إن: "كيم يونج-سام رجل شريف".

وبعد الانتهاء من مسوّدتي، أعطيتها لأناس مختلفي المشارب التماساً لمشورتهم. ووافاني أساتذة جامعيون وصحافيون وأعضاء حزبيون بتعليقات مفيدة. لكن عندما قرأتها اللجنة الانتخابية، قامت القيامة. استشاطوا غضباً قائلين إن مسوّدتي بمنزلة دعم لشونج.

وأصرت اللجنة الانتخابية على أن أقرأ الكلمة التي خطّوها هم، كلمة بكلمة. رفضت من جديد، وقلت إنها لن تجعلني أبدو غبياً وعاجزاً أخلاقياً فحسب، بل ستكلف كيم أيضاً كثيراً من الأصوات. وفي النهاية، تخلت اللجنة الانتخابية عن محاولاتها إقناعي بقراءة مسوّدة الكلمة التي أعدوها هم، وأبلغوا كيم أنني رفضت إلقاء الكلمة بسبب ولائي إلى شونج. ولم أظهر على التلفزيون.

الحلم

كما رويت من قبل، بعد التخرج في المدرسة الثانوية في بلدتي بوهانج، قدمت إلى سيول، حيث عشت حياة زهيدة في أحياء فقيرة. وعندئذ أدركت على نحو مؤلم مدى أهمية أن تكون لدى المرء وظيفة، سواء لأسباب اقتصادية أو لأسباب تتعلق بالكرامة الشخصية. وفي تلك الأيام الصعبة تولّدت لديّ القناعة بأن أحد الأهداف الرئيسية للحكومة يجب أن يكون ضمان الوظائف لشعبها.

وبمجرد وصولي إلى سيول، قررت أن أسجل اسمي في الكلية. كنت أعلم حتى في ذلك الوقت أن السبيل للخلاص من الفقر هو التعليم. لكن المال كان مشكلة مرة أخرى. فإذا أردت أن أجتاز امتحان دخول الكلية الذي يتسم بالتنافس الشديد، عليّ أن أكرس وقتي بالكامل للدراسة. لكن من أجل الدراسة، كنت بحاجة إلى الكتب، وإذا أردت شراء الكتب فعليّ أن أعمل، وهذا هو المقصود بمصطلح "نير الفقر".

ولحسن الحظ، تقدَّم أناس لمساعدتي على الخروج من الأزمة. وتمكنت من الحصول على الكتب المدرسية من أحد المحال الكثيرة لبيع الكتب المستعملة التي كانت تصطف في منطقة شيونجيشيون في وسط سيول. وبعد التحاقي بالكلية، عملت بوّاباً لسداد نفقات تعليمي. وعندما عملت في السوق، كان أصحاب المحال يكلفونني بالمزيد من العمل حتى أحصل على المزيد من الأجر. وكنت ممتناً لأنه بينما كان هؤلاء الناس أفضل مني حالاً بدرجة طفيفة، كان لديهم جميعاً ما نسميه نحو الكوريون "جيونج" jeong (يمكن ترجمتها على أنها التعاطف أو الإشفاق أو الرابطة العاطفية). ومع توجهي إلى الكلية ونضوجي وتقدمي سناً، كان أهل سيول دائماً حاضرين لمساعدتي. لم يكونوا من عائلات متميزة لديها الوقت والمال الزائدان؛ كانوا أناساً عاديين يعيشون حياة قاسية. ولطالما حلمت أن أرد لهم الجميل، ولم أتخلّ عن هذا الحلم عندما خضت السياسة. وفي مرحلة لاحقة، عندما ترشحت لمنصب

عمدة سيول، فكرت ملياً في أولئك الناس وفي كل ما يمكنني عمله لتحسين حياتهم. وهكذا بدأ الهدف القادم في حياتي يتشكل.

تحدّي الرئيس

في يونيو 1995 سجلت اسمي كمرشح في انتخابات الحزب التمهيدية لمنصب عمدة سيول. وكان لدي بالفعل هدف واضح بشأن ما أعتزم القيام به إذا ما انتُخبت؛ كانت خططي جاهزة بانتظار التطبيق. واتضح أنني كنت الوحيد الذي سجل اسمه لخوض الانتخابات التمهيدية. وفي البداية، كان رد فعل الموظفين في مكتب الرئيس إيجابياً حيث قالوا إن فرصي جيدة في أن أُنتخب. ثم في أحد الأيام، دعا الرئيس كيم يونج-سام أعضاء الحزب الحاكم إلى البيت الأزرق [المقر الرسمي لرئيس الجمهورية] لحضور عشاء غير رسمي، وأعلن أنه لا يرغب في أن تُجرى انتخابات تمهيدية للمرشح لمنصب العمدة. وذكر الرئيس كيم أنه يرغب بدلاً من ذلك في أن يرشح شونج وون-شيك (ليس قريباً لشونج جو-يونج) باعتباره مرشح الحزب. وواصل الرئيس كيم حديثه قائلاً إنني ما زلت شاباً، ولذلك يجب أن أترأس لجنة الحملة الانتخابية.

واستدعاني الأمين العام للحزب وأبلغني بقرار الرئيس وطلب مني أن أسحب اسمي من السباق التمهيدي. واستطعت رؤية أن الأمر إنما يتطور ليصبح اختباراً آخر في حياتي القصيرة كسياسي.

بعد التفكير في الاقتراح قررت أن أرفض. لم يكن الأمر يتعلق بطموحاتي السياسية؛ كان اختباراً لما إذا كنت راغباً في التمسك بما أؤمن به. استحوذ الأمر على اهتمام الصحافيين؛ فقد كان من النادر أن يشهدوا حدثاً كهذا: لأول مرة نائب في المجلس التشريعي يتحدى الرئيس. وفي مجتمع يحترم الهرمية والأقدمية، وفي عالم سياسي تحكمه الفئوية بدرجة كبيرة، وفي نظام يتمتع الرئيس فيه بصلاحيات تكاد تكون مطلقة كرئيس

للدولة ورئيس حزبه، كان ذلك أمراً لم يُسمع به. وفي كوريا في تسعينيات القرن العشرين، إذا أراد الرئيس شيئاً، فإن هذا الشيء كان يتحقق في العادة.

ومع رفض كل طرف بإصرار التزحزح عن موقفه، كان الوصول إلى طريق مسدود أمراً حتمياً. وفي نهاية المطاف، اقترحت على قيادة الحزب أن تعقد اجتماعاً للجنة التنفيذية وتعلن إلغاء الانتخابات التمهيدية. بيد أن قادة الحزب أصرّوا على أن أنسحب من السباق، وقالوا إن المسألة بذلك ستُحلّ من تلقاء نفسها.

وأخيراً، تلقيت مكالمة من كبير مساعدي الرئيس للشؤون السياسية. ربما شعر الرئيس أنه بحاجة إلى أن يتكلم معي شخصياً من أجل تسوية المسألة. التقيت مع كبير المساعدين في مطعم في وسط المدينة على الغداء. وفور جلوسنا قال كبير المساعدين: إن الرئيس يريد مقابلتي. رفضت بطريقة ودّية ولكنها حازمة.

تملّكت الدهشة كبير المساعدين، وبدت مشاعره على وجهه: كيف يمكن لنائب للمرة الأولى أن يرفض مقابلة الرئيس عندما يكون الرئيس نفسه هو من طلب ذلك؟ قلت له: إنه لا توجد لديّ رغبة في مقابلة الرئيس إذا كان سيأمرني بالانسحاب لا أكثر. بدا الإحباط ظاهراً على كبير المساعدين. قال لي: إن الأمر غير مقبول، وإنه لا توجد إمكانية لأن يعود إلى الرئيس ويبلغه بأنني رفضت الدعوة لمقابلته. والأكثر من ذلك، قال: إن هذا الأمر غير مسبوق في تاريخ كوريا الحديث.

قال: "سيد لي، ربما أنك لا تفهم الأمر تماماً. ربما لأنك لم توجد في الساحة مدة طويلة بما يكفي. لكن دعني أقل لك شيئاً واحداً: ما من نائب يرفض لقاءً شخصياً مع الرئيس، وخصوصاً عندما يكون الرئيس هو من دعا إلى الاجتماع. لن أعود إلى الرئيس لأبلغه بما قلت لي للتو".

سرعان ما انتهى غداؤنا، لكن قبل أن نفترق أوضحت لكبير المساعدين أن رغبتي الوحيدة إنما هي في أن يسمح الرئيس بأن تمضي الانتخابات التمهيدية قدماً كما كان مخططاً لها في الأصل.

وبعد عدة أيام، عاود كبير المساعدين الاتصال بي، واتفقنا على اللقاء للمرة الثانية. وفي هذا الاجتماع الثاني، جدد طلبه بأن ألتقي الرئيس. استمرت محادثاتنا لنحو ثلاث ساعات. ثم، وفي منتصف الحديث، تلقّى هو مكالمةً. بعد الخروج لتلقّي المكالمة، عاد ليبلغني أن الرئيس راغب في سماع ما لديّ لأقوله. ولذلك وافقت على الاجتماع. وشدد كبير المساعدين بصرامة على ضرورة أن أحافظ على سرّية اجتماعي بالرئيس.

في يوم 2 مايو، وصلت قبل الموعد المقرر لتناول الفطور مع الرئيس، وهو السابعة صباحاً، بخمس عشرة دقيقة. عندما كنت في قطاع الأعمال، كنت أزور البيت الأزرق بفخر، معتقداً أنني موجود هناك كجزء من طبقة محاربي الأعمال الشجعان. أما اليوم، فقد كانت مشاعري مختلطة، ولم أكن مرتاحاً بدرجة كبيرة في واقع الأمر.

عندما وصلت إلى المدخل الرئيسي للمبنى الذي يوجد فيه مكتب الرئيس، لاحظت أن رئيس الديوان منتظر بالخارج. ووفقاً للبروتوكول المعمول به في البيت الأزرق، فإن رئيس الديوان يستقبل في العادة الضيوف الذين يُعدّون مهمّين بصورة خاصة، مثل رؤساء الأحزاب أو ما شابه. وتساءلت بداخلي عمّن قد يكون مدعوّاً لاجتماعنا. وقال رئيس الديوان، الذي لاحظ ارتباكي، "إنني هنا لأن هذا اجتماع مهم".

وصل الرئيس مبكراً بخمس دقائق ورحب بي بدفء. انحنيت قليلاً وصافحته ثم جلست. كان الفطور بسيطاً، وكلانا انتهى منه في ظرف خمس عشرة دقيقة. ونُظفت المائدة، وقُدِّم الشاي. ثم بدأ الرئيس في التحدث عن جولته الخارجية الأخيرة لحضور قمة

منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادي. ومع تواصل حديثه الفردي، بدأ صبري ينفد لعلمي أن اجتماعات الفطور في البيت الأزرق تدوم عادة ثلاثين دقيقة أو أربعين بأقصى حد. وإذا استخدم الرئيس الوقت كله في الحديث عن رحلته الدبلوماسية، فلن يتبقى لي وقت كي أعرض وجهة نظري. لذلك، ومع ما في ذلك من خروج على اللياقة، قاطعته.

قلت: "سيدي الرئيس، جئت اليوم لأستمع إلى ما لديك لقوله، لكنني هنا أيضاً لأعرض عليكم رأيي الصادق". وبمجرد تفوّهي بذلك، عمَّ البرود الجو العام.

ارتفع صوت الرئيس كيم بدرجة طفيفة، وقال ببساطة: "استمر".

واصلت قائلاً: "سيدي الرئيس، اسمح لي أولاً أن أكرر مدى إعجابي العميق بما قمت به لجلب الديمقراطية إلى هذا البلد. إنني أعرف ما اضطررت إلى تحمّله وما قمت به للدفاع عن الديمقراطية".

وواصلت قائلاً بأقصى درجات اللطف والصدق: "عندما كنتَ تخوض المعركة من أجل الديمقراطية، كنت أنا نفسي ضالعاً في أنشطة طلابية سعياً لتحقيق تلك الأهداف نفسها. وعندما قرَّر زملائي الذين اشتركوا في تلك الحركات خوض معترك السياسة، قررت أن أكرِّس حياتي إلى جلب الرفاهية الاقتصادية لبلدنا. وأنا فخور جداً بالوظيفة التي اضطلعت بها. فمن خلال الاجتماعات مع كثير من رؤساء الدول والمسؤولين الحكوميين، تعلمت كيفية عمل الاقتصاد العالمي. وعندما قررت خوض السياسة، كنت واثقاً أن خبراتي السابقة ستعود بالفائدة عليّ وعلى بلدي. وآمل، سيدي الرئيس، أن تدرك وتحترم خبرتي، وأن تبقيها حاضرة في ذهنك لدى استماعك لما لديّ كي أقوله".

وواصلت بهدوء قائلاً: "سيدي الرئيس، إذا أصبحتُ عمدة سيول، يمكنني استغلال ما تعلمته بشكل كامل على مدى السنين كرجل أعمال. هل تتذكرون ما قلته لكم عندما أصبحت عضواً في الجمعية الوطنية لأول مرة؟ إن الفضل في إجراء حزبنا اليوم للانتخابات التمهيدية يعود لما قمتم به لترسيخ الديمقراطية في بلدنا. ووفقاً لتلك المبادئ الديمقراطية نفسها، ينص دستور حزبنا بوضوح على إجراء انتخابات أولية لاختيار المرشحين الذين سيتنافسون على المناصب المختلفة. وكل ما أقوم به هو التقيد بتلك القواعد. وإذا قررتم إلغاء الانتخابات التمهيدية وتعيين السيد شونج باعتباره مرشح حزبنا، فإن هذا لن يكون خروجاً على دستور الحزب فحسب، بل أيضاً خروجاً على ما تمثلونه أنتم شخصياً. أحثّكم سيدي الرئيس على إعادة النظر من أجل المضي بالديمقراطية قدماً".

استمع الرئيس كيم بانتباه. وبعد فترة وجيزة قال: "كما تعرف، السيد شونج ساعدني بالعمل كرئيس لحملتي الانتخابية في عام 1992. إنني مدين له. سيد لي، إنك ماتزال شاباً، وأنت تَعِد بالكثير، ويمكنك أن تحقق الكثير. آمل أن تنظر في مساعدة السيد شونج".

عرفت عندئذ أن المسألة لا تخصّني. أحسست أن الرئيس لا يضمر مشاعر سيئة نحوي، وإنما كل ما في الأمر أنه يريد أن يكافئ زميلاً عزيزاً ساعده على أن يصبح رئيساً. ثم جدد الرئيس رغبته في عدم إجراء انتخابات تمهيدية. ومضى يوضح نتائج إجراء انتخابات أولية من خلال مناقشة ما حدث أثناء الانتخابات التمهيدية الرئاسية لعام 1992. [28]

بعد أن استمعت إليه قلت: "سيدي الرئيس، إن تأثيرات الانتخابات التمهيدية لعام 1992 لم تكن بسبب خطأ ما في المخطط، وإنما لعدم تقيد المشاركين بالقواعد. أنتم أنفسكم لطالما ناصرتم عقد الانتخابات التمهيدية. وفي رأيي أيضاً، فإن تعيين السيد شونج مرشحاً لمجرد إرساله إلى انتخابات سيقرر الناخبون مصيرها لا يبدو طريقة محترمة لمعاملته. أعتقد أن عليكم تعيينه في منصب مهم بدلاً من ذلك".

أجاب الرئيس كيم وصوته يغلب عليه العزم: "صدِّقني سوف يُنتخب".

قلت: "سيدي الرئيس، قد تكونون على حق. لكنكم تعلمون أن الانتخابات يمكن أن يحدث فيها أي شيء. ما من شيء مؤكد، وأعتقد أن عليكم الاستعداد للطوارئ".

استأنف الرئيس حديثه قائلاً: "سيد لي، دعني أقل لك شيئاً. السيد شونج خطيب عظيم. في كل مرة يلقي فيها خطاب تأييد أمام الجمهور يكون أداؤه رائعاً. وفي المناظرات التلفزيونية، تجده أيضاً خصماً رهيباً. أعرف بعض الأشياء عن الانتخابات".

مضيت أوضح للرئيس ما سيحدث في حال خسارة شونج للانتخابات:

"سيدي الرئيس، لنفترض أن الرجل الذي عينتموه خسر الانتخابات. ستوضع اللائمة عليكم. ومن ناحية أخرى، إذا سمحتم للانتخابات التمهيدية بأن تُجرى، فإن المسؤولية كلها تقع على عاتق الحزب؛ نظراً لأن الحزب هو من ينتخب المرشح. والحقيقة هي أن المرشح الذي يفوز بالانتخابات التمهيدية تشتد فرص فوزه بالانتخابات العامة. قلتم إن القلق يساوركم بشأن الآثار الجانبية لإجراء الانتخابات التمهيدية، لكنني أؤكد لكم أنني سأحترم النتائج احتراماً كاملاً طالما أجريت".

وبذلت جهداً لطمأنته بأنني لن أكون خاسراً مزعجاً أو أقوم بأي شيء من شأنه إلحاق الضرر بالرئيس أو الحزب. بدا لي واضحاً الآن أنه غاضب؛ كان راغباً في أن ينتهي النقاش كما يريد هو، لكنني لم أكن أستجيب لرغبته. حاول بقوة إقناعي. كان كلانا مصراً على رأيه.

"سيد لي، ستتاح لك الكثير من الفرص في المستقبل".

بدا وكأن الرئيس كيم يريد أن يعرض عليّ شيئاً مقابل انسحابي، ولذلك قاطعته فوراً.

"سيدي الرئيس، لقد وافقت على لقائكم لأنني أريد أن أكون مرشح الحزب لمنصب العمدة. إذا عرضتم عليّ شيئاً آخر وقبلته، ماذا يجعل ذلك مني؟ لقد التزمت بمبادئي على الدوام. أخشى أنني لن أكون قادراً على فعل شيء طالما بقيتم رئيساً".

جلسنا لساعتين نتناقش. وتناول كل واحد منّا خمسة أو ستة أكواب من الشاي. ثم خلصت في النهاية إلى أنني أشكل عبئاً كبيراً على الرئيس وتهيأت للمغادرة.

قلت: "سيدي الرئيس، أشكركم على منحي هذه الفرصة، وأشكركم على مشاطرتي أفكاركم بصراحة. سأعود الآن وأفكر في الأمر. وآمل أن تفكروا أنتم أيضاً فيما قلته اليوم".

بدا الرئيس كيم مدركاً تماماً عدم رغبتي في التزحزح عن موقفي، وفهم أنه ما من حلٍّ سهل لهذه المشكلة. نهض الرئيس واصطحبني إلى باب غرفة العشاء الخاصة الصغيرة. تصافحنا. وكان واضحاً أنه غير سعيد.

لم أكن راغباً في التنازل عن مبادئي في هذا الأمر، لكن، وبالأهمية نفسها، كنت أعتقد أن إجراء الانتخابات التمهيدية يصب في مصلحة الحزب أيضاً. فمن خلال الإظهار للناس أن الحزب متمسك بالمُثل والإجراءات الديمقراطية، سيحظى الحزب بمزيد من دعم الشعب. ومن شأن الانتخابات التمهيدية أن تجعل الحزب نفسه أكثر ديمقراطية، سواء من حيث الإجراءات أو الأيديولوجية السياسية. لكنني تذكرت أيضاً الحقيقة الحزينة التي مفادها أن تغيير النظام كثيراً ما يكون غير كافٍ في السياسة.

تسرب خبر لقائي بالرئيس، ونشرته وسائل الإعلام في اليوم التالي. واتصل بي الصحافيون بلا توقف. كانوا يتابعون القصة عن كثب ليتبيّنوا تطورات اقتحامي ساحة السياسة. كما كانوا يتساءلون بشأن ما سيحدث لي نتيجة لرفضي الإذعان لطلب الرئيس.

في البداية، أنكرت أن أكون التقيت الرئيس أصلاً. ثـم أبلغنـي مراسـل مـن وكالـة يونهاب للأنباء أن كبير المساعدين للشؤون السياسية أكد حدوث اللقاء بالفعـل. اتـصلت بكبير المساعدين، وقلت له: "سيدي، لو كنتُ قد قبلت اقتراح الرئيس بعد مقابلتـه لكـان من الملائم الإعلان عن حدوث اللقاء إلى الـصحافة. لكـن ألا تعتقـد أن الوضـع يـصبح محرجاً بالنسبة إلى الرئيس إذا أبلغت الصحافة باللقاء مع علمك بأنني لم أقبل عرضه"؟

بدا كبير المساعدين أخيراً متفهماً لكونه ارتكب خطـأً، وفهـم أيـضاً أننـي لـن أغـير رأيي. شكرني بسرعة وأنهينا المكالمة. وقيل لي فيما بعـد أنـه أثنـى عـليّ وهـو أمـر نـادر في السياسة، إذ قال: سياسي شجاع تمسَّك بمبادئه. وعلى الرغم من أنني رأيـت مـا قمـت بـه أمراً عادياً، كان في كلماته مجاملة أعتز بها.

وبعد فترة وجيزة من انتشار الخبر عـن لقـائي بـالرئيس، بـدأت عنـاوين مـشؤومة تتصدر الأخبار، معلنةً "تدقيق حياة لي ميونج-باك الخاصـة، وثروتـه" وبـدأت شـائعات تُتداول عن إجراء تحقيق. وتـساءل معـارف مقرّبـون وأصـدقاء عـما إذا كـان بمقـدوري الصمود أمام العاصفة. قلت لهم إن التحقيق في حياتي الشخـصية ضرر سـينتهي إلى نفـع. كنت واثقاً أنني سأخرج من الأزمة أقوى مما كنت قبل دخولها.

ومع استمرار تكشُّف تفاصيل القصة، بدأت تطغى عـلى وسـائل الإعـلام تحـولات طفيفة ولكنها واضحة. كان الكثير من المراسلين يعتقد في البداية أن تقدمي الترشـح لمنـصب العمدة كان رمزياً بدرجة كبيرة وخطـوة يـراد بهـا الدعايـة والـشهرة. أمـا الآن فقـد بـدؤوا يفهمون أنني جاد فيما أنا بصدده. وكانت التغيرات بين صغار المراسلين بصورة خاصـة أكثـر وضوحاً. فقد كان من الواضح أن الحماس يملؤهم لرؤية شخص يتحدى الرئيس. كان مـن الواضح بالنسبة لي أنهم يشجعون الطرف الضعيف؛ كانوا معجبين بشخص عازم على حفـز التغيير، وبثّ روح جديدة فيما يراه كثيرون مؤسسة سياسية تتسم بالرتابـة والفـساد وعـدم

الكفاءة. وبعضهم زارني في مكتبي لمجرد تشجيعي. وكثيرون كتبوا مقالات تصف عزمي وتبذل جهداً لإبراز جانبي الإيجابي. وفي كثير من الأحيان، كان هؤلاء المراسلون أيضاً مصدراً لا غنى عنه للمعلومات القيِّمة فيما يخص التحقيق المرتقب معي.

وبينما كانت كل تلك الأحداث مستمرة، كان الحزب الديمقراطي الليبرالي يستعد لدعم شونج، وعَقَدَ لهذا الغرض اجتماعاً لرؤساء المناطق وسط شائعات بقرب انشقاقي عن الحزب. وهذه المرة اتصل بي كبير المساعدين للشؤون المدنية، ودعاني لتناول الغداء معه.

بعد تبادل التحيات، دخلت رأساً في الموضوع: "سيدي، هل وجدتم أي مخالفات في حياتي الخاصة؟ أي اعوجاج؟ ذلك أنه إذا كانت الإجابة بنعم أقترح أن تخبرني بذلك الآن. ليس لديّ ما أخفيه. لو كانت لديّ مشكلات خاصة، هل تعتقد أنه كان سيمكن انتخابي لقيادة نحو خمسين ألف موظف عمومي يعملون في حكومة مدينة سيول الكبرى"؟

أجاب: إن التحقيق لم يتوصل إلى أي مخالفات.

قلت: "جيد، إذاً دعنا ننس كل هذا، ونستمتع بغدائنا".

كنت أرى على الدوام كبير المساعدين للشؤون المدنية رجلاً نزيهاً، وكنت أكنّ له الاحترام. وهذا الاحترام هو ما مكنني من أن أتكلم بصراحة. وبعد تناولي الغداء معه، أُجِّل اجتماع رؤساء المناطق، وبعد ذلك بفترة وجيزة، تلقّيت مكالمة من أمين عام الحزب.

قال: "سيد لي، إنني أتصل بك لأدعوك إلى عدم ترك الحزب على الأقل مدة يوم أو يومين". قلت: "من قال إنني سأترك الحزب؟ السيد الأمين العام للحزب، أتوقع أن تُعقد الانتخابات التمهيدية، على الأقل هذا ما آمله".

ومرة أخرى اتُّفق على عقد اجتماع مع رئيس المنطقة. وفي الليلة السابقة على الاجتماع، رتَّبت لقاءً لتجاذب أطراف الحديث مع بعض الأصدقاء المقربين لي في وسائل الإعلام. كثيرون منهم كانوا من صغار المراسلين الذين يدعمون قضيتي، وكثيرون ممن التقيتهم تلك الليلة كان رأيهم أنني قطعت شوطاً كبيراً وأن الأمر سيُحسم غداً. وخلصوا إلى أنه في اليوم التالي، عندما يعلن الحزب قراره بعدم إجراء الانتخابات التمهيدية، فإن السؤال الوحيد المتبقي بالنسبة لي سيكون: هل كنت سأقبل القرار وأنسحب من الانتخابات التمهيدية أو أترك الحزب؟

وسألني أحدهم: "هل بإمكاني أن أكتب أنك ستغادر الحزب؟ وقال آخر ما تبادر إلى ذهن كثيرين طول الوقت: لماذا تحاول تحقيق المستحيل؟".

قلت لهم: "اسمعوا، ما تزال أمامنا نحو اثنتي عشرة ساعة قبل أن يعلن الحزب قراره. وهذا متسع من الوقت، ومن الممكن أن يحدث أي شيء. في الأعمال، قد يستغرق إعداد أمر وتنفيذه شهوراً، لكن اتخاذ قرار قد يستغرق أقلّ من دقائق. ولذلك، هناك متسع من الوقت، دعونا ننتظر ونرى".

كان الأمل ما يزال يحدوني.

وفي اليوم التالي، أُلغي الاجتماع مع رئيس المنطقة، وبعد ذلك مباشرةً تلقّيت مكالمة من الحزب. لقد قرر الرئيس عقد الانتخابات التمهيدية.

وفي مرحلة لاحقة، بعد إجراء الانتخابات التمهيدية، علّق عالمون بتاريخ كوريا السياسي وبالرئيس نفسه بأن هذا الحدث عظيم الأهمية. ومع ذلك، بدأ كثيرون ينتابهم القلق بشأني وبشأن مستقبلي.

أما ردة الفعل لدى الجمهور، فكانت مختلفة تمام الاختلاف. كان التوافق العام يرى أن قرار إجراء الانتخابات التمهيدية يُعدّ نصراً سياسياً هائلاً، والأهم من ذلك، خطوة عملاقة إلى الأمام للديمقراطية في كوريا.

لو كان التحقيق في حياتي المالية أسفر عن أي انتهاكات، لكنت واثقاً بأنني كنت سأضطر إلى الانسحاب من الانتخابات التمهيدية، وعلى الأرجح كانت حياتي السياسية ستنتهي قبل الأوان. بيد أن التحقيق في حياتي وثروتي الخاصة جاء في صالحي؛ فقد مُنحت شهادة "لائق". ومن بعد ذلك، عندما واصلت إصراري على أن تُجرى الانتخابات التمهيدية، شكا كثيرون من قادة الحزب من أن مثل ذلك الإجراء غير مسبوق.

إذاً، حان وقت البدء في وضع الإجراءات.

الترشح لمنصب العمدة

بدأ السباق الآن يدور حول منصب عمدة سيول. كنت متحمساً ولكن قلقاً أيضاً. فمن ناحية، كان إجراء الانتخابات التمهيدية أمراً له مغزاه في التاريخ السياسي الكوري الحديث، مما يجعل مشاركتي تتجاوز بكثير كونها انتصاراً شخصياً. لكن إذا وضعنا المغزى التاريخي للحدث جانباً، فإن نتيجة السباق كانت تعدّ مفروغاً منها. ذلك أن التصويت في الانتخابات التمهيدية يتم بواسطة المندوبين الذين يعيِّنهم الحزب، لا الناخبين عموماً. وكمرشح وقف ضد زعامة الحزب، كان أقل ما يقال عن فرصي إنها ضئيلة.

وفي 12 مايو 1995 تجمّع أكثر من 7700 مندوب في الاستاد الأولمبي بجنوب سيول. كان الاستاد ممتلئاً في أكبر تجمع لحدث سياسي من هذا النوع في التاريخ الحديث. والمؤتمر الحزبي لاختيار أحد المرشحين يُفترض أن يكون مناسبة للاحتفال بعمل المُثُل الديمقراطية؛ إذ يجب أن يكون فرصة لمن يؤمنون بالأفكار نفسها أن يعبِّروا عن رأيهم

الجماعي عن طريق اختيار المرشح الذي سيساعدهم أكثر من غيره على تحقيق تطلعاتهم. وبدلاً من ذلك، فإن هذا المؤتمر بالذات كان مليئاً بالحوادث المؤسفة، واتسمت إدارته من البداية بالانتهاكات المفضوحة وعدم النزاهة. وتمثّل أحد تلك الانتهاكات في مشكلة تقنية غريبة تتعلق بنظام مكبّر الصوت، حيث يتراجع الصوت إلى مستوى لا يكاد يُسمع كلما بدأت في التكلم. كنت أرفع صوتي حتى أُسمع ثم يعود مكبّر الصوت الغامض للعمل بأعجوبة بشكل طبيعي.

وخلال الاقتراع الفعلي، صوتت المناطق وفقاً للتعليمات التي منحها إياها رئيس المنطقة. وبما أن الكثير من المندوبين كانوا يسافرون معاً ويتحركون كمجموعة، كان لدى رؤساء المناطق متسع من الوقت لتوعية مندوبيهم بحيث يضمنون أنهم سيصوتون على النحو الصحيح.

كان الكثير من أنصاري مدركين تلك الممارسات. وكان في ذلك تذكير بأن السياسة في كوريا تتسم بالخشونة وفي أحيان كثيرة بالوحشية. واقترح بعض مؤيديّ أن أنسحب من الإجراء، لكنني أصررت على ضرورة البقاء حتى النهاية. وهذا ما قمت به. كنت مؤمناً بأن البقاء في السباق مهم، حتى وإن كانت الإجراءات معيبة.

وكانت النتائج كما كان متوقعاً؛ خسرت. لم يكن هناك ما يمكنني عمله أكثر مما عملته بالفعل. وكان سبب مواساتي أن الانتخابات التمهيدية أجريت أصلاً.

حصلت على ما مجموعه 2884 صوتاً، أو نسبة 37.4 في المئة، من الأصوات التي أُدلي بها. وحصل خصمي على 4701 من الأصوات، أو نسبة 61 في المئة. وبالنظر إلى الجهود الممنهجة التي بذلها خصومي للتقليل من فرصي، اعتبرنا أن تمكّني من جمع 37.4 في المئة من الأصوات يعد إنجازاً باهراً في ظل تلك الظروف.

وأثناء الكلمة التي ألقيتها للتسليم بالخسارة، شكرت الرئيس كيم على قراره بإجراء السباق التمهيدي، ثم وجّهت التهنئة إلى خصمي.

وعندما غادر الجميع الاستاد، بقيت أتفكر في مغزى الحدث، واللحظات المؤلمة حين كان عليّ أن أتخذ قرارات صعبة، والحماس بسبب إدراكي أنني ساعدت في أن تُتخذ خطوة حقيقية ومهمة للأمام من أجل الديمقراطية في كوريا. وقام أنصاري، الذين تخلفوا معي، برفعي على أكتافهم، وبدأوا في الهتاف: "لي ميونج-باك! لي ميونج-باك"! لاحظت أن بعضهم يبكي. كنت ممتناً لهم جميعاً.

وفي اليوم التالي تلقّيت كثيراً من المكالمات الهاتفية التي تهنئني لما تمكنت من تحقيقه وتواسيني على خسارتي. وكانت إحداها من الرئيس كيم نفسه، إذ قال:

"سيد لي، لقد انبهرت جداً بالطريقة الوقورة التي تصرفت بها. أعتقد أن ما قمت به يستحق الإعجاب عندما أمسكت بيد السيد شونج وتعهدت بدعمه. ذكّرني ذلك بحادثة مشابهة في مشواري السياسي. في عام 1972، خضت مع كيم داي-جونج ولي تشول-سيونج معركة تمهيدية شرسة لنيل ترشيح الحزب لمنصب الرئيس. وكنت قد اتفقت مع السيد لي أنه في حال الانتقال من الجولة الأولى إلى جولة الإعادة فإنه سيعلن تأييده لي. بيد أن السيد لي نكث وعده وساند كيم داي-جونج، وانتهى الأمر بخسارتي للانتخابات التمهيدية. لكن على الرغم من خسارتي، فقد التزمت بنصيبي من الصفقة وتنقّلت في أنحاء البلاد داعياً لنصرة كيم داي-جونج كما وعدت. انظر إليّ الآن، أصبحت الرئيس".

كنت شاكراً لأن الرئيس كيم اتصل بي لكن، للحق، لم أجد راحة كبيرة فيما قاله.

لقد كانت الانتخابات التمهيدية لعام 1995 لمنصب عمدة سيول حدثاً عظيم الأهمية في السياسة الكورية. فلأول مرة أجريت انتخابات تمهيدية حرة بالفعل لتحديد

مرشح الحزب. من بعد ذلك، ستَعتبر جميع الأحزاب السياسية من الطبيعي إجراء انتخابات تمهيدية لدى اختيارها مرشح الحزب لمنصب عمدة سيول.

سكان قرية جونج-آن

قابلت كثيرين على مدى سنوات، لكن هناك قرية واحدة أتذكرها بالكامل بمزيد من الودّ. كانت تُدعى جونج-آن، وقد قابلت ساكني هذه المقاطعة المتميزة عندما كنت مرشحاً للمقعد البرلماني عن مقاطعة جونجنو، وهي المقاطعة الراقية التي تمثّل وسط سيول.

ومع احتدام السباق، قررت أن أواصل الحملة في المنطقة القريبة من قرية جونج-آن. وبمجرد أن بُحت برغبتي، أبدى أفراد طاقم حملتي اعتراضهم الشديد. ذكّروني بأن ذلك الجزء من البلدة لم يصوِّت قطّ للحزب الحاكم، وأنه لا فائدة من مجرد السعي للحصول على أصواتهم. وقالوا إن عليّ بدلاً من ذلك أن أكرّس وقتي لترسيخ دعمي في المناطق الأخرى. وكانت أغلبية السكان من المقاطعة تعارض تقليدياً الحزب الحاكم. كان الأمر يرتبط بجرح قديم؛ جرح تعاني منه كوريا منذ قرون، وكان ما يزال دامياً في وسط سيول.

لكنني لم أكن أشاطرهم تلك الآراء المسبقة، ولم أكن أنوي خوض لعبة الإقليمية. إذا كنت سأصبح نائباً في الجمعية الوطنية عن مقاطعة جونجنو، فإنني أنوي تمثيل ساكني جونج-آن أيضاً، بصرف النظر عن مكان نشأتهم أو ما إذا كانوا قد صوتوا لصالحي أم لا.

وفي الواقع، كلما زادت محاولات طاقمي ثَنيي ازداد حماسي وتنامى عزمي لمواصلة الحملة هناك. وعندما أدرك أفراد طاقمي ذلك، توقفوا في نهاية المطاف عن الإشارة إلى عدم جدوى زيارتي وشرعوا في بذل الجهد للإعداد لها. لكن الأمر لم يكن سهلاً. فعلى العموم، كانت القرية تبدي العداء تجاه القادمين من خارجها، وخصوصاً الساسة من

الحزب الحاكم، وسَرَت شائعات بعدم وجود سبل لضمان أمني. واكتشفنا فيما بعد أن الشرطة أيضاً كانت مترددة في الدخول إلى المنطقة، وبالتالي كان الأمن معدوماً من الناحية العملية مما تصبح معه زيارتي خطرة إلى درجة كبيرة.

واتضح أن زيارتي كانت الأولى من هذا النوع التي يقوم بها عضو في الحزب الحاكم على مدى أكثر من أربعين عاماً. وصلت في حدود العاشرة ليلاً. كان الكثير من السكان من عمّال اليومية المحدودي الدخل. وبعد العمل لخمس عشرة أو ست عشرة ساعة في اليوم، يتوقفون عند خيمة مؤقتة تعمل كحانة محلية لاحتساء عدة أكواب من مشروب السوجو. وكما وصفت من قبل، لقد سكنت أنا شخصياً في بلدة فقيرة شبيهة، وإن كان هذا المكان، للحق، أسوأ بكثير. كان المدخل إلى القرية شديد الضيق بحيث يكاد يسمح بمرور شخص واحد بالغ. كانت القرية نفسها متهدمة، وكانت بعض الأكواخ آيلة للانهيار. كان السكان يطالعون بعداء واضح؛ فقد كان كثير منهم يعيش على نحو غير مشروع على ممتلكات آخرين لأكثر من أربعين عاماً، وكان التهديد بالإخلاء ماثلاً في كل وقت. ومع تقدُّمنا داخل أرضهم، كان العداء والشك تجاهنا واضحين للعيان.

في الداخل، كانت القرية أشبه بالمتاهة. الدروب بُنيت عشوائياً، وكان من السهل أن يضلّ المرء طريقه. بعد مرور بعض الوقت وصلنا إلى فضاء صغير مفتوح بمنزلة الميدان الرئيسي للقرية. كانت توجد فيه البئر الوحيدة العاملة في القرية. كانت البئر هي المكان الذي يسحب منه الأهالي مياه الشرب ويغسلون عنده ثيابهم، ويمضون لحظات معدودة للاستراحة من أعمالهم الشاقة.

طلبت من أحد مساعديّ أن يناولني مكبر الصوت، وشرعت على الفور في إعلام السكان بوجودي. بدأ الناس في التفوّه بالبذاءات والطلب مني السكوت. سمعت ملاحظات مبتذلة كثيرة في حياتي، لكن ما سمعته ذلك اليوم يتجاوزها جميعاً. كانوا

بالفعل مجموعة من الناس تتسم بالحيوية والتنوع. لكنني كانت عازماً أمري. لم تكن لديّ نية التراجع.

كنت أدري طوال الوقت أنه ما من فائدة من التحدث عن السياسات مع أولئك الناس. وليس سبب ذلك أنهم عاجزون عن الفهم، لكن لكونهم غير مبالين بالسياسة أصلاً. يؤمن هؤلاء بأن كل ما يحدث خارج قريتهم، وكل ما يقوم به الساسة والحكومة ليس فيه فائدة لهم على الإطلاق. كانوا يرون أنفسهم غرباء على المجتمع. كانت القسوة تهيمن عليهم. وأنا أعي مصدر هذا الشعور لأنني أعرف معنى الفقر المدقع، وما يمكن أن يصنعه في اعتزاز المرء بنفسه وفي نظرته إلى الحياة.

طالعت حفنة الناس الماثلين أمامي، وقلت: "أنصتوا، إنني لست هنا اليوم لأطلب أصواتكم أو شيئاً من هذا القبيل. أنني أدري أنني لن أحصل على أي أصوات هنا. بل إنني لست متأكداً من أن أحدكم سيدلي بصوته أصلاً. على كل حال، إنني هنا اليوم لأشاطركم سراً صغيراً، إنني هنا لأخبركم عن سرّ كسب المال".

بدأت أتحمس. كنت أعلم ما يفكر فيه هؤلاء الناس وما عليهم تحمّله. بدأت أرى مدى المتعة التي يمكن أن أحصل عليها إذا تمكنت من مساعدتهم على الإفلات من براثن الفقر. تلك هي السياسات الحقيقية، وهذا هو موضوع السياسة الأساسي!

واصلت: "أنا نفسي نشأت في بلدات قَمرية[29] مثل هذه. جمعت القمامة ومارست كل أنواع الأعمال الغريبة. إنني أعرف العمل الشاق. وأعرف أيضاً ما يعنيه أن تنتظر دورك كل صباح لدخول المرحاض. لكنني عملت بجدّ، وبجدّ فعلاً. وأصبحت رئيس أكبر مجموعة شركات في كوريا. وربحت مالاً كثيراً أيضاً. واليوم، أريد أن أشاطركم سرّ نجاحي وكذلك سرّ كسب المال".

بدأ النـاس في التجمـع حـولي. ومـن كـانوا يطـالبونني بالـسكوت جـاؤوا بهـدوء وجلسوا. وضعت مكبّر الصوت جانباً. فرشـت بعـض الـصحف وجلـست معهـم عـلى الأرض، وبدأت في الحديث.

"عندما كنت صغيراً وفقيراً، لم يكن يهمّني إطلاقاً من سيترشح للحكم. لم أكن أعرف من يمثّلني، ولم أكن أكترث. لكن هنـاك شـيئاً واحـد كنـت أكـترث بـه فعـلاً، وهـو كيفيـة الخلاص من هذا الفقر المذلّ. كيف لي أن أكسب المال بأي طريقة؟ كان هناك آخـرون حولنـا يعانون المحنة نفسها ويشكون طول الوقت؛ كانوا يلومون الآخرين، أو كانوا ببساطة فاقـدي الأمل. أما أسرتي فكانت مختلفة. أنا كنت مختلفاً. عندما تكون هناك انتخابات محليـة ونُمـنح إجازة ذلك اليوم، لم أكن أشرب كالآخرين أو أفضِّل عدم الذهاب إلى العمل. بل كنت أجـدُّ العمل حتى في أيام العطلة، وكنت أعمل بلا هوادة. الفقر يجعل الحياة صعبة، لكنه ليس شيئاً يستحي المرء منه. وإذا أردت الهروب من الفقر، عليـك العمـل بكـل جديـة. لا يوجـد مـن سيقوم بذلك نيابةً عنك. دعوني أسألكم: هل جاء أي مسؤول منتخب آخـر مـن منطقـتكم لعمل شيء من أجلكم؟ أؤكد لكم أنني لن أكون مختلفاً. وهل تعرفون الـسبب؟ لأنـه لا أنـا ولا غيري يمكننا صنع شيء من أجلكم. هل تريدون أن يرث أطفـالكم هـذا الفقـر أيـضاً؟ إنني أعلم ما يدور بخاطركم عندما تقلقون بشأن تزويج ابنكم أو ابنتكم".

في غضون ذلك بدأ الوقت يصبح متأخراً، لكن لم يبدُ أن أحدهم راغب في المغادرة. نهض أحدهم وسألني إن كنت سأعود مرة ثانيـة. كـان رأيـه أن هنـاك آخـرين ينبغـي أن يستمعوا إلى ما لديّ.

بعد عدة أيام، زرتهم مرة ثانية. وعلى عكس زيارتي الأولى، كان هناك أناس كثيرون مجتمعين في الميدان هذه المرة قبل وصولي. وكما في المـرة الـسابقة، فرشـت بعـض الجرائـد

وجلست على الأرض. وبمجرد استقراري في مكاني، لاحظت أن عدداً أكبر من الناس بدأ في التجمع. لاحظت أن السكان أكثر تقبُّلاً بكثير، بل ومرحِّبون.

"أدري أن كثيرين منكم لن يصوِّتوا لصالحي. أفهم ذلك. وإذا انتُخبت، أنا متأكد من أنه لا يوجد الكثير الذي يمكنني عمله من أجلكم. كل ما يمكنني قوله إنني سأحاول أن أساعد بقدر ما يمكنني وكلما أمكنني".

والمسألة التي يمكنني أن أساعد بصددها هي النزاع القائم منذ أربعين عاماً بين السكان وملاّك الأرض.

"أدري نزاعكم القائم منذ مدة طويلة مع ملاّك الأرض. عندما كنت في عالم الأعمال، ساهمت في حلّ عدد لا حصر له من الوقائع المتعلقة بالملاّك والتعويضات وما شابه. سأبذل قصارى ما في وسعي بمجرد وصولي إلى المنصب لإيجاد تسوية ودّية لهذه القضية. أعلم أن الذين سبقوني ربما وعدوا بالكثير لكنهم إما لم يتابعوا الأمر قطّ أو تابعوه في حالات نادرة".

كنت أعرف أن ملاحظاتي موجَّهة صوب الهدف مباشرة. وفي تلك الليلة، تحادثت مع السكان بشأن قضايا شتى. وبالنسبة لهم لم أكن الرئيس التنفيذي السابق لشركة هيونداي أو مرشحاً سياسياً، كنت مجرد السيد لي ميونج-باك الذي يوزع المشورة ويستمع إلى الشواغل ويتقاسم أفكاره الشخصية. ولاحقاً، قبيل الانتخابات، عندما دبّ الخلاف بين الملاّك والسكان، جاءني أحد السكان طالباً المساعدة. صرفته بلطف. كنت حريصاً على ألاّ أعد بشيء بينما لم أكن قد انتُخبت بعد أصلاً.

قلت: "عُدْ مرة أخرى بعد انتهاء الانتخابات، وأعدك بأنني سأحاول المساعدة بصرف النظر عن انتخابي من عدمه".

وجاء يوم الانتخابات بمفاجأة قوية. فعلى عكس التوقعات، انتصرت على خصمي بهامش كبير حيث جمعت ما نسبته 40.5 في المئة من الأصوات، أي أعلى بكثير من المتوقع. وحصل المرشح الثاني، وهو السيد لي جونج-تشان، على 33 في المئة، فيما حصل السيد روه مو-هيون[30] على 17 في المئة. وما أسعدني بصورة خاصة أنني فزت في قرية جونج-آن. وكان سبب انتصاري أن الناخبين العاديين اختاروني. وهذا، أكثر من أي شيء آخر، جعلني أعتز بانتصاري.

وبعد المفاجأة التي حققتها، بدأ من توقّعوا أن أُهزم شرّ هزيمة يتفادونني. فكما هو متوقع، شعر هؤلاء بالحرج. وفي أحد الأيام، جاءني أحدهم معتذراً. قلت له: إن الاعتذار لا داعي له. وأضفت: "كانت توقعاتك صحيحة، استناداً إلى الحقائق كما تعرفها. بيد أن الزمن تغير. والناس تغيرت. كل خطئك أنك تجاهلت هذا التغير".

ما أردت قوله أن السياسة القديمة لم تعد مجدية. لم تعد النزعة الإقليمية والقوالب النمطية ذات تأثير لدى الناخبين الذين ارتفع مستوى ثقافتهم وأصبحوا أقلّ انقياداً لمثل تلك التلاعبات. وكان انتصاري في جونجنو مذهلاً لأسباب متعددة، لكن في مقدمتها أنه جدَّد الأمل لديّ أن بإمكاننا التغلب على تلك التحيزات. وعلى كل حال، كانت جونجنو تجسيداً للمؤسسة وللمتميزين؛ لكن من حيث كونها مكان السكان من مثل الموجودين في جونج-آن وكذلك أثرياء سيول ومشاهيرها، فقد كانت أيضاً المكان الذي تسوده الانقسامات والعداوات.

السياسة الجديدة كانت تعني أن عليّ الآن أن أبذل قصارى جهدي لمساعدة الجميع وليس أنصاري وحدهم. وعلى غرار الشركات، كان عليّ تلبية حاجات "زبائني" وأمنياتهم. كانت السياسة الجديدة ستدور حول بذل أقصى ما نستطيع للاستماع إلى شواغل جميع

الناخبين. وإذا سوَّقنا "منتجاتنا" على أفضل نحو، فعندئذ أنا واثـق أن بإمكاننـا تجـاوز النزعـة الإقليمية أيضاً، وهي مصدر لهذا القدْر الكبير من الانقسام والانشقاق.

بعد فوزي بالانتخابات توجهت مرة أخرى إلى قرية جـونج-آن. لم أكـن قـد وعـدتهم بشيء، ولذلك، من الناحية التقنية لم تكن عليّ التزامات. ومع ذلـك، فقـد اسـتقبلني الـسكان بأذرع مفتوحة وصافحوني مهنئين. وكان الشعور بالثقة والودّ المتبـادلين يبعـث عـلى الرضـا. وأقسمت أن أتذكر أن هؤلاء الناس كانوا سبب قراري أن أصبح سياسياً.

الفصل السابع عشر

بدايـة جديـدة

كنت مؤمناً باحتمال الواحد في المئة، أي بفكرة أنه إذا كان هناك احتمال للنجاح ولو بنسبة واحد في المئة، فإن أي مشروع يمكن تحقيقه بإضافة العمل الجاد.

في 15 نوفمبر 1998 كنت في طريقي إلى مطار جيمبو الدولي. كنت أفكر في ما مضى من حياتي والأشياء التي قمت بها في السنوات الثلاثين تقريباً التي قضيتها كرجل أعمال، مسافراً في جميع أنحاء العالم، ودخول السياسة ورعايتي لعشقي الجديد، أي: مساعدة الناس. كنت قد شرفت بالفوز بالمقعد المرغوب ممثّلاً عن مقاطعة جونجنو، وتألمت كثيراً عندما قررت، بعد أن اتُّهمت بتجاوز السقف القانوني للإنفاق أثناء انتخابات عام 1996، أن أستقيل. ومهما كانت درجة اعتيادي على المحاكمات والمشاق، فقد كانت تلك مؤلمة بصورة خاصة. ومع ذلك، رأيت أن هذا الموقف من صنع يدي، ولم تكن لديّ النية لإلقاء اللوم على أحد. كان لدي الاعتقاد دائماً بأن على المرء، سواء في الأعمال أو السياسة، أن يمارس المسؤولية.

ومن خلال التخلي عن مقعدي – وكوني عاطلاً عن العمل– أتيح لي الوقت للتفكّر. وكانت المرة الأولى في حياتي أيضاً التي يتاح لي فيها متسع من الوقت. وفي نهاية المطاف، قررت أن تلك هي الفرصة المثالية كي أدرس. تذكرت حالة صديقي العزيز، رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير. فقد شهدتْ حياة ذلك الرجل الرائع مرحلة جرى فيها تهميشه بعد أن خدم بلده على نحو يثير الإعجاب لسنوات طويلة. ذلك أن السيد مهاتير، أثناء خضوعه للتهميش السياسي، لم يبدد الساعات أو يشعر بالندم؛ فقد رآها

فرصة للتجول حول العالم ودراسة ما يقوم به الآخرون. وفي رحلاته، كان يصطحب معه كاميرا فيديو صغيرة. وكان يزور المصانع الكبرى ويسجل الخطوات المتَّخذة لتحسين الجودة والتنافسية العالمية. وبمجرد عودته إلى السياسة، لم يُضِع السيد مهاتير يوماً واحداً؛ فقد نفَّذ على الفور ما تعلَّمه في الخارج. وكنت أعرف أنني أيضاً لن أضيّع وقتي، فقررت أن أواصل السعي لتلبية اهتماماتي الأخرى.

كان 1998 عاماً حافلاً بالتوقعات العظيمة. وبكثير من عدم اليقين، مع ترقُّب الناس للقرن الجديد، كنت أتساءل عن الكيفية التي يستعد بها الأمريكيون للمستقبل. ومن حسن الحظ أنني تلقيت عرضاً بالعمل كزميل زائر في جامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة، حيث كانت لديّ خطط للبقاء لمدة عام لدراسة إدارة الأعمال والإدارة العامة والحوكمة.

وفي ذلك الوقت تقريباً، نشرت أكبر صحيفة يومية في كوريا نتائج استطلاع للآراء. فقد كانت صحيفة تشوسون إلبو تحتفل بالعيد الخمسين لقيام الدولة، واستعانت بآراء من رأت أنهم الشخصيات الأكثر تأثيراً على مدار السنوات الخمسين الماضية. ووقع عليّ الاختيار من بين الشخصيات العشر الأبرز في مجال الأعمال. واختيرت سيرتي الذاتية، التي نُشرت في عام 1995، كواحدة من المنشورات الخمسين الأهمّ في تلك السنة. وكان الأمران بمنزلة عزاء أثلج صدري مع استعدادي لبداية جديدة.

وقبل مغادرتي باتجاه الولايات المتحدة، استضافت مجموعة من شركاء العمل المقرّبين وأصدقاء العائلة عشاءً صغيراً لي ولزوجتي. وأبلغتُهم أنني أنوي الابتعاد عن السياسة والأعمال لفترة من الوقت لدراسة ما يقوم به الآخرون استعداداً للقرن الجديد. وأبلغتهم أيضاً أنني أراها نعمة أن أتمكن من مراجعة ما أنجزته والتأهب للمستقبل. كنت

أعرف أن لدي مواضع قصور، والحصول على الوقت كي أدرس وأحسّن قدراتي كان نعمة حقيقية.

وعند بداية ألفية جديدة، أردت أن أبلور رؤية جديدة ومختلفة لبلدي، وأن أنأى بنفسي عن السياسة المعتادة. وعلى الرغم من إخفاقي في كسر الجدران العالية والقواعد التي وضعتها المؤسسة، كنت مصمماً أكثر من أي وقت مضى على تغيير الوضع. وكي أتمكن من ذلك، كنت أعرف أن عليّ أن أتسلح بأفكار جديدة ورؤى جديدة. كانت ماتزال لديّ الرغبة في تطبيق ما تعلمته في القطاع الخاص على القطاع العام، وكنت أعرف بالفطرة أن ذلك ما كانت كوريا تحتاج إليه كي تزدهر في القرن الجديد.

وعندما وصلت مع زوجتي إلى مطار جيمبو الدولي، كان في انتظارنا جمع ممن جاؤوا ليودعونا ويتمنوا لنا التوفيق. لم نُعلم أحداً باليوم المحدد للسفر أو ساعته، ولذلك انطوى الأمر على مفاجأة؛ وهي مفاجأة تبعث على التأثر العميق أن نرى كل هذا العدد من الناس الذين جاؤوا لوداعنا. صافحت كل واحد منهم وشكرتهم. شكرتهم مرة ثانية وأكدت لهم أنني سأعود رجلاً أفضل، وقائداً أفضل. لم يكن لديّ ما هو أكثر من ذلك لأقوله. كنت أعرف أنني سأثبت عزمي بأعمالي.

شهر عسل ثانٍ

أمضيت ساعات لا حصر لها في الطائرات أثناء عملي كمسؤول تجاري، لكن هذا اليوم كان مختلفاً. فكلما كنت أسافر كمسؤول تجاري كنت أجلس في مقاعد الدرجة الأولى. أما الآن، ولأول مرة، كنت أجلس في الدرجة السياحية في رحلة منتصف الليل، وهي الأرخص المتاحة. شعرت بالأسف الشديد من أجل زوجتي. والأمر الباعث على المزيد من الإحباط أنني كنت محشوراً بجانب رجل ضخم استحوذ على مساحة كبيرة.

انزعجت، لكن لم يكن هناك ما يمكنني القيام به. فقبل مغادرتي باتجاه الولايات المتحدة، وعدت نفسي بأننا سنعيش مقتصدين. قدَّمت هذا الوعد لزوجتي، ووافقت على الفور. ولذلك فإن الشكوى بشأن مقعد بائس لم تكن واردة.

هبطت رحلتنا الليلية في السادسة صباحاً، بتوقيت واشنطن. وبعد رحلة طويلة ومرهقة (وشديدة الضيق)، كانت الاستراحة هي كل ما أودّ القيام به.كانت وتيرة الحياة محمومة في كوريا، والعبء العاطفي خلال الأشهر القليلة الماضية استنزف طاقتي. كنت أتوق لحمام ساخن وفترة من النوم العميق. لكن عندما وصلنا إلى الفندق علمنا أن غرفتنا لن تكون جاهزة إلا بعد ساعات. وطالما لم ندفع مبلغاً إضافياً، فسيكون علينا الانتظار حتى ساعة الدخول بعد الظهر. في الماضي، كنت أدفع ببساطة أجرة يوم إضافي، لكن في ظل هذه الظروف الجديدة، قررت الانتظار في ردهة الفندق.

وجدت مع زوجتي أريكة في ردهة الفندق وجلسنا فوقها بما يحقق أقصى راحة ممكنة. ثم نظرت إلى زوجتي. اكتشفت فجأة أنني لم أطالع وجهها بتمعّن منذ فترة طويلة. فوجئت عندما لاحظت أن وجهها الذي كان يوماً جميلاً بدأت تظهر عليه علامات تقدّم السنّ.

لم يكن قد تسنّى لي مع زوجتي قضاء شهر عسل بالمعنى الحقيقي، إذ بعد زواجنا مباشرة عدت للعمل وللسفر إلى أماكن بعيدة. ففي تلك السنوات، كنت أغيب كثيراً لأسابيع وشهور متواصلة، إلى درجة أنني لم أحضر ولادة أولادي الأربعة. وفي غيابي، كان على زوجتي أن تعتني بالأطفال بمفردها. وكلما طرأ شيء على الأسرة، كانت تضطر إلى اتخاذ جميع القرارات والعناية بالمسائل بمفردها. كانت امرأة قوية، وأمّاً رائعة، وزوجة محبّة تحمّلت الكثير على مرّ السنين، واستذكرت كم أنا محظوظ لكونها صاحبتي.

ومن حسن الحظ، أن إقامتنا في الفندق لم تَطل. فقد تمكنّا من العثور على مكاننا الخاص بمساعدة صديق قديم، وهو البروفيسور بارك يون-شيك، الذي كان يحاضر في جامعة جورج واشنطن. وخلال أسبوعنا الأول في واشنطن، رافقتنا زوجة البروفيسور بارك في أنحاء المدينة كي نعثر على بيت. كان البيت الأول الذي اصطحبتنا إليه عبارة عن منزل لطيف من طابقين ومساحة خضراء أمامية كبيرة. أُغرمت زوجتي بالبيت على الفور. ورأت أن المساحة الخضراء ساحرة بصفة خاصة. لكنني قلت للسيدة بارك إننا نريد رؤية مكان أصغر وأكثر تواضعاً. لم تطأ قدماي المنزل أصلاً. قلت لها إننا نفضِّل شقة صغيرة بالقرب من الجامعة.

اعترضت السيدة بارك قائلة، إن البيت ليس كبيراً إطلاقاً بمعايير واشنطن. وأصرّت على أنه ليس أكبر من بيت سيسكنه مراسل أنباء كوري متوسط يُعيَّن في المنطقة. وأضافت قائلة، إنه بما أنني سأستضيف الكثير من الضيوف، وخصوصاً المراسلين من كوريا، يجب على الأقل أن أعيش في بيت يشبه بيوتهم. قلت لها إنني لا أنوي استضافة أي ضيوف خلال مدة بقائي وأصررت على أن تساعدنا على العثور على مكان أصغر.

استجابت السيدة بارك في نهاية المطاف. اصطحبتنا إلى حي قريب من الجامعة، حيث شاهدنا شقة صغيرة وهادئة. قررت أن ذلك هو المكان المثالي كي نستقر فيه. وقَّعنا عقد الإيجار وانتقلنا إليه على الفور.

قررت أنا وزوجتي عدم شراء أثاث جديد، لكن اتضح أن العيش على الحد الأدنى من الأثاث مسألة أصعب مما كنا نتوقع. فقد كانت طاولتنا عبارة عن صندوق مقلوب، هي في الوقت نفسه الحامل للهاتف والفاكس. وكان مكتبي، وكذلك البطانيات التي نستخدمها، عبارة عن هدية قدمها لنا أصدقاؤنا.

ولم يكن ذلك الاقتصاد في العيش والتواضع محاولة لإثبات أي شيء للآخرين. فقد كانا نابعين من قناعتي الشخصية، بأنه بصرف النظر عن الظروف، فإن على المرء أن يحاول التعلم منها. إنني شخص متفائل بطبيعتي وأنظر للحياة من زاوية متفائلة. والآن أنا في منفى ذاتي، ولذلك كان من الطبيعي أن أبقى مقتصداً. قلت لنفسي إن الغرض من بقائي في واشنطن العاصمة هو تعلُّم شيء جديد؛ ولم تكن هناك حاجة للعيش المترف. كانت أمي هي من غرس فيّ هذا السلوك. لم أرَ أمي تشكو ولو لمرة واحدة. وبدلاً من ذلك، كانت تحمد الله دائماً على كل ما لديها وتحرص على الاستفادة منه بالشكل الأمثل. وكنت عازماً على القيام بالشيء نفسه.

في البداية، كان غريباً بالنسبة لي أن أمضي اليوم بكامله مع زوجتي. وجدت صعوبة في أن أجد ما أقوله. وبالنسبة إلى زوجتي، كان مربكاً أن أكون موجوداً في البيت طوال اليوم. لم تكن معتادة على وجودي في البيت نهاراً، وخشيت أن نجد العيش في شقة صغيرة أمراً يبعث على الضيق الشديد. لكن مع حلول شهرنا الثالث معاً واستقرارنا في حياتنا الجديدة، ارتحنا لروتيننا اليومي ولم نشعر بالارتباك لوجودنا معاً طول الوقت. في الواقع، كنا نستمتع بالفترة الأكثر استرخاءً في حياتنا. وفي أيام الأحد، كنا نتوجه معاً إلى الكنيسة ونصلي؛ ثم نمضي في جولة قصيرة بالسيارة ونواصل الحديث. وخلال الأسبوع، كنا نخرج معاً في مناسبات اجتماعية ونلتقي الأصدقاء. أمضينا وقتاً طويلاً معاً، وشعرنا وكأننا نستمتع بشهر عسل حقيقي لأول مرة.

وكلما حضرت ندوات، كانت زوجتي تنضم إليّ. وإذا لزم أن نسير بالسيارة لساعات، كنا نتناوب على القيادة. والتوجه إلى أماكن لم نرها من قبل، لم يكن يشكل أدنى مشكلة. كل ما كان علينا القيام به، هو تنزيل خريطة من الإنترنت، واتّباع التوجيهات. ونظراً لأن الشوارع كافة في الولايات المتحدة تحمل أسماء، كان الأمر بالغ السهولة، في

حين أن العثور على مكان في سيول، حتى وإن كان لديك العنوان، كان كثيراً ما يشكل تحدياً كبيراً. فعلى سبيل المثال، كان بيتنا في سيول يطلّ على شارع اسمه طريق "ستار فيليج". كنت أتساءل عن كيفية شرح موقع بيتي لأصدقائي الأمريكيين نظراً للأسماء والأرقام غير المنتظمة التي تتسم بها العناوين الكورية. أدركت أن الأمر يكاد يكون مستحيلاً. وفجأةً خطرت ببالي فكرة بشأن كيفية تنظيم العناوين الكورية. وبدأت هذه الفكرة وغيرها تتبلور مع تقدُّم فترة بقائي في واشنطن العاصمة، ولعلها لم تكن أقل طموحاً إلا من خطتي لإعداد نسخة سيول من مشروع "بيج ديج" Big Dig في بوسطن.

مشروع النفق الكبير

خلال الفترة التي أمضيتها كزميل زائر في جامعة جورج واشنطن، درست إدارة الأعمال والإدارة العامة. وكان اهتمامي الرئيسي يتركز في تعلّم كيفية تأهُّب الولايات المتحدة للقرن الجديد. وفي ندوة عُقدت في أحد الأيام، لاحظت أن البيئة بدأت تصبح أحد مجالات الدراسة الرئيسة ومصدراً من مصادر القلق البالغ. وكان هناك الكثير من الأكاديميين وخبراء السياسات العامة في الولايات المتحدة الذين يتنبؤون بأن حماية البيئة وضمان النمو المستدام سيكونان من الشواغل الأكثر أهمية في القرن الحادي والعشرين.

وبدأت صناديق من الكتب المشتراة من محلات بيع الكتب الإلكترونية تتراكم في الغرفة الإضافية في شقّتي. ثم في أحد الأيام، وبينما أنا أتأمل الصناديق، خطرت ببالي فكرة: "الصندوق صندوق. لكن لا يُشترط أن يكون الصندوق دائماً مجرّد صندوق". خطرت ببالي تلك الفكرة بينما أنا أفكر في سبل حماية البيئة مع ضمان – في الوقت نفسه – استمرار نمو الاقتصاد. أحياناً يلزم اعتماد نهج راديكالي جديد لحلّ المشاكل. لماذا يُفترض أن يبقى الصندوق مجرد صندوق؟ بقليل من الإبداع، يمكن أن يصبح الصندوق شيئاً آخر. وبصورة مماثلة، إذا كنا نحاول حلّ مشاكل بيئية في وقت يتسم بمحدودية الموارد،

علينا عندئذ ألا نبتدع ببساطة أموراً جديدة لإرضاء جميع حاجاتنا، بل علينا أن نحدّ من حاجاتنا، وأن نُحدث تحولاً في الطريقة التي نستخدم بها مواردنا القائمة.

ومع استمرار تعمّق اهتمامي بهذا الموضوع، أخبرني صديق بمشروع "بيج ديج" في قلب مدينة بوسطن. واقترح عليّ أن أقتطع بعض الوقت لزيارة الموقع بنفسي. وقال إنه بالفعل منظر يستحق المشاهدة، وإنه تجسيد لمعنى الاستعداد للقرن الحادي والعشرين.

وفي فترة لاحقة، قمت بالرحلة إلى بوسطن، وتوجهت إلى الطريق السريع العلوي القديم (الطريق رقم 93 ما بين الولايات) الذي يمتد من تشارلز تاون عبر نورث إند ثم عبر وسط المدينة. والطريق، الذي كان ما يزال عاملاً، كان يجري هدمه لصالح نفق هائل من شأنه أن يخفف من التكدس المروري، وكذلك تحسين نوعية الهواء في جميع أنحاء المدينة. وكان المشروع يُطلق عليه اسم "بيج ديج" Big Dig.

لم يكن أحد يعرف المدة التي سيستغرقها استكمال المشروع. بعضهم قال عشر سنوات، وآخرون قالوا عشرين. لكن بمجرد انتهاء المشروع، ستسير حركة المرور عبر نفق تحت الأرض، وسيُحوَّل جزء من السطح إلى متنزه تنتشر فيه بغزارة الأشجار والملاعب. وباختصار، كان المشروع فكرة رومانسية رائعة بلورها أناس أصحاب رؤى.

واكتشفت أن خلافات خطيرة دارت حول مدى جدوى الخطة، وما إذا كان يتعين المضي قدماً في مثل ذلك المشروع الهائل للأعمال العامة أم لا. لكن في النهاية، اختار أهل بوسطن أن يكونوا من الرومانسيين وقرروا دعم المشروع. وبالنسبة إلى رجل اعتاد مطالعة الخرائط والميزانيات والتقدير الدقيق لكل قرار، ما له وما عليه، أدركت على الفور أن منافع هذا المشروع هائلة. والنفق، بمجرد انتهائه، لن يحوِّل بوسطن إلى مدينة خضراء فحسب،

إذ إنه سيحدث تحوّلاً في الطريقة التي يعيش بها الناس وفي استمتاعهم بالحياة. ومن خلال نظرة أولى، قد يبدو المشروع غير واقعي، وحتى مستحيلاً، لكن من خلال نظرة أدقّ، فهمت أنه يحمل إمكانية تغيير مستقبل المدينة إلى الأبد. وباختصار، كان استثماراً رائعاً.

تخيلت منظر بوسطن في المستقبل. وخطرت لي فكرة، أنه بينما تخطو بوسطن بهذا المشروع خطوة واحدة إلى الأمام، فإنه ما من مدينة أخرى سيمكنها في المستقبل مجاراة الاتساع في رؤية هذا المشروع. القراءة الدقيقة للاتجاهات الراهنة والتنبؤ بوجهة المستقبل ومن ثمّ اتخاذ الخطوات الضرورية الآن؛ هذا هو ما يحدد قَدَرَنا.

وبينما أنا أنظر إلى النفق الكبير وأتخيل مستقبل بوسطن، تراءت إلى ذهني صورة مركز سيول. فقد كان هناك نهر يمر عبر قلب سيول يُدعى شيونجيشيون (الاسم يعني بالكورية "النهر النظيف"). لكن مما يؤسف له أنه مع بداية نمو المدينة واكتظاظ المنطقة المحيطة بها، ازداد تلوّث النهر بالقمامة ومياه المجاري من الأكواخ المنتشرة على امتداد ضفتي النهر. وتحوَّل الوضع إلى مشكلة بصفة خاصة في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، في أعقاب الحرب الكورية. كان الخراب سائداً في كل مكان، وكان الاقتصاد محطماً. ومع تدهور الأوضاع على امتداد النهر، قرر المسؤولون أن الخيار الأنجع هو ردمه. وسرعان ما شيدت الشوارع والطرق السريعة فوق النهر. وما بين عامي 1955 و1970، كان النهر بالكامل تقريباً (بطول نحو 5 أميال) قد تمت تغطيته.

وعلى مدى أكثر من أربعين عاماً، كانت منطقة شيونجيشيون من بين المناطق الأكثر فوضوية واكتظاظاً داخل سيول. وانتشرت أسفل الطريق السريع المحال الصغيرة والباعة الجائلون والأكشاك.كانت التنمية مستحيلة، وكانت الجريمة منتشرة. كان نحو 170 ألف سيارة تجتاز طريق شيونجي السريع يومياً، وكان خطر الانهيار ماثلاً دائماً.

وكانت أعمال التصليح الضرورية لمنع تلك الكارثة المحتملة مستمرة بلا توقف تقريباً، مما يزيد من حالة الاكتظاظ. بيد أن أعمال التصليح تلك ما هي إلا تدابير مؤقتة. فكان لا بد من تنفيذ حلٍّ أساسي.

وكانت هناك مشكلة أخرى تجعل إيجاد حل أمراً ضرورياً: الفضاء الكائن بين النهر الأصلي والطرق العلوية كان مليئاً بأدخنة العوادم السامة. ومع غياب نظم التهوية الكافية، تقيحت الغازات على مدى أربعين عاماً وتسربت إلى الغلاف الجوي المحيط. وباختصار، كان قلب المدينة في حالة كاملة من التعفن. ولأن المسار الطبيعي للنهر تم سدّه، فإن الحرارة أيضاً حُبست. وفي الصيف، عندما كانت تشتد الحرارة والرطوبة، كانت درجة الحرارة حول النهر تزيد بدرجتين أو ثلاث درجات عما هي عليه في المناطق المحيطة. وتكونت جزيرة من الحرارة في قلب سيول.

لم يكن هناك سوى حل واحد: إحياء النهر.

السعي إلى احتمال الواحد في المئة

بدأتُ حساب احتمال إحياء نهر شيونجيشيون. هل كان الأمر مجدياً فعلاً؟ الجميع تقريباً كانوا مجمعين على أن المنطقة يجب أن تشهد تغييراً، لكن السؤال كان: من كان سيضطلع بمثل هذا المشروع الهائل للأعمال العامة؟ ومتى وكيف؟

فور عودتي إلى كوريا، التمست رأي متخصصي النقل ومخططي المدن. كانوا جميعاً متفقين على شيء واحد: إن التخلص من طريق سريع يحمل نحو 170 ألف سيارة في اليوم، سيعجّل بأزمة في النقل. قلت لأحد الخبراء، إن هذا بالضبط ما كان يدور بذهني.

وبعد لحظة فهم الخبير ووافقني. "حان الوقت لأن نعتمد سياسات لكبح الطلب. لم يعد بمقدورنا أن نستوعب هذا الكمّ من المرور، ومع ذلك نتوقع أن نعيش في راحة. لكن من المحتمل أن نواجه مقاومة هائلة. الناس ليسوا مستعدين، ولا رغبة لديهم في تحمّل المضايقات".

واصلت: "من دون تغيير راديكالي، فإن شلل النقل سيجعل المدينة تركع. لكن الناس لن يدركوا الحاجة إلى التغيير إلا عندما يرون الشلل بأعينهم. وعندما يتعلق الأمر بسياسات النقل، يجب أن تسبق الحكومة التصور العام، لكننا كنا في الواقع دائماً متخلفين عنه".

وكلما زاد نقاشي مع آخرين بشأن هذه المسألة، أصبحت مقتنعاً بإمكانية تنفيذها. كنت مؤمناً باحتمال الواحد في المئة، أي بفكرة أنه إذا كان هناك احتمال للنجاح ولو بنسبة واحد في المئة، فإن أي مشروع يمكن تحقيقه بإضافة العمل الجاد.

اتفق المهندسون على أن تفكيك الطريق السريع، وإحياء النهر أمر بسيط جداً من الناحية التقنية. وبعبارة أخرى، التحدي الهندسي كان الجزء السهل؛ أما الجزء الصعب، فكان إقناع الناس بتحمل الإزعاج.

كان من يُطلَق عليهم خبراء السياسات هم الفئة الأصعب إقناعاً. فقد كانوا يرجحون النهج البسيط، وكانوا معارضين بشدة لأي مشروع يتطلب عملاً تحضيرياً موسعاً. وكانوا يرون أن مشروعاً بهذا الحجم يتطلب دائماً قدراً كبيراً من المفاوضات مما سيحبطه في نهاية المطاف. وأصرّوا على أن المشروع يُحتمل أن يتحول إلى كارثة سياسية.

أصبت بإحباط. فعلى الرغم من أن الجميع كان يعي المآزق التي ينطوي عليها وجود طريق سريع يقطع منتصف المدينة، ولا يهدد سلامة سائقي السيارات فحسب، وإنما أيضاً

صحة من هم في الأسفل، كان هناك توافق حول كون الوقت ما يزال مبكراً للاضطلاع بهكذا مشروع. واستبعد الخبراء شواغلي وخططي باعتبارها لا تزيد على كونها طموحاً مفرطاً، وقالوا لي صراحةً إن الأمر مستحيل. كما كان كثيرون منهم قلقين بشأن النتائج السياسية، ولم يكونوا راغبين في اتخاذ إجراءات من شأنها تهديد مشوارهم الوظيفي.

تملّكني الإحباط بسبب الخبراء، وطلبت مشورة الناس العاديين. سألت أصدقائي عن رأيهم في فكرتي. لم يكن أي منهم مهندساً أو خبيراً في التخطيط الحضري. وكانت الأجوبة التي تلقّيتها مفاجئة بالنسبة لي. الجميع قال: "إذا كان الوضع كذلك، أعتقد أن الأمر يجب أن يُنفَّذ". شجعوني على الاعتقاد بأنني على الطريق الصحيح على أية حال.

هؤلاء الناس العاديون فهموا المخاطر وأدركوا الحاجة بالسرعة الكافية. قالوا لي، إن الخطة ليست سابقة لأوانها، وإنما على العكس متأخرة نسبياً. أصبحت لديّ القناعة بأننا إذا تركنا المشكلة تواصل نموها فستزداد المسألة تعقيداً، بحيث يصبح إيجاد حلٍّ أمراً مستحيلاً إلى الأبد.

بيد أنني كنت فرداً واحداً. وإحياء النهر لم يكن مشروعاً تضطلع به شركة خاصة. إنه مشروع يلزم أن تضطلع به هيئة عمومية. لم يكن الأمر يتعلق بمجرد تفكيك طريق سريع؛ كان يتعلق باستقدام حقبة جديدة من الحياة الجيدة. وكان يرتبط بالتفاوض مع عدد لا حصر له من الأطراف الفاعلة. كما كان يتعلق بنظرتنا للحياة الحضرية. وباختصار، كان يتعلق بالتخطيط للمستقبل. ومن خلال تفكيك الطريق السريع، كنت أخطط للتخلص من هيكل يمثل الماضي، عندما كانت التنمية العشوائية بأي ثمن هي القاعدة المقبولة. ومن خلال تطهير المدينة من تلك البقايا، كنت مؤمناً بأن بإمكاننا إقناع الناس بأن التنمية ليست الشيء الوحيد المهم في الحياة. يمكن أن تتعلق الحياة، بل ويجب أن تتعلق، بالرفاهية المشتركة

والفرص المشتركة؛ يجب أن تستمتع بالهواء النظيف وتمتلك فرصة الخروج في نزهة على الأقدام مع أسرتك.

عندئذ تحولت أخيراً فكرة كانت تختمر بذهني إلى شكل ملموس. وجدت هدفي المقبل. قررت أن أصبح عمدة سيول حتى تتسنى لي الفرصة لأوفر تلك الأشياء لأسرتي وللأجيال القادمة.

الفصل الثامن عشر

الوصول لمنصب عمدة سيول

تعلمت أنه في معظم الأوقات، إذا كنا نتبع السياسات الصحيحة، يمكن أن يصل بنا الإخلاص والاستراتيجيات الواضحة والصبر العظيم إلى مدى بعيد.

بعد عودتي من الولايات المتحدة، قررت دخول السباق التمهيدي للحزب الوطني الكبير Grand National Party لتسمية مرشحه لمنصب عمدة سيول. ومن حسن حظي أن خصمي سحب ترشحه، وأعلنني الحزب مرشحه لمنصب العمدة.

كان عُمَدُ سيول السابقون ينتمون إلى الحزب الديمقراطي. وكان ترشّح المرء عن الحزب الديمقراطي يعني أن الفوز أمر مفروغ منه تقريباً. وبذلك، كان الحزب الديمقراطي واثقاً بفوزه بمنصب عمدة سيول مرة أخرى. وكان مرشحه هذه المرة هو كيم مين-سيوك، وهو سياسي له كاريزما، يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر. وكان كيم في يوم ما من الطلاب الناشطين المعروفين على نطاق البلد، وكان يحظى بشعبية بين الناخبين الشباب. وقد قاد، بصفته رئيس اتحاد الطلاب في جامعة سيول الوطنية (وهي إحدى جامعات النخبة في كوريا)، الحركة الطلابية من أجل الديمقراطية، ودخل السجن نتيجة أنشطته. وكان الناخبون الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين عاماً يقولون إنهم سيشاركون في الانتخابات حتى يدلوا بصوتهم لصالحه. وكان يُحتفى به بوصفه الوجه الجديد للسياسة الكورية. وأظهرت استطلاعات الرأي بأنه كان يسبقني باستمرار بنسبة تتراوح ما بين 1 و3 في المئة.

وبطبيعة الحال، كان أنصاري يستعدون لمعركة قاسية. حاولوا تهدئة روعي بالقول، إن الناخبين الشباب سيغيِّرون رأيهم بعد انحسار الحماس الأوّلي. ومع ذلك، كان كيم خصماً قوياً. لكني حافظت على ثقتي بنفسي. لاحظت أن جزءاً من أسباب تخلفي عنه يعود إلى عامل السنّ، لكنني كنت أعلم أيضاً أنني كنت مسلحاً بما هو مهم فعلاً، أي الأفكار الجيدة على صعيد السياسات وخطة قابلة للتنفيذ.

وثبتت صحة توقعاتي. فمع مرور الوقت، بدأ الناخبون يلاحظون أن هذه الانتخابات تتعلق بالسياسات أكثر من تعلقها بالشعبية. ومع شرحي بصبر وباتساق ما أعتزم عمله إذا انتُخبت لمنصب العمدة، بدؤوا بالاستماع. شرحت بشكل منهجي الخطوط العريضة لخططي من أجل إعادة إعمار شيونجيشيون، وسرعان ما أصبحت هذه المسألة مركز اهتمام الانتخابات. تمكنت من تقديم خطة تفصيلية والردّ على أسئلة تتراوح بين التكلفة وموعد استكمال المشروع. وبينت كيف أن مستويات المعيشة سوف تتحسن وكيف أن المناطق المحيطة ستخضع للتجديد. وأكدت للناخبين أن تجديد شبكة النقل العام من شأنه تقليص الاحتقان المروري إلى الحد الأدنى خلال مشروع إعادة الإعمار. وباختصار، كنت أُملي قصة الانتخابات وأكسب إلى صفّي المزيد من الناخبين.

وخلال مناظراتنا المتلفزة، قال كيم إنه يعارض المشروع، وكان عليّ أن أدافع عن موقفي. وكوني مرشح المعارضة كان يعني أن من الصعب الحصول حتى على أبسط الإحصاءات الحكومية لدعم مزاعمي؛ ومع ذلك، كنت متحمساً ومصمِّماً.

وفي النهاية، انتُخبت عمدة لسيول. فزت من خلال جمع ما نسبته 52.3 في المئة من الأصوات، وكان هامش انتصاري يستحق الاحترام إذ كان قدره 9.3 في المئة. وفي 13 يونيو 2002، أُعطيت مفاتيح مكتب العمدة، وسُلمت مسؤولية سكان سيول وعددهم عشرة ملايين نسمة، وكذلك حكومة مدينة سيول الكبرى بموظفيها البالغ عددهم 46

ألف موظف. وبالنظر إلى أن أهل العلم وخبراء الانتخابات، وكذلك الساسة، كان يرون استحالة التنبؤ بالفائز، فإن من المؤكد أن فوزي كان مصدر إحباط لهم. ولكنه كان حلواً.

لم يدرك الساسة والخبراء ذلك عندئذ، لكن الناخبين العاديين، وخصوصاً مواطني سيول، كانوا يتوقون للتغيير. وفهموا ما أسعى إلى صنعه ومنحوني دعمهم. كان الناس في الشارع يريدون تغييراً حقيقياً، وأنا كنت مستعداً لتقديمه.

مشروع إحياء نهر شيونجيشيون

حاولت بلا كلل، سواء أثناء حملة الانتخابات البلدية، أو بعد تقلُّدي مهام منصبي، أن أشرح تفاصيل المشروع. وعندما قلت إن المشروع سيُستكمل خلال عامين، كان الناس يتشككون. (كان بعضهم يتندر من أن اسمي الحركي القديم، وهو "البُلدوزر/ الجرافة"، ينطبق الآن بصفة خاصة.) لكن الهدف لم يكن يخلو من الواقعية: فمع بدء الأعمال التحضيرية بالفعل، سوف تُنجز أعمال الهدم والإعمار خلال عامين. وقبل حلول موسم أمطار المونسون الصيفية، سوف نجري اختباراً أولياً بشأن الكيفية التي سيُستأنف بها تدفق النهر، ونطبق التصحيحات، وننجز المشروع. كانت نيتي هي التقليص إلى أدنى حد من الانزعاج الذي سيشعر به ساكنو سيول وكل من ستتأثر سبل عيشه بالمشروع.

كانت عملية البناء نفسها واضحة نسبياً. وكان علينا هدم الطرق السريعة، ودفن أنابيب المياه وخطوط الصرف الصحي في الأسفل، ومن ثمّ إعادة ترتيب قاع النهر مع التنسيق الموقعي للمناطق المحيطة. ولو لم يكن النهر يمر في منتصف مدينة يسكنها عشرة ملايين نسمة، لكان بالإمكان إنجاز المشروع بالكامل في أقل من ستة أشهر.

لكن في ظل الوضع الحالي، كان المشروع يوشك على إغلاق قطاعات بكاملها أمام حركة المرور لمدة عامين، وإعادة تموقع الآلاف من المحال المتراصة، مثل تلك التي في جادة

ماديسون بنيويورك (وإن كان من المؤكد أن المحال في شيونجيشيون أكثر تواضعاً من تلك المطلة على جادة ماديسون). والمنطقة المحيطة مباشرة بالمشروع يوجد فيها أكثر من عشرة آلاف متجر، تمثلهم نحو ألف نقابة ومنظمة أصحاب مهن. وفوق كل هذا، كان هناك المئات من المصالح المتنافسة؛ وكانت هناك رغبات مختلفة، وفي أحيان كثيرة متضاربة، لدى أصحاب المتاجر والمستأجرين. فعلى سبيل المثال، باعة الأزياء وما شابه رحبوا بالتغيير، أما باعة الأجهزة والأدوات المنزلية فعارضوه.

عزمنا الأمر على إقناعهم جميعاً. ومن أجل ذلك، شكلتُ شُعبة خاصة ضمن إدارة منطقة سيول الكبرى. كانت مهمتها الاستماع إلى شواغل أصحاب المتاجر وشرح الحاجة إلى إحياء النهر، ووصف كيفية نيتنا المضي في ذلك. وإذا كان لدى الباعة وأصحاب المتاجر شواغل، كان أعضاء الفريق يتعاملون معها. كان أعضاء الفريق يتوجهون الساعة الثامنة والنصف من كل صباح لزيارة المحال والباعة. وكل مساء، كان الفريق يعود إلى المكتب ويعدّ تقارير ويعالج الطلبات الكثيرة التي تقدم بها أصحاب المحال. كانت تلك طريقتنا في كسب ثقتهم. وبعد ذلك، كان أصحاب المتاجر يتصلون بموظفينا كلما كانت لديهم شكوى أو أرادوا أن يتم عمل شيء. وكان أفراد الطاقم يبذلون ما في وسعهم لمساعدة هؤلاء بأي طريقة في مقدورهم.

ومن يوليو 2002 حتى يونيو 2003، التقى فريقنا أصحاب المحال ما مجموعه 4200 مرة. وقمنا بتسوية 1000 طلب. وكنتيجة لهذا الجهد المضني من جانبنا، وافق أصحاب المتاجر والمنظمات المختلفة في نهاية المطاف على خطتنا قبل خمسة عشر يوماً فقط من الموعد المقرر لبدء المشروع.

والآن، مع اتخاذ التدابير الإدارية الضرورية، أصبحنا جاهزين للشروع في نسختنا من "البيج ديج". تم توسيع الشوارع المجاورة للسماح بمرور المزيد من السيارات، لكننا

اتخذنا أيضاً تدابير لكبح القيادة الفردية من خلال حثّ السائقين على استخدام وسائل المواصلات العامة. فقد كان نظام النقل العام في سيول يشهد هو أيضاً تحولات ويساعده في ذلك اعتماد أحدث التكنولوجيات، بحيث لا تتسم حركة المرور في وسط المدينة بالاحتقان المفرط. وخُصصت طرق أحادية الاتجاه، وأنشئ مركز للمراقبة المركزية لرصد أنماط المرور وتعديلها استناداً إلى التدفق في أي لحظة بعينها.

واستفدنا كثيراً من امتلاك كوريا لأحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات. وعمل أفراد الفريق بلا توقف، وأداروا عدداً لا حصر له من عمليات المحاكاة باستخدام أحدث مستجدات تكنولوجيا المعلومات للتأهب لكل حالات الطوارئ. وأنذرتنا عمليات المحاكاة من توقُّع بعض الفوضى والاحتقان في البداية، لكنها تنبأت أيضاً بأن الوضع سيسوّى من تلقاء نفسه في غضون أسبوعين.

وكانت هناك فائدة عظيمة أيضاً من نظام مترو الأنفاق الموسّع في سيول. فقد خصصنا عدداً إضافياً من العربات في ساعات الذروة للتشجيع على زيادة استخدام المترو في ساعات الذروة الصباحية والمسائية.

وفي النهاية، كنا محظوظين لأن ساكني سيول تكيفوا بسرعة مع البيئة الجديدة. ويجب الاعتراف لهم بالفضل لصبرهم وتفهّمهم. فقد اشتهر عن الكوريين ضيق صدرهم وتهافتهم من مكان إلى آخر. بيد أن من محاسن الكوريين أيضاً أنهم يعرفون متى يكون للمعاناة مردودها. فبمجرد أن يفهموا قيمة شيء ما، فإنهم يتحملون عن رضا أي متاعب لتحقيق الهدف. وقد أصبح سكان سيول مقتنعين الآن اقتناعاً تاماً بأن ما نحاول القيام به يستحق ما يستتبعه من معاناة.

وبعد مرور تسعة أيام على موعد البدء، وبعد أن رأينا أن أنماط المرور الجديدة تسير على ما يرام، أمرت ببدء هدم الطريق السريع.

وكما كان الوعد، أعيد نهر شيونجيشيون خلال عامين. ولأول مرة منذ عقود، أصبح الناس قادرين على الاستمتاع بالهواء النقي والمياه النظيفة في قلب سيول. وحتى الطيور المهاجرة عادت، ووجد سكان المدينة مكاناً للتجوال والاسترخاء. وبدأ موظفو المكاتب في الانتقال من مقارّ عملهم وإليها على الأقدام. وفي عطلات نهاية الأسبوع، كان الناس يخرجون مع أسرهم وأصدقائهم.

وسرعان ما أصبح شيونجيشيون وجهة سياحية مفضلة وأحد معالم سيول. وجاء إلى مدينتنا فنانون ذوو شهرة عالمية لأداء فنونهم، وفي فترة وجيزة افتُتحت في متاحف سيول الكثيرة معارض فنية على مستوى عالمي، وبدأ الناس يقدِّرون الجمال الذي تمتلكه سيول.

وبفضل شيونجيشيون، عادت الحياة إلى المناطق المحيطة أيضاً. فقد كانت منطقة وسط المدينة تُعرف بأنها الجزء القديم من المدينة. وكان قيام الشباب باستكشاف تاريخها الغني وسحرها الجذاب أمراً معدوماً أو نادراً. أما الآن، فقد اصبحت الشوارع المختلفة في وسط سيول تمتلئ بالأزواج الشبان في المواعيد الغرامية أو المراهقين المسلحين بآلات التصوير الرقمية. وإذا كانت المنطقة الواقعة جنوب نهر هان، بعمارتها الأنيقة ومتاجرها الفاخرة، تعدّ منطقة صيحات الأزياء الراقية، فإن منطقة وسط سيول أصبحت تُعرف بجمالها التاريخي وصهرها لما هو قديم وجديد ورقيها الاجتماعي. وسرعان ما أعاد المشروع تشكيل وسط سيول باعتباره منطقة راقية ومتكاملة من مناطق المدينة.

كما حظي المشروع بترحاب دولي؛ ففي بينالي فينيسيا لعام 2003، فاز بجائزة أفضل إدارة عامة عن التشييد الحضري، ومُنح تغطية موسّعة في مجلة تايم الأمريكية (عدد 15 مايو 2006). وصوَّرت قناة ديسكفري فيلماً وثائقياً عن المشروع، وبُثّ على نطاق عالمي. وتناول العديد من مقدّمي البرامج الأوربيين انعكاسات المشروع، ووصفوه بالمشروع

الناجح والعمل الفذّ الذي "أصاب عصفورين بحجر"، حيث استعاد البيئة وعزز التنمية المستدامة. ومع تصاعد الاهتمام بالنمو المستدام، كان شيونجيشيون نموذجاً من أجل المستقبل، ومثالاً على ما يجب أن يكون عليه التخطيط الحضري. واستطعنا أن نثبت للعالم أن بالإمكان حماية البيئة، وفي الوقت نفسه تعزيز التنمية النظيفة.

سيول الخضراء

تعدّ سيول، بسكانها الذين يزيد عددهم على العشرة ملايين نسمة، واحدة من أكثر المدن الكبيرة ازدحاماً في العالم. وإذا ما ضممنا إليها منطقة سيول الكبرى، فعندئذ يفوق عدد السكان الإجمالي الاثني عشر مليون نسمة. وفي سيول وحدها، يوجد نحو مليوني مركبة مسجلة، وأكثر من 2.8 مليون مركبة تجوب الشوارع كل يوم. وأساس نظام النقل العام عبارة عن شبكة مترو أنفاق موسّعة تخترق المدينة بالكامل، وكذلك مناطقها المجاورة. كما تُستخدم الحافلات أيضاً على نطاق واسع. ومع ذلك، خلال فترة ولايتي كعمدة، كانت شركات الحافلات تتهافت باستمرار على أعلى الخطوط ربحاً وأكثرها من حيث عدد الركاب. والنتيجة كانت مستنقعاً من المسارات الزائدة التي تخدمها عدة شركات في بعض المناطق، مقابل ندرة النقل العام في مسارات أخرى أقل ربحية. وكانت شبكة النقل العام بالكامل بحاجة إلى إعادة تنظيم لتحسين كفاءتها.

وكانت معالجة هذه المسألة أكثر إحباطاً أيضاً، في بعض جوانبها، من مشروع إعادة تعمير شيونجيشيون. فقد كانت تعني التعامل مع المئات من شركات الحافلات الخاصة، وهو ما كان يؤدي أحياناً إلى جولات قصيرة من الصياح والتبادل الحاد للاتهامات.

كان هذا عدداً محدوداً فقط من المسائل التي عُنيت بها أثناء عملي كرئيس للبلدية. وقد لزم كمٌّ هائلٌ من المهارة كي أسوّي المنازعات وأتوصل إلى حلول ودية. وتطلب

الأمر في بعض الأحيان ليّ أذرع. لكنني تعلمت أنه في معظم الأوقات، إذا كنا نتبع السياسات الصحيحة، فإن الإخلاص والاستراتيجيات الواضحة والصبر يمكن أن تقطع بنا شوطاً طويلاً.

ومع اكتمال شيونجيشيون وتحوّل نظام الحافلات لدينا، كانت سيول تتحول بسرعة إلى نموذج للمدن الأخرى، وخصوصاً من حيث التنمية المستدامة. فعلى سبيل المثال، زارنا مسؤولون حكوميون من فيتنام والصين للإحاطة بإصلاحاتنا على صعيد شبكة النقل بالحافلات. ومنحنا ذلك الفرصة، لا كي نتقاسم ما تعلمناه فحسب، ولكن أيضاً لنشاطرهم بعض الأخطاء التي ارتكبناها. وجاء مسؤولون صينيون وبريطانيون لدراسة ما قمنا به من إصلاحات في قطاع النقل في إطار استعدادهم لإقامة أولمبياد بكين لعام 2008 وأولمبياد لندن لعام 2012 على التوالي. وكان عمدة إسطنبول من بين كبار الشخصيات الأجنبية التي جاءت شخصياً إلى سيول للتعلم من تجربتنا.

ومع ذيوع صيت قصة نجاحنا، وردت طلبات بالمعلومات من الصحافة وكذلك من مسؤولين حكوميين من بلدان، مثل: اليابان والفلبين وألمانيا وتايوان وإندونيسيا. واعتُرِف بمشروعنا من خلال جوائز كثيرة. فقد كانت إدارة منطقة سيول الكبرى الفائز الوحيد بجائزة النقل المستدام لعام 2005، التي منحها مجلس أبحاث النقل في الولايات المتحدة في أثناء اجتماعه السنوي الخامس والثمانين. واستضافت الرابطة الدولية للنقل العام في عام 2004 ندوة خاصة عن سيول. وفي عام 2007، اختارتني مجلة تايم واحداً من أبطالها في مجال البيئة. ونشرت صحيفة **إنترناشونال هيرالد تريبيون** مقالة في صفحتها الأولى عن مشروع إعادة التعمير، كما نشرت تقاريرَ رئيسية صحف مثل: **شيكاجو تريبيون** و**فايننشال تايمز** و**فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج**، وغيرها من الصحف الدولية.

كان ذلك كله يبعث على الاعتزاز، وكنت أشعر بامتنان عميق للتهاني والجوائز الكثيرة. أما الأهم بالنسبة لي، فهو أنني كنت فخوراً بما صنعناه من أجل سكان سيول، وسعيداً بأننا قدَّمنا لهم رؤية بديلة للعيش الحضري. وكان من بواعث الفخر أيضاً جميع العاملين في إدارة منطقة سيول الكبرى الذين عملوا بكل جدية، والفضل يعود لهم أيضاً.

وفي 1 مايو 2004، افتتحنا ساحة سيول (سيول بلازا) الكائنة أمام دار البلدية. وكانت المنطقة من قبل تقاطعاً ملتوياً ومتشابكاً بعُقد، حتى إن السياح المارّين في حافلات كانوا يعتقدون أنهم يسيرون في دوائر. أما الآن، فقد تحولت المنطقة إلى ساحة واسعة ومفتوحة تكسوها بُسُط من النجيل. وكثيرون قالوا إنهم يشعرون بالاسترخاء لمجرد رؤية الساحة، بينما أبلغني آخرون بأنهم يخلعون أحذيتهم وجواربهم حيث يشعرون بالنجيل بين أصابع أقدامهم. وكان الجميع يتدفق نحو الساحة: الأمهات بعربات أطفالهن، والموظفون الذين يتناولون القهوة، والعشّاق في المواعيد الغرامية، والأهل مع أطفالهم. وعلى مدار الصيف وخصوصاً في ليالي الصيف الحار، أصبحت الساحة وجهة مفضلة.

ومن مكتب العمدة كان باستطاعتي رؤية الساحة بالكامل، وكنت سعيداً برؤية هذا العدد من الناس يستمتعون بأوقاتهم. لكني كنت أدرك أن الناس لن يعود بمقدورهم الاستمتاع بالمساحات المفتوحة مع انخفاض درجات الحرارة. ومن المعروف أن شتاء سيول يتسم بالقسوة، لكنني أردت أن يستمتع الناس بالساحة حتى مع الطقس البارد. وعندئذ خطرت ببالي فجأة إحدى الأفكار؛ إنشاء حلبة للتزلج على الجليد، مثل حلبة مركز روكفلر بمدينة نيويورك. استدعيت طاقمي على الفور، وأوضحت لهم خطتي لإنشاء حلبة تزلج على الجليد في الساحة.

انتاب الشك كثيرين منهم في البداية، وبعضهم كان معارضاً بشكل صريح للفكرة. وكان أحد الأسباب يكمن في أن بناءً كهذا يمكن أن يتسبب في ضرر لا يمكن إصلاحه

على النجيل والأساس المساند. وأشار آخرون إلى صعوبة الحصول على التمويل اللازم، فيما قال آخر، إنه بحلول وقت استكمال الحلقة يكون الربيع قد حلّ.

كانت جميع تلك الاعتراضات مشروعة، لكنني كنت راغباً في تتبُّع الفكرة. التمست رأي شخصية خارجية هو خبير في إعداد وإخراج الحفلات المسرحية الكبيرة الحجم. قال إن الأمر قابل للتنفيذ؛ وإذا كنا قلقين بشأن الضرر الذي قد يلحق بالنجيل، من الممكن إقامة حلقة التزلج في أحد جوانب الساحة، حيث لا يوجد نجيل. وإذا كان الحجم مشكلة، فيمكن معالجة ذلك عن طريق السماح بالتزلج الفني فقط وهو يحتاج إلى مساحة أصغر.

شددت لأفراد طاقمي على القيمة الثقافية لإنشاء حلبة للتزلج في قلب المدينة، والقيمة الرمزية أن تكسر حكومةُ المدينة القوالب. وفوق كل هذا، أردت أن أقدِّم إلى الناس فرصة الاستمتاع بالساحة حتى في الشتاء. وخلال فترة وجيزة، وُلدت الخطة. وفيما يتعلق بتمويل المشروع، أعطيت التعليمات لطاقمي للترويج للفكرة لدى الشركات الخاصة من أجل أن تمنحها الرعاية. وفي مرحلة لاحقة، عندما تُوجت ساحة التزلج بنجاح كبير، قالت الشركة المالية التي أصبحت راعيتنا إن المشروع أحد أنجح إنجازاتها على الإطلاق.

استُكملت حلبة الجليد، وفُتحت للجمهور قبل أعياد الميلاد. وكانت الحلبة، في شكلها النهائي، أكبر بكثير من تلك الموجودة في مركز روكفلر. وأثارت على الفور كثيراً من الاهتمام. وخلال فترة وجيزة، انتشرت مشاريع مشابهة في جميع أنحاء سيول وفي مدن مختلفة. وكنا قد خططنا في البداية لغلق الحلبة أوائل فبراير، لكننا مددنا الموسم سبعة عشر يوماً.

ومن المشاريع الأخرى التي استُكملت، إنشاء غابة سيول. وقد كان هذا مشروعاً يتسق مع فلسفتي القائمة على تحقيق الانسجام بين التنمية والحماية البيئية. وكان أيضاً رمزاً ثقافياً آخر واستكمالاً لرؤيتي لإقامة شبكة خضراء تكمِّل فيها الثقافة والبيئة بعضهما.

تصورت متنزهاً صديقاً للبيئة في الجزء الشرقي من سيول، يشبه إلى حد كبير "سنترال بارك" في نيويورك، حيث يمكن للناس الاستمتاع بالطبيعة. لم يكن الأمر يتعلق ببناء حديقة ملاهٍ جديدة يصطف فيها الناس من أجل ركوب "الأفعوانيات" أو تتدفق فيها الجموع في جميع الاتجاهات. سوف يكون، بدلاً من ذلك، مكاناً للتأمل والنزهة المتمهلة على الأقدام. أردت مكاناً يمكن للناس أن يستريحوا فيه.

بيد أن إحدى المشكلات كانت تكمن في أن المنطقة كانت مخصَّصة لمشروع إنمائي ضخم تناهز قيمته خمسة مليارات دولار. كان ذلك مبلغاً هائلاً يصعب تجاهله. ومع ذلك، قررت في نهاية المطاف أن المتنزه الطبيعي أعلى قيمة بكثير على المدى البعيد. وكنت منشغلاً بصفة خاصة بنقص المساحات الخضراء المتاحة لمن يعيشون في سيول.

وعلى الرغم من وجود عقبات، من قبيل إقناع الملاّك (الذين كانوا يتوقعون استحواذات مربحة)، والسكان القريبين (الذين كانوا يأملون أن ترتفع قيمة ممتلكاتهم مع تحوُّل المنطقة إلى حي تجاري رئيسي)، ومسائل تقسيم المناطق، فقد نجحنا في استكمال المشروع في فترة قصيرة نسبياً. وباستكمال هذا المشروع، بدأت تتحقق في النهاية رؤيتي بشأن شبكة خضراء. فمن خلال البدء في قلب سيول بممرات المشاة الجديدة وإحياء نهر شيونجيشيون، والآن غابة سيول، لم تعد سيول رمادية. أصبح هناك حزام أخضر.

وإلى جانب تأسيس مدينة كبيرة خضراء، كان من بين أهدافي الرئيسية، جعل الثقافة إحدى دعائم سيول المهمة. كنت أعي أن كلمة "ثقافة" لها تطبيقات واسعة، لكن بالنسبة لي كان جوهر الثقافة يتعلق بخلق حياة يملؤها الرضا. إن حلبة التزلج، وغابة سيول، وإعادة إعمار شيونجيشيون، جميعها يتعلق بتحقيق الحياة المليئة بالرضا والارتقاء بنوعيتها للجميع، لا لقلة مختارة فحسب. وكان قراري لتجديد فرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية مشروعاً آخر لاستكمال الصورة.

هناك الكثير من فرق الأوركسترا الفلهارمونية العالمية التي يوجد مقرها في مدن رئيسية، مثل نيويورك وفيينا وبرلين، وتحظى بدعم تلك المدن. وهي تضطلع بدور مهم لا في توصيل الفن إلى الجموع فحسب، بل أيضاً في تجسيد النوعية والمعايير العالية لتلك المدن. ومن سوء الحظ أن فرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية كانت أقل من المستوى المطلوب بكثير. وعلى الرغم من أن كوريا لديها وفرة في نوابغ الموسيقيين، فإن فرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية كانت دائماً تعاني نقص المواهب.

كل هذا تغير عندما التقيت تشونج ميونج-وون.[31] تذكرت قول تشونج في إحدى المرات أن حلم عمره هو مساعدة إحدى فرق الأوركسترا الكورية في أن تصل إلى مصاف فرق الأوركسترا العالمية. التقيت تشونج وتقاسمنا الأفكار. واتفقت مع تشونج على أن أول ما ينبغي علينا عمله، هو منح الاستقلال لفرقة الأوركسترا من خلال تحويلها إلى وقف (من قبل كانت تحت رعاية إدارة منطقة سيول الكبرى). ثم استقطبنا مسؤولاً تنفيذياً مهنياً لإدارة فرقة الأوركسترا. وبعد تنفيذ تلك التعديلات الهيكلية، مضينا إلى استقطاب أفضل المواهب. ووافق تشونج على أن يصبح المدير الفني والقائد الرئيسي لفرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية. ووعدته بأن المدينة ستواصل تقديم الدعم الذي يحتاجه.

ومن أجل تأسيس أوركسترا على الطراز العالمي، كان علينا استيفاء ثلاثة معايير: كنا سنحتاج إلى قائد للفرقة على المستوى العالمي، وأعضاء مهرة، ودعم مستمر. وبالتحاق تشونج، استوفينا المعيار الأول. وكان من السهل استيفاء المعيار الثاني لأنني كنت واثقاً أن الكثير من موسيقيي كوريا الموهوبين سيهتمون بالالتحاق لمجرد وجود تشونج. وفيما يخص المعيار الثالث، أكدت لتشونج أنني سأحرص على أن يتواصل دعم المدينة للأوركسترا حتى بعد انتهاء ولايتي.

أما حلمي الآخر، فكان أن تصل الأوركسترا إلى أولئك الذين لا يسعهم في العادة الاستمتاع بالموسيقى الكلاسيكية. وكان تشونج أيضاً يشاطرني حلمي. وسرعان ما توصلت فرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية إلى فكرة فريدة، وهي "الحفلات الزائرة"، حيث تتولى الأوركسترا زيارة البلدات والقرى وتقديم حفلات مجانية في قاعات الاحتفال بالمدارس والساحات الخارجية والكنائس وصالات الألعاب. انتاب بعضهم القلق من أن في ذلك إهانة للموسيقى الكلاسيكية، بينما توجس آخرون من رداءة ظروف العزل الصوتي. لكنني أردت للجميع أن يشهد الميلاد الثاني للأوركسترا، كما أردت أن يستمتع أكبر عدد ممكن من الناس بالموسيقى الكلاسيكية. سافرت الأوركسترا إلى جميع أنحاء كوريا مقدِّمة تلك الحفلات. وكنت سعيداً عندما سمعت أن كثيراً من الشيوخ في قرى نائية استمعوا إلى بتهوفن وموزارت لأول مرة في حياتهم بفضل فرقة أوركسترا سيول الفلهارمونية.

وفي 15 أغسطس 2005، ومع احتفال البلد بالذكرى الستين للاستقلال، أقامت أوركسترا سيول الفلهارمونية حفلاً أمام دار البلدية. وبمناسبة هذا الحدث الخاص، أمرت بأن يُغطّى مبنى البلدية بالكامل بما مجموعه 3600 علم كوري. وقدمت الأوركسترا حفلاً باهراً أمام المبنى. وعندما انتهى تشونج من القطعة الموسيقية الأخيرة، والتي كانت تحمل الاسم المناسب "الخيال الكوري"، كنا جميعاً شديدي التأثر.

كان 30 يونيو 2006 آخر أيامي كعمدة للمدينة. وكما جرت العادة، فإن حفل الوداع لعمدة المدينة المنتهية ولايته يُقام في العاشرة صباحاً داخل مركز سيجونج الثقافي، وهو أكبر قاعة احتفالات في سيول. وعندما قيل لي إن الاحتفال الخاص بي سيتبع ذلك التقليد، تملّكني الفضول، وسألت رئيس القسم المسؤول: "ماذا تفعلون بعد انتهاء الحفل الخاص بي، وإلى أن يلقي العمدة الجديد القسم؟"، أجاب: "نتابع أعمالنا الاعتيادية، سيدي". من الناحية التقنية كانت ولايتي تنتهي منتصف ليلة الثلاثين من يونيو لتبدأ ولاية خلَفي بعد ذلك مباشرة. كنت أعرف أن جميع تلك الاحتفالات ما هي إلا شكليات

وتقاليد، ولم أرَ سبباً لاختزال يومي الأخير. ولذلك، قررت أن أنهي يومي الأخير كرئيس للبلدية في السادسة مساءً، وهي الساعة التي يُفترض عندها انتهاء يوم العمل. كما أبلغت طاقمي أنه ما من داعٍ لإعداد حفل وداع منمّق في مركز سيجونج؛ قلت لهم أن يُحضِروا بدلاً من ذلك ميكروفوناً وسمّاعة صغيرة، وأن يضعوهما أمام مبنى البلدية. كنت أودّ أن أوجّه بعض الكلمات إلى الموظفين الذين عملوا بكل جدّ طوال فترة ولايتي، أردت أن أشكرهم على خدمتهم (وحتى يتمكن الموظفون من المغادرة بحلول السادسة مساءً، أقيم هذا الاحتفال الصغير الساعة الخامسة مساءً).

وفي الخامسة مساءً، خرجت إلى ساحة سيول. كان نسيم الصيف لطيفاً. وبعد فترة قصيرة، تجمع كثير من موظفي المدينة لتوديعي. وقفت أمام الميكروفون وشكرتهم على العمل الرائع الذي اضطلعوا به. وتحدثت إليهم عن واحد منهم قال لي إنه لا يتذكر أنه عمل بهذه القوة على مدى الأعوام السبعة عشر التي أمضاها في البلدية. قلت لهم إنني أدين إليهم جميعاً لأنني أعرف أنني لم يكن بإمكاني صنع أي شيء لولا إخلاصهم والتزامهم وطاقتهم.

كانت السكرتيرات متكاتفات معاً يستمعن إلى كلماتي، وكثيرات منهن كنَّ يعملن في البلدية منذ سنوات. لاحظت أن الدموع تملأ أعينهن جميعهن. توجهت إليهن وشكرتهن لاحتمالهن الساعات الطويلة والعمل الشاق. وبعد أن انتهيت من شكر الجميع، جاءت السكرتيرات إليّ وسألن إن كان بإمكانهن التقاط الصور معي. وسرعان ما أتى الجميع في مجموعات، والتقطت صوراً معهم جميعاً. كان المارّة أيضاً يستوقفونني ويهنئونني ويلتقطون معي الصور.

وعندما انتهى حفلنا الوداعي الصغير، جاء سائقي، الذي عمل مع أسرتي لسنوات طويلة، لتوصيلي. ركبت السيارة، ولوحت بيدي مودعاً، وعدت إلى المنزل.

رحلة جديدة

غادرت مكتب عمدة المدينة في يونيو 2006، وكنت فخوراً أشد الفخر بما أنجزناه كفريق. وما زلت أشعر بمتعة كبيرة عندما أتجول على امتداد شيونجيشيون وأرى عدداً كبيراً من الناس يستمتعون بالحياة. فقد تحولت سيول إلى مدينة دولية ذات طراز وجوهر. وتقلُّدي منصب عمدة سيول أتاح لي أن أخدم هذه المدينة العظيمة التي منحتني الكثير. كنت سعيداً بأنني استطعت أن أردّ جميل شعبها الرائع الذي رحب بفتى ريفي فقير من بوهانج قبل أكثر من أربعين عاماً.

عدت مرة أخرى مواطناً عادياً، لكن مع استمرار اهتمامي وشغفي الراسخين بالتنمية المستدامة والبيئة. قرأت أكبر عدد ممكن من الكتب عن الموضوع وتناقشت مع خبراء. كما انطلقت في جولة على نطاق البلد فيما يتعلق بالسياسات، وهو ما أتاح لي فرصة ممتازة للتواصل المباشر مع الجماهير العريضة للوقوف على المسائل التي تشغلها. أصبح تركيزي منصباً الآن على كوريا ومستقبلها.

كان أفراد طاقمي ينضمون إليّ في تلك الجولات الميدانية التي شملت جميع أنحاء كوريا. كانت حاشيتي الصغيرة تشمل السيد كيم هي-جونج والسيد إيم جاي-هيون، وكلاهما مساعد لا غنى عنه لازمني سنوات طويلة وعُني بكل شيء، سواء الشخصي أو المهني. ومن بين الآخرين، السيدة لي جين-يانج، والسيدة كيم يون-كيونج، اللتان كانتا تحسِّنان خطاباتي وتصقلانها، وتسجلان محاضر مطوّلة باجتماعاتنا، وتقدمان إليّ مشورة قيمة حول طائفة واسعة من المسائل. وكنّا عندما نضع جدولاً زمنياً نقفز إلى داخل حافلتنا الصغيرة ونزور المصانع ونلتقي العمّال والملاّك، ونعقد الاجتماعات في دور البلدية ونستمع إلى هواجس الناس.

كنا ننضم إلى المتطوعين الذين يساعدون ضحايا الفيضانات، وكثيراً ما كنا نزور المعاهد التي تجري الأبحاث في العلوم التي تهم الأجيال القادمة، مثل: تكنولوجيا المعلومات، والتكنولوجيا الحيوية، والتكنولوجيا النانَوية. وفي مرحلة لاحقة، انضم إلى فريقنا المزيد من الأعضاء، مسلحين بالأفكار والخطط المحددة. وكان هؤلاء ينقّحون الأفكار الكثيرة التي جمعناها في رحلاتنا السابقة، وقد تمكنت من تنفيذ الكثير من تلك الأفكار عندما أصبحت رئيساً. تمكنّا من الاستماع شخصياً لأحاسيس الناس وإحباطاتهم وتطلعاتهم وآمالهم ودمج كل ذلك في رؤيتنا بشأن كوريا الجديدة. بدأت رؤيتنا تصبح أوضح. ومن أجل توسيع أفقنا والوقوف على ما يدور في الخارج، زرنا ألمانيا وهولندا واليابان والهند ودولة الإمارات العربية المتحدة. أردنا أن نتعرف على ما يقوم به الآخرون للبقاء والازدهار في القرن الحادي والعشرين.

ومن زاوية شخصية أكثر، كانت تلك هي الفترة التي انتقلت خلالها إلى بيت تقليدي على الطراز الكوري، أو ما يُعرف بـ"الهانوك" (Han-ok). والطراز المعماري للهانوك يتسم بالأسطح المائلة المغطاة بالقرميد والأسقف المرتفعة والمساحات الأمامية الجاذبة. كان الأمر ساحراً بالنسبة لي، إذ كان يذكّرني بالبيت الريفي الذي كنّا نسكنه قبل سنوات (وإن كان أرحب ومزوداً بوسائل الراحة الحديثة). كنت أستطيع سماع قطرات المطر وأشعر بالرياح؛ وكان الغرباء يطرقون بابنا لمجرد تناول كوب من الماء. دهشت حين رأيت أن هذا الودّ والانفتاح مايزالان موجودين في قلب سيول. وذلك هو التنوع الغني الذي تقدمه سيول لساكنيها.

وفي تلك الأثناء، كان البلد يستعد ببطء للانتخابات الرئاسية القادمة، والتي كان من المقرر إجراؤها في ديسمبر 2007. كنت مشغولاً بمشاريعي الجديدة واستكشاف أفضل السبل لخدمة بلدي بصفة جديدة.

وفي 10 ديسمبر 2007، مُنحت فرصة جديدة لخدمة بلدي. فقد انتُخبت للولاية الرئاسية السابعة عشرة لجمهورية كوريا.[32]

ومن باب الصدفة أن 19 ديسمبر هو يوم عيد ميلادي وكذلك عيد زواجي. ولذلك فهو يوم شديد الخصوصية وفيه الكثير من المناسبات الاحتفالية. وعندما يسألني الناس عما أحتفل به في ذلك اليوم - ميلادي أو زواجي أو انتخابي رئيساً - أقول لهم إن المناسبات الثلاث مرتبطة ببعضها نوعاً ما: فأنا أحتفل بحياتي وزواجي، وبالفرصة التي منحاني إياها لخدمة بلدي.

خاتمة

بالنسبة إلى فتى فقير من بوهانج، كانت مغامرة عظيمة، والأهم من ذلك، ميزة عظيمة.

أُجريت مراسم تنصيبي رئيساً للجمهورية في 25 فبراير 2008 أمام مبنى الجمعية الوطنية. كان يوماً بارداً على نحو غير عادي، لكن السماء كانت صافية وزرقاء. وبعد القيام بجميع الواجبات الرسمية التالية للتنصيب – موكب السيارات والاستقبالات والغداء ولقاءات منفصلة مع شخصيات مرموقة زائرة – دخلت المبنى الذي سيصبح مكتبي على مدى السنوات الخمس القادمة. المبنى الرئيسي، كانت هيونداي قد بنته عندما كنت رئيسها التنفيذي؛ ولم يخطر ببالي أنني سأكون يوماً ساكنه.

وبعد توقيعي أول وثيقة بصفة رئيس – معتمِداً تعيين كبار أفراد طاقمي – جلست خلف المكتب الخشبي الكبير. كنت أعرف أن رئاسة الاقتصاد الثالث عشر الأكبر عالمياً يختلف كلياً عن شغل منصب رئيس تنفيذي لشركة أو عمدة مدينة. كما ذكَّرت نفسي بأن عليّ أن أكون مستعداً لمواجهة أحداث غير متوقعة خارجة عن نطاق سيطرتي. لكن لم أكن أتوقع أن مثل تلك الأحداث ستقع بهذه السرعة.

عندما نشبت الأزمة الاقتصادية العالمية في عام 2008 قال كثيرون إنها أسوأ أزمة تضرب الاقتصاد العالمي منذ الكساد الكبير في ثلاثينيات القرن العشرين. ولم يخطر ببالي أن أُضطر إلى الكفاح من أجل الحيلولة دون غرق الاقتصاد الكوري، ولم يكد يمر عام واحد على تسلّمي مهام منصبي. كان في ذلك تذكرة قاسية بمدى هشاشة العالم الذي نعيش فيه، ومدى سوء استعدادنا أحياناً، ومدى ترابط أقدارنا الجماعية –سواء للأحسن أو للأسوأ– في هذا العصر الذي يتسم بالاتصال الواسع النطاق.

وبدءاً بواشنطن العاصمة في نوفمبر 2008، اجتمع قادة مجموعة العشرين (G-20) من البلدان المتقدمة والنامية لإيجاد حل لهذه الأزمة العالمية. وشاركت كوريا في اجتماع مجموعة العشرين، بينما كانت تبذل قصارى جهدها لتجاوز المحنة في الداخل. وبالنسبة إلى كثير من الكوريين المحتفظين بذكريات قوية من الأزمة المالية الآسيوية في عامي 1997 و1998، فإن الأزمة العالمية لعام 2008 كانت تنذر بالسوء. وفي جميع الاجتماعات اللاحقة لمجموعة العشرين، استحدث المجتمع الدولي حلولاً وخطط عمل محددة. وبحلول وقت استضافة كوريا للقمة الخامسة لمجموعة العشرين في نوفمبر 2010، كان الاقتصاد العالمي يبدي علامات مشجعة. وكان الأمل يحدو كثيرين بأن المرحلة الأسوأ قد انقضت. لكن على قدر ما كان هناك أمل في التعافي والنمو، فإن عدم الاستقرار وعدم اليقين كانا مايزالان قائمين، ومايزال هناك الكثير من العمل المطلوب إنجازه.

وقد كان في الأزمة الاقتصادية العالمية اختبار لالتزامنا بالتعاون الدولي، والشواغل العالمية الملحّة كانت بالقدر نفسه الذي ينطوي حلها على الدرجة ذاتها من الصعوبة وتتطلب تعاوناً. وأحد هذه الشواغل هو تغير المناخ؛ ففي 15 أغسطس 2008 بيَّنتُ الخطوط العريضة لرؤيتنا الجديدة للمستقبل- **النمو الأخضر المنخفض الكربون** - لدى احتفالنا بالعيد الستين لتأسيس جمهورية كوريا. وترتبط هذه الرؤية بضمان النمو والازدهار المستدامين، وفي الوقت نفسه حماية كوكبنا.

وبالنسبة إلى بلد مثل كوريا، وإلى بلدان أخرى كثيرة، فإن إيجاد حل مجدٍ لهذه المسألة العالمية يرتبط ارتباطاً مباشراً ببقائنا في القرن الحادي والعشرين. وقد أسست كوريا "المعهد العالمي للنمو الأخضر" (GGGI) لهذا الغرض؛ وهو هيئة دولية مكرَّسة للمبادرة باستحداث نمط جديد للنمو الاقتصادي عن طريق دعم البلدان النامية والناشئة في تصميم وتنفيذ خطط للنمو الاقتصادي الأخضر، وتسهيل إقامة الشراكات بين القطاعين العام والخاص في الاستثمارات الخضراء والابتكار، ودعم الأبحاث لتطوير الجوانب

النظرية والعملية للنمو الأخضر. ويكمن أحد الأهداف الرئيسة الأخرى في تقاسم تلك التكنولوجيات ذات الصلة، على اعتبار أنه من دون تقاسم التكنولوجيات والمعارف التقنية الجديدة لا يمكن معالجة تغير المناخ وغيره من المسائل ذات الصلة على أي نحو مجدٍ. وكما نعرف، فإن تغير المناخ لا يرتبط بمجرد ارتفاع درجات الحرارة أو ارتفاع مستويات سطح البحر، وإن كانت تلك من العواقب الخطيرة التي تهدد بلداناً، مثل المالديف وكثير من الدول الجزرية في منطقة المحيط الهادي. ذلك أن تغير المناخ سيحدث تغييرات جذرية في أسلوب حياتنا؛ وينبغي لنا أن نجد حلولاً تتسم بالفعالية والاستمرارية. وحتى تؤتي هذه الحلول أُكلها، يجب أن نكون راغبين في العمل معاً.

والأمن والاستقرار أمران حيويان لدى عملنا صوب تحقيق تلك الأهداف المشتركة. بيد أنه ماتزال هناك تهديدات من قبيل الإرهاب والقرصنة والاتّجار بالبشر وانتشار الأسلحة النووية – على سبيل المثال لا الحصر – وهي تهديدات يُحتمل أن تتزايد إذا أخفقنا في الاستجابة على نحو جماعي. وأحد تلك التحديات، هو القضية النووية لكوريا الشمالية، إذ يجب أن تُحلّ سلمياً وأن تعمل الأطراف المعنية معاً لضمان الاستقرار والازدهار في شبه الجزيرة الكورية. وعندما يعمّ السلام شبه الجزيرة، فإن ذلك من شأنه أن يعود بمنافع جمّة ستتعدى بكثير حدود المنطقة. وليس مفاجئاً أن أُسأل باستمرار إن كنت أعتقد أن شطري شبه الجزيرة سيتّحدان في نهاية المطاف، وتوقيت هذه الوحدة إذا ما تحققت. لا أعرف بصدق التوقيت، ولكني أعرف يقيناً أنها ستتحقق. فالسلام الدائم أمر ممكن في شبه الجزيرة الكورية، وقيام كوريا مستقرة وموحدة سيسهم في السلام والازدهار العالميّين.

مرَّ بالفعل أكثر من ثلاث سنوات على انتخابي لهذا المنصب. وأتذكر الحماس الذي انتابني لدى الفوز، ولكن أيضاً الشعور بالثقل الرهيب لمسؤولياتي. وقد وعَدْت نفسي بألا أسعى إلى نجاح سريع أو انتصارات سهلة، وإنما بفعل ما هو صحيح دائماً. كانت هناك

لحظات مؤلمة ينبغي تحمّلها وقرارات صعبة ينبغي اتخاذها. لكن كان هناك أيضاً إنجازات يُفتخر بها واحتفالات مبهجة.

فعلى سبيل المثال، شعرت بالفخر عندما استضافت كوريا بنجاح قمة سيول لمجموعة العشرين، بما أسهم في رسم خريطة الطريق الجديدة إلى الأمام. وكنت، عندما أطلقت برنامج "أصدقاء كوريا العالميون" World Friends Korea، وهو برنامج تطوعي يشبه "فيلق السلام" أرسل فيما بعد إلى الخارج أكثر من 20 ألف متطوع، أشعر بالفخر إزاء ما يقوم به هؤلاء الكوريون في مناطق نائية من العالم. وعندما التقيت سيدة إثيوبية وشكرتني على ما استطاعت القيام به بفضل المساعدة التي تلقّتها من المتطوعين الكوريين، شعرت بالسعادة لأننا عدنا للإسهام الإيجابي. وعندما التقيت محاربين قدامى في الحرب الكورية من أستراليا والدنمارك والولايات المتحدة وأماكن أخرى جاؤوا إلى كوريا لإحياء الذكرى الستين للحرب، كنت أرى الافتخار في أعينهم لرؤية كوريا بأدائها الجيد.

وسوف أُمضي الأيام المتبقية من ولايتي أتذكر دائماً كم أن الخدمة شرف كبير. وبعد أن أترك المنصب سوف أواصل الخدمة. وسوف أزور أصدقائي في الخارج وأعمل معهم؛ حتى يتسنى لنا جميعاً أن ننعم بمستقبل أكثر استدامة واخضراراً. سوف أشارك في تثقيف أولادنا بشأن أهمية الاستدامة والنمو الأخضر وحماية بيئتنا. ومن خلال الوقف الذي أسسته، وهو "مؤسسة لي وكيم The Lee & Kim Foundation"، سوف أواصل مساعدة الجيل القادم من القادة، وخصوصاً أولئك الذين يكافحون من أجل النجاح وسط الفقر وغيره من الصعاب، على غرار ما فعلت قبل خمسين عاماً. آمل أن أشاهد هؤلاء الأطفال وهم يَنشؤون ليصبحوا علماء وموسيقيين ومهندسين وروّاد أعمال، وربما حتى رؤساء. وبصرف النظر عما سيصبحون، آمل أن يسهموا في صلاح البشرية.

بالنسبة إلى فتى فقير من بوهانج، كانت مغامرة عظيمة، والأهم من ذلك أنها كانت ميزة عظيمة، ورحلتي لم تنتهِ بعد.

الهوامش

1. استعمرت اليابان جمهورية كوريا من عام 1910 حتى استسلام اليابان وهزيمتها النهائية في عام 1945، في نهاية الحرب العالمية الثانية. كانت اليابان فاتحاً وحشياً، وخلال تلك الفترة، شهدت كوريا ميلاد عدّة حركات تنادي بالاستقلال، كان أهمها حركة 1 مارس للاستقلال التي قامت في عام 1919. وفي أثناء احتلال اليابان لكوريا، كانت الحياة قاسية بالنسبة إلى الكوريين العاديين. وتشير السجلات التاريخية إلى أن مئات الألوف اعتُقلوا وعُذبوا وقُتلوا. وسعت اليابان بشكل ممنهج إلى محو أي آثار للثقافة الكورية، وحاولت أن تفرض على الشعب الكوري تبنّي الثقافة اليابانية بوسائل، منها على سبيل المثال: إجبار الكوريين على تغيير أسمائهم إلى أخرى يابانية، وحظر استخدام اللغة الكورية ودراستها، وإرغام الكوريين على إعلان ولائهم للإمبراطور الياباني. كما أُجبر كثير من الكوريين على الالتحاق كمجنّدين بالجيش الياباني، وقُتلوا في معارك خارجية، وبيعت النساء الكوريات (وكذلك نساء البلدان الأخرى التي احتلتها اليابان) لأغراض الاستعباد الجنسي، وسُمّين تلطيفاً "نساء المتعة".

2. اجتاح جيش كوريا الشمالية أراضي جمهورية كوريا في الصباح الباكر من يوم 25 يونيو 1950. وبعد نشوب الحرب الكورية بفترة وجيزة، وتحديداً في 7 يوليو 1950، تبنّى مجلس الأمن الدولي القرار رقم 84 الذي يدين فيه الهجوم، ويوصي بأن يقدّم أعضاء الأمم المتحدة المساعدة إلى جمهورية كوريا لصدّ الهجوم واستعادة السلم والأمن في المنطقة. وعلى الرغم من أن حكومة كوريا الجنوبية كانت على علم بالهجوم الوشيك الذي ستشنه كوريا الشمالية، فإن جيش جمهورية كوريا لم يكن له قِبل بالجيش المحتل، واضطر، خلال أيام من الغزو، إلى الانسحاب الكامل حتى بوسان، في أقصى جنوب

كوريا الجنوبية. وهنا خاضت قوات الأمم المتحدة معركة محيط بوسان، والتي تعدّ إحدى أشرس المعارك التي دارت في أثناء الحرب. وبلغت خسائر القوات الأمريكية وحدها أكثر من 37 ألف قتيل، ومُني أعضاء التحالف الأممي أيضاً بخسائر فادحة.

3. ابتداءً من فرض حظر التجول على نطاق البلد في عام 1955 وحتى قيام الحكومة الكورية بإنهائه في عام 1982، كان يُحظر على أي شخص التجول في الشوارع ما بين منتصف الليل والرابعة صباحاً. وكان كل من يُضبط بعد منتصف الليل يُقتاد لقضاء الليلة في مركز قريب للشرطة حتى انتهاء وقت الحظر. ونظراً إلى هذا الإجراء الصارم، كانت الحافلات وعربات الترام وسيارة الأجرة تكتظ بالركاب ما بين الحادية عشرة ليلاً ومنتصف الليل من كل ليلة.

4. وقع "انقلاب 16 مايو" في عام 1961، عندما أطاح الفريق بارك شونج-هي ومجموعة من صغار ضباط الجيش بالحكومة المدنية البغيضة (الجمهورية الثانية) التي شُكلت بعد تنحّي ري سينجمان عن الرئاسة. وفي أعقاب الانقلاب، استحدث الفريق بارك المجلس الأعلى لإعادة البناء على المستوى الوطني، ورقّى نفسه إلى رتبة فريق أول، واستحوذ على السلطة المطلقة في البلاد. في البداية، تعهَّد الفريق أول بارك بالعودة إلى الجيش بمجرد تشكُّل حكومة مدنية. لكن عند إصدار دستور الجمهورية الثالثة، قطع الفريق أول بارك صلته بالجيش وترشَّح للرئاسة كمرشح مدني وفاز. ويُنسب إليه كرئيس الفضل في تحديث كوريا ووقف انتشار الشيوعية، لكنه يُنتقد أيضاً بسبب التضييق على الديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان. وبعد ولايتين متعاقبتين، وخلافاً لما ينص عليه الدستور حاول إطالة مدة رئاسته لفترة ثالثة من خلال السعي إلى تعديل الدستور. وقوبل ذلك بمعارضة شديدة من قبل الجماهير، لكنه نجح في تعديل الدستور بما يسمح بولاية ثالثة.

5. اشتُهر كيم جونج-بيل بكونه أحد "الكيمات الثلاثة" (الاثنان الآخران هما الرئيسان السابقان كيم داي-جونج، وكيم يانج-سام) الذين كانوا في قلب المشهد السياسي الكوري لما يناهز أربعة عقود. وبوصف كيم جونج-بيل كان يحمل رتبة رائد في الجيش إبّان "انقلاب 19 مايو"، وبوصفه أيضاً أحد أقارب الرئيس بارك شونج-هي، كان أحد أقرب المساعدين للرئيس بارك، وعُيِّن لاحقاً في كثير من المناصب الحكومية البارزة، بما فيها رئيس الوزراء (مرتين)، ورئيس الحزب الحاكم. وكان مؤسس وكالة الاستخبارات المركزية الكورية وأول رئيس لها (حيث أعيدت تسميتها فيما بعد لتصبح جهاز الاستخبارات الوطنية) التي كان الكوريون يهابونها ويبغضونها كثيراً. وقد ترشح للرئاسة في عام 1987، لكنه حقق نتيجة بائسة؛ إذ لم يتمكن من الحصول سوى على المركز الثالث، لكن تأثيره في السياسة الكورية بقي قوياً حتى تقاعده في عام 2004.

6. افتُتح سجن سيودايمون (يعني "البوابة الغربية" باللغة الكورية)، الواقع في غرب وسط سيول، في عام 1907. في البداية، استخدم اليابانيون السجن لحبس المشتركين في الأنشطة المناهضة للاحتلال الياباني. وفي فترة لاحقة، استخدمه النظام السلطوي في كوريا لحبس الناشطين الديمقراطيين وغيرهم من قادة الحقوق المدنية. وأُقفل في عام 1987، واستُخدم كموقع تاريخي ومتحف.

7. كان الحكم الأصلي لمدة حبسي خمس سنوات وفق الطلب الذي تقدمت به الدولة، إلا أن قرار المحكمة كان هو القرار النهائي. وعلى الرغم من صدور قرار بحبسي لمدة سنتين، فقد أُوقف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات، وفي كوريا يعني مثل ذلك الوقف للتنفيذ أن الشخص غير مضطر لقضاء عقوبة السجن. أما سبب قضائي مدة في السجن فهو لأنني اعتُقلت بتهمة "التحريض على العصيان". وفي ذلك الوقت، كان

الشخص يُرسل، لدى اتهامه بارتكاب جريمة، إلى السجن في أثناء سير المحاكمة. وإذا ارتكب الشخص جريمة خطيرة بعد خروجه من السجن بعقوبة مع وقف التنفيذ، عندئذ يحاكَم ويدخل السجن.

8. شونج جو-يونج (1915-2001) كان المؤسس والراعي الأسطوري لما أصبح فيما بعد مجموعة هيونداي، وهي إحدى أكبر مجموعات الشركات في كوريا. وكان الأكبر من بين ستة أشقاء وُلدوا إبّان الاحتلال الياباني لكوريا. وقد أبدى شغفاً بالأعمال التجارية منذ بداية حياته، وعُرف عنه طوال مشواره روحه التجارية التي تتسم بالإبداعية، وكذلك (في رأي بعضهم) بالبطولية المفرطة. بنى هيونداي من الصفر، وامتلك فيما بعد شركات عالمية تعمل في مجالات عدة؛ منها: بناء السفن (هي الأكبر في العالم)، والسيارات، والتمويل، والتشييد. كما اضطلع بدور محوري في فوز كوريا باستضافة دورة الألعاب الأولمبية الصيفية لعام 1988، واشتُهر بإرسال خمسمئة "بقرة تجسيداً للوحدة" هديةً إلى شعب كوريا الشمالية بما مهد الطريق مؤقتاً أمام تخفيف حدّة التوتر بين الكوريتين.

9. كان الطريق السريع كيونج-بو (أو الطريق السريع بين سيول وبوسان) أول طريق سريع في كوريا، وكان طوله يبلغ 416 كيلومتراً، ويربط الكثير من مدن كوريا الجنوبية الرئيسية. وبدأ بناؤه في عام 1968 تنفيذاً لأوامر من الرئيس بارك شونج-هي، واستُكمل بعد ذلك بعامين. واشترك في هذا المشروع الهندسي العام الهائل ست عشرة شركة، ولقي سبعة وسبعون عاملاً مصرعهم. وأثار المشروع من البداية جدلاً، وقوبل بمعارضة من القطاع العام والمنشآت التجارية، وأيضاً أعضاء الحكومة والحزب الحاكم باعتباره متهوراً وغير ضروري. بيد أن الطريق السريع، لدى استكماله، نُسب إليه الفضل في تحسين كفاءة التوزيع بدرجة كبيرة، والإسهام في النمو

الشامل للاقتصاد. ولهذا السبب، يعدّ الطريق السريع رمزاً للنمو الأشبه بالمعجزة للاقتصاد الكوري، وهو يُسمى "حبل نجاة كوريا".

10. في عام 1975 صنعت هيونداي أول سيارة كورية، أسمتها "بوني" (Pony)، وهي سيارة صغيرة لها أربعة أبواب، وخلفية الدفع، وذات محرك ذي أربع أسطوانات، سعة 1.4 لتر. وكانت أول سيارة يُطوِّرها محلياً مُصنِّع كوري (التصميم أعدّته شركة إيطالية)، مما يجعل كوريا ثاني بلد في آسيا، بعد اليابان، والبلد السادس عشر في العالم الذي يمتلك التكنولوجيا لتطوير السيارات وتصنيعها. وفيما بعد، تم تصدير سيارة "بوني" إلى الخارج، بدايةً إلى الإكوادور وفي نهاية المطاف إلى بلدان كثيرة بعضها في أوربا. أما موديل الجيل الثاني، وهو "بوني 2"، فقد خضع لتحسينات واستمرت هيمنته باعتباره السيارة الأفضل مبيعاً في كوريا حتى إحالته إلى التقاعد في عام 1987.

11. كان شونج إن-يونج (1920-2006) الأخ الأصغر لمؤسس هيونداي شونج جو-يونج، واضطلع بدور محوري في تطوير قطاع الصناعات الثقيلة في كوريا. وقد تخرَّج في قسم اللغة الإنجليزية بإحدى الجامعات اليابانية، وعمل مراسلاً صحفياً قبل أن ينضم إلى شركة هيونداي للهندسة والإنشاء بطلب من شونج جو-يونج. وبعد مغادرته هيونداي للهندسة والإنشاء، أسس شركة "هالا" للإنشاءات (Halla)، التي أصبحت مجموعة هالا، وهي إحدى كبريات مجموعات الشركات في مجال الصناعات الثقيلة.

12. سامسونج (تعني بالكورية "النجمات الثلاث")، التي اشتُهرت أكثر بصناعة الهواتف المحمولة وشاشات التلفاز المسطحة والثلاثية الأبعاد وغيرها من الأجهزة الإلكترونية المتطورة، هي أكبر مجموعة شركات كورية؛ إذ تزيد إيراداتها السنوية على 180 مليار دولار. ولها الكثير من الشركات التابعة لها في مجالات منها: بناء السفن، وأشباه

الموصِّلات، والتشييد، والتمويل، والتأمين على الحياة، وأعمالها تمثِّل نحو خُمس إجمالي الصادرات الكورية. وقد أسسها في عام 1938 لي بيونج-شول (1910-1987) الذي اضطلع، مع شونج جو-يونج، بدور محوري في تحويل كوريا إلى بلد صناعي. وقد استهلت سامسونج نشاطها كشركة تجارية صغيرة، ثم تنوَّع نشاطها ليشمل المنسوجات والتجزئة والأوراق المالية. وبداية من أواخر الستينيات من القرن العشرين، بدأت سامسونج في تصنيع التلفزيونات وغيرها من الأجهزة الإلكترونية. واليوم، تأتي الشركة في المرتبة الثانية عالمياً في تصنيع رقائق الذاكرة، وهواتفها المحمولة تُعدُّ من بين الأكثر شعبية في العالم. ويتولى رئاستها حالياً لي كون-هي، وهو ابن لي بيونج-شول.

13. أصدر لي بيونج-شول صحيفة جونج-أنج إلبو لأول مرة في عام 1965، وهي مملوكة الآن لأسرة هونج. وفي عام 1968، أصبح هونج جين-كي (1917-1986)، الذي شغل منصب وزير العدل في فترة الرئيس سينجمان، رئيسها، وتزوجت ابنته، هونج را-هي، من لي كون-هي، وهو ابن لي بيونج-شول والرئيس الحالي لمجموعة سامسونج. ويتولى حالياً هونج سيوك-هيون، وهو الابن الأكبر لهونج جين-كي، رئاسة الصحيفة، وعمل أيضاً سفيراً لكوريا لدى الولايات المتحدة في عام 2005.

14. في كوريا (كما في اليابان أيضاً)، "موظف" salaryman كلمة تُستخدم لوصف العامل المكتبي الذي يعمل لحساب شركة خاصة، ويكون راتبه هو مصدر دخله الوحيد (يُستخدم المصطلح "المرأة العاملة" career woman بالنسبة إلى المرأة). والأطباء والمحامون والمصرفيون وغيرهم من المتخصصين الذين قد يحصلون هم أيضاً على رواتب لا يشار إليهم بالموظفين. والمصطلح يُستخدم كنوع من التصوير الكاريكاتيري للعامل المكتبي المنهك، والمفتقر إلى التطلعات، وذي الدخل المحدود. وفي كوريا يُفهم من الموظف أنه شخص متوسط العمر، متزوج وله طفلان، ويعمل حتى ساعة متأخرة طول الوقت، وقد يضطر إلى التقاعد في سنٍّ مبكرة.

15. "يوشين" (أو "إعادة بعث الإصلاح") كان في الأساس دستوراً جديداً أصدره الرئيس بارك بعد حلّ الجمعية الوطنية وتعليق العمل بالدستور الذي كان معمولاً به. وسمح هذا الدستور "الجديد" بأن يُنتخب الرئيس لعدد غير محدود من الولايات التي يبلغ كل منها ستّ سنوات، واعتبر توجيه الانتقاد إلى الرئيس أو الدولة بأي شكل من الجرائم الخطيرة، ووضع قيوداً مشددة على حرية التعبير، ووسّع بدرجة كبيرة نطاق جهاز أمن الدولة. وكانت تلك محاولة أجراها بارك لتمديد حكمه إلى أجل غير مسمّى، وأدت في نهاية المطاف إلى اغتياله على يد رئيس استخباراته، كيم جاي-كيو، الذي أطلق النار على الرئيس بارك، وأرداه قتيلاً في 26 أكتوبر 1979 بينما كان بارك في حفل شرب خاص مع معاونيه المقرّبين (كان كيم أحد الحاضرين). وفي أعقاب موت الرئيس بارك، تولى الجنرال شون دو-هوان مقاليد الحكم في البلاد (انقلاب 12 ديسمبر أو انقلاب 12-12)، ثم انتُخب رئيساً فيما بعد.

16. تشونج مونج-كو هو الرئيس الحالي لشركة هيونداي-كيا للسيارات.

17. قُتل الرئيس بارك شونج-هي على يد كيم جاي-كيو، وهو أحد أقرب معاونيه الذي كان عندئذ رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الكورية. وكان من المعروف عن الرئيس بارك، أنه يقيم حفلات عشاء خاصة صغيرة في أحد مقار إقامته الخاصة الكثيرة الكائنة حول البيت الأزرق (مقر الرئيس). وأصبحت حفلات العشاء تلك أكثر تواتراً بعد اغتيال السيدة الأولى يوك يانج-سو في عام 1974. وكان الرئيس بارك، في يوم اغتياله، يتناول العشاء مع كيم جاي-كيو وتشا تشي-تشول (رئيس جهاز الأمن الرئاسي) ورئيس أركانه وشابتين، كانت إحداهما شيم سو-بونج، وهي إحدى أشهر مغنيات "البوب" في كوريا في ذلك الوقت. وأفاد كيم جاي-كيو فيما بعد بأن دافعه كان وضع حد للنظام الدكتاتوري لبارك شونج-هي، لكن آخرين زعموا أن مقصده الأصلي كان قتل خصمه اللدود تشا تشي-تشول، وأن قتل الرئيس لم يكن ضمن

الخطة. وحسبما تناقلته الروايات، استشاط كيم جاي-كيو غضباً في أثناء العشاء بسبب تعليقات ازدرائية وجهها تشا، وسحب كيم مسدسه وأطلق النار على تشا. واخترقت الرصاصة قبضة تشا الذي اختبأ بالحمام. وبغياب تشا، أطلق كيم النار على الرئيس بارك في الصدر، وعندما حاول كيم إطلاق النار على رأس الرئيس العاجز، تعطَّل المسدس، فغادر الغرفة ليأتي بمسدس آخر من أحد معاونيه في وكالة الاستخبارات، وأطلق النار على رأس بارك شونج-هي، وكانت طلقة قاتلة. ومن بعد ذلك، أُطلق النار على تشا، وقُتل أثناء محاولته الهرب. وأُعدم كيم جاي-كيو في مرحلة لاحقة.

18. كان تشا تشي-تشول نقيباً في الجيش إبّان الانقلاب العسكري لبارك شونج-هي في عام 1961؛ وأصبح فيما بعد أحد أخلص معاوني الرئيس. وانتُخب تشا لعضوية الجمعية الوطنية لأربع فترات متتالية قبل أن يصبح رئيس جهاز الأمن الرئاسي. وعُرف عنه إخلاصه المتعصب وحمايته الشرسة لبارك شونج-هي؛ فقد كان لديه ملصق بمكتبه يقول: "الرئيس بارك هو الدولة". وذاع صيته السيئ باعتباره مصاباً بجنون العظمة؛ فقد كان يعتبر الوزراء في الحكومة وكبار المسؤولين خاضعين له، وكان يعاملهم على هذا الأساس.

19. الجمهورية الخامسة (1981-1988) هي الفترة التي كان شون دو-هوان رئيساً خلالها. ففي أعقاب موت الرئيس بارك شونج-هي في أكتوبر 1979، قاد اللواء شون دو-هوان انقلاب "الثاني عشر من ديسمبر"، حيث استحوذ فعلياً على السلطة في البلاد. لكن الاضطرابات العمالية والمظاهرات الطلابية المنادية بالديمقراطية تواصلت، مما دعا شون إلى إعلان الأحكام العرفية في 17 مايو 1980، مثيراً بذلك احتجاجات واسعة النطاق. وفي 18 مايو، جرت مظاهرات في مدينة جوانغجو الواقعة في الجنوب الغربي؛ وعندئذ أمر شون بنشر قوات خاصة لقمع المتظاهرين، وهاجم الجيش بوحشية وعشوائية المدنيين، بمن فيهم النساء والأطفال، وقتل المئات

فيها عُرف بمذبحة جوانغجو. وبعد أن أصبح شون رئيساً في مارس 1981 عن طريق الانتخابات غير المباشرة، نفَّذ إصلاحات مختلفة، وسعى إلى توطيد الروابط مع دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان؛ بيد أن الجمهورية الخامسة شهدت أيضاً انتهاكات لحقوق الإنسان وتفشّي الفساد والتضييق على الصحافة. وتواصلت المظاهرات المنادية بالديمقراطية، وأخيراً في 29 يونيو 1987، وافق شون على إجراء إصلاح دستوري يسمح بإجراء انتخابات مباشرة (إعلان 29 يونيو). وفي 1988، انتُخب روه تاي-وو (زميل شون في الأكاديمية العسكرية، وخليفته المختار بعناية) رئيساً، بادئاً الجمهورية السادسة (1988-1993). وفيما بعد، قُدِّم كلا الرئيسين إلى المحاكمة وأُدينا لدورهما في مذبحة جوانغجو، وكذلك في انقلاب عام 1979 ولقبول الرِّشا في أثناء توليهما منصبهما، وأمضيا عقوبة بالسجن، وعفا عنهما الرئيس المنتخب في ذلك الوقت كيم داي-جونج في عام 1997.

20. طُبِّق حظر التجول الشامل على الكوريين فقط.

21. كيم إيل-سونج (1912-1994) شيوعي حكم كوريا الشمالية منذ تأسيسها في عام 1948 حتى وفاته في عام 1994. وكان كيم عضواً في الحزب الشيوعي الصيني في أوائل العشرينيات من عمره، واشترك، في أثناء الاحتلال الياباني لكوريا، في أنشطة العصابات المناهضة لليابانيين في شمال الصين. وبينما لم تتسم إنجازاته كأحد مقاتلي حرب العصابات بأي شيء من التميز، فإن أعماله بولغ فيها كثيراً في مرحلة لاحقة من جانب نظام كوريا الشمالية. وفي عام 1945، عندما هُزمت اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية، سار الجيش الأحمر التابع لستالين إلى كوريا الشمالية، ولم يواجه مقاومة تُذكر، حيث قام ستالين بتنصيب كيم رئيساً للحكومة المؤقتة. وبذلك، أدت عودة كيم إلى كوريا، إلى البداية الفعلية لتقسيم شبه الجزيرة الكورية؛ في شكل كوريا الشمالية الشيوعية، وكوريا الجنوبية بقيادة سينجمان التي كانت تحظى بدعم الولايات المتحدة.

وفي عام 1950، غزا كيم كوريا الجنوبية، بادئاً الحرب الكورية، وبعد ثلاث سنوات من الصراع وسقوط ملايين القتلى، قُسِّمت شبه الجزيرة على امتداد خط العرض 38 درجة شمال خط الاستواء (البلَدان لايزالان تقنياً في حالة حرب). وكان كيم حاكماً مستبداً زرع عبادة الشخصية كما لم يزرعها غيره على وجه الأرض؛ وكان يُنظر إليه باعتباره مخلِّصاً وحاكماً مقدَّساً يتمتع بقدرات خارقة. وكانت فلسفته المعروفة باسم "زوتشيه" (الاعتماد الذاتي) تمارَس في شتى أنحاء كوريا الشمالية، ويشار إليه بـ"القائد العظيم"). وقد تولى ابنه كيم جونج-إيل مقاليد الأمور في البلاد بعد موت كيم إيل-سونج المفاجئ في عام 1994 (نتيجة ما يُفترض أنه نوبة قلبية)، وأُعد ابنه الأصغر، وهو كيم جونج-أون (البالغ من العمر سبعة وعشرين عاماً) ليكون الوريث.

22. بينما كنا نسعى إلى كسب عقد المشروع السكني في الجبيل بالمملكة العربية السعودية، وُجِّهت إلى اثنين من مسؤولينا تهم باطلة، وزُج بهما في السجن، وفي أعقاب هذه الحادثة المؤسفة، بدأنا نستكشف أسواقاً أخرى في الشرق الأوسط.

23. "السفينة السلحفاة" هي أول سفينة حربية في العالم تُبنى من الحديد الصلب؛ وقد نشرها بنجاح الأميرال يي سون-شين أثناء معاركه البحرية المنتصرة ضد اليابانيين خلال القرن السادس عشر. ويعدّ الأميرال يي أحد خبراء التكتيكات العسكرية والقادة اللامعين؛ فقد انتصر في ثلاث وعشرين معركة بحرية ضد اليابانيين قبل أن يُقتل أثناء القتال في عام 1598. وتعدّ "السفينة السلحفاة" جزءاً من تراث كوريا الباعث على الفخر، وهي رمز للمقاومة ضد الاعتداءات اليابانية، ومثالاً على البراعة والابتكار التقني لكوريا.

24. كان مهاتير محمد (وُلد عام 1925) رابع رئيس وزراء لماليزيا، من عام 1981 حتى عام 2001، مما يجعلها أطول فترة لرئيس وزراء في تاريخ ماليزيا. ويعود إلى مهاتير الفضل

في تحقيق عمليتي التصنيع والتحديث السريعين في ماليزيا من خلال الإصلاحات الجريئة ومشاريع البنية التحتية الضخمة. وقد هيمن على السياسة الماليزية لأكثر من أربعين عاماً، ومايزال له نفوذ هائل حتى بعد تقاعده. وهو أيضاً مناصر قوي ولا يكلّ لتنمية العالم الثالث طوال مشوار حياته العملية.

25. قام عملاء من كوريا الشمالية، بأوامر مباشرة من كيم جونج-إيل، بوضع القنابل داخل خزاناتهم العلوية بعد ركوب رحلة الخطوط الكورية رقم 858 (من العراق إلى كوريا) في مطار صدام حسين الدولي في بغداد، العراق. وعندما وصلت الطائرة إلى أبوظبي لإعادة التزود بالوقود، غادر العميلان -وهما رجل وامرأة- الطائرة، واستمرت الرحلة إلى وجهتها التالية، والتي كانت بانكوك، تايلاند، قبل أن تنفجر فوق بحر أندامان في المحيط الهندي. وحاول العميلان من كوريا الشمالية الهرب إلى عمّان، الأردن، لكنهما أخفقا، واعتُقلا في البحرين عندما اكتشفت السلطات جوازي سفرهما اليابانيين المزورين. وعندما تمكن منهما عملاء كوريا الجنوبية، قام كل واحد من الكوريين الشماليين بتدخين سيجارة مغلفة بالسيانيد السام. ومات العميل، لكن محاولة الانتحار التي قامت بها العميلة، كيم هيون-هي، أخفقت عندما انتزعت السلطات السيجارة بالقوة من فمها. وأعيدت كيم إلى كوريا، وحُكم عليها بالإعدام، لكن الرئيس روه تاي-وو، عفا عنها. وهي ما تزال تعيش في كوريا تحت مراقبة مشددة.

26. جمهورية ياقوتيا (أو جمهورية ساخا) هي اليوم أحد الكيانات الاتحادية في روسيا. وتمتد أراضيها حتى جزر هنريتا في المحيط المتجمد الشمالي. ومساحتها الإجمالية تتجاوز قليلاً مساحة الهند، أو نحو ثُلث مساحة الصين، ويقل عدد سكانها عن المليون نسمة. وتشتهر جمهورية ياقوتيا بوفرة مواردها الطبيعية، بما فيها النفط والغاز والقصدير والألماس والذهب والفضة والتّنجستن.

27. اشتركت مئة وستون دولة في الألعاب الأوليمبية الصيفية لعام 1988 بسيول، مما جعلها إحدى أكبر التجمعات الرياضية في ذلك الوقت. وخلافاً للألعاب الأوليمبية الصيفية لعام 1984 في لوس أنجليس، قررت الكتلة الشيوعية الشرقية عدم مقاطعة ألعاب سيول. وكنتيجة لذلك، شارك الاتحاد السوفيتي السابق وألمانيا الشرقية، وكذلك أعضاء آخرون في الكتلة الشرقية. وكانت الألعاب الأوليمبية في سيول هي آخر ألعاب حضرها الاتحاد السوفيتي وألمانيا الشرقية.

28. في أثناء الانتخابات الرئاسية التمهيدية لعام 1992 اتفق كيم يانج-سام، ولي جونج-تشان على المشاركة في السباق الانتخابي التمهيدي من أجل تحديد من سيصبح مرشح الحزب. لكن في يوم الانتخابات التمهيدية، قرر لي جونج-تشان عدم المشاركة، وحاز كيم يانج-سام على ترشيح الحزب. وبعد ذلك بفترة وجيزة، أسَّس لي جونج-تشان حزبه السياسي الخاص، ثم دمج حزبه لاحقاً مع حزب شونج جو-يونج. وفي عام 1996، ترشحتُ ضد لي جونج-تشان لعضوية الجمعية الوطنية عن منطقة جونجنو، وفزت. وفي عام 1998، عيَّن الرئيس كيم داي-جونج السيد لي مديراً لإدارة الاستخبارات الوطنية (التي كانت تُعرف من قبل باسم وكالة الاستخبارات المركزية الكورية).

29. يُطلق على تلك الأحياء اسم "البلدات القمرية" moon towns لأن معظمها مشيَّد على قمم التلال المطلة على المدينة، لا بسبب جمال المنظر، وإنما بسبب رُخص الأرض. وقد يبدو الاسم رومانسياً، بيد أن الحقيقة تختلف عن ذلك تماماً. فالبلدات القمرية كانت تُسمى كذلك لأن تلك الأحياء غير المتناسقة كانت تعدّ أقرب إلى القمر، وكانت تفتقر إلى كثير من الخدمات الأساسية للحياة الحضرية والمياه الجارية والطرق الملائمة.

30. روه مو-هيون كان سلفي في سدة الرئاسة، فقد كان الرئيس السادس عشر لكوريا.

31. تشونج ميونج-وون هو عازف بيانو وقائد أوركسترا. وشقيقتاه، كيونج-وا وميونج-وا، هما أيضاً موسيقيتان موهوبتان. وكان الثلاثة يعزفون تحت اسم "الثلاثي تشونج"، واكتسبوا شهرة عالمية. وفاز تشونج بكثير من الجوائز الفنية، وقاد بنجاح العديد من أهم فرق الأوركسترا في العالم. وتقديراً لخدمته كمدير موسيقي لأوبرا باريس، مُنح أعلى وسام في فرنسا، وهو "جوقة الشرف".

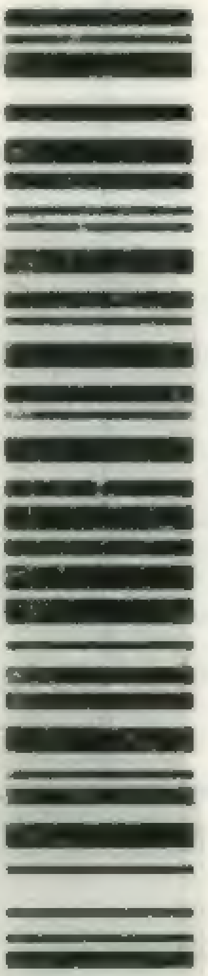
32. خلافاً لما هو معمول به في الولايات المتحدة، حيث يشار إلى الرئيس عادةً بحسب ترتيبه التاريخي بين الرؤساء (على سبيل المثال جورج دبليو بوش، الرئيس الثالث والأربعون)، يشار إلى الرؤساء الكوريين بالفترة التي خدموها. فعلى سبيل المثال، أنا أُعرف بأنني رئيس الفترة السابعة عشرة، لكن هذا لا يعني أنني سبقني 16 سلفاً، وإنما مجرد أنني أخدم الفترة السابعة عشرة. وتوالى على كوريا تسعة رؤساء، خدم بعضهم عدة فترات في ظل الدكتاتوريات العسكرية. وأنا أخدم حالياً في الفترة السابعة عشرة، بينما خدم سلفي، السيد روه مو-هيون، باعتباره رئيس فترتنا السادسة عشرة. وفي إطار تعديل دستوري أعقب نهاية الدكتاتورية العسكرية، يُنتخب الرؤساء الكوريون لفترة واحدة مدتها خمس سنوات غير قابلة للتجديد.

الطريق الوعر

السيرة الذاتية للرئيس لي ميونج-باك
رئيس جمهورية كوريا، والرئيس التنفيذي السابق لهيونداي

ترعرع لي ميونج-باك في أسرة معدمة، عقب الحرب الكورية، ولكنه بالذكاء والعزيمة والإرادة تمكن من إجراء تحول نوعي في حياته، رافضاً الاستسلام لحياة الفقر والجهل، فالتحق بالمدرسة وأكمل دراسته الجامعية بالاعتماد على نفسه، حتى إنه عمل جامع قمامة ليتمكن من توفير مصاريفه الدراسية وليعيل أسرته. وبدءاً بموظف صغير في شركة هيونداي للهندسة والإنشاء ترقى إلى أن أصبح المسؤول التنفيذي للشركة وهو في سن الخامسة والثلاثين، وخلال قيادته الشركة أسهم في تحويلها من شركة إنشاءات محلية صغيرة لا يتجاوز عدد موظفيها 90 شخصاً إلى مؤسسة عالمية تضم 170 ألف شخص في مختلف أنحاء العالم، وتبلغ عائداتها السنوية أكثر من 40 مليار دولار أمريكي. وبعد نجاحه في قطاع الأعمال، تحول إلى عالم السياسة، فأصبح عضواً في الجمعية الوطنية، وانتخب عمدة مدينة سيول عام 2002، وتوج حياته السياسية بأن انتُخب رئيساً لجمهورية كوريا في العام 2007.

الطريق الوعر لا يروي قصة نجاح لي ميونج-باك فقط، بل هو على نحو موازٍ يروي حكاية أمّة تمكنت من الانطلاق من شقاء الفقر إلى نعيم الثراء، ومن بؤس الجهل والتخلف إلى نعمة العلم والتقدم التكنولوجي، حتى غدا الاقتصاد الكوري اليوم يحتل المرتبة الثالثة عشرة على مستوى العالم. وهذا الكتاب يذكّر بالمبادئ والمُثل والشروط والدروس التي يجب أن يتمثلها كل امرئ يبغي أن يكون صاحب أعمال أو رجل دولة أو قائداً للمستقبل، وكذلك كل أمة تروم أن تكون من بين الأمم الرائدة في هذا العالم.



ISBN 978-9948-14-564-6

